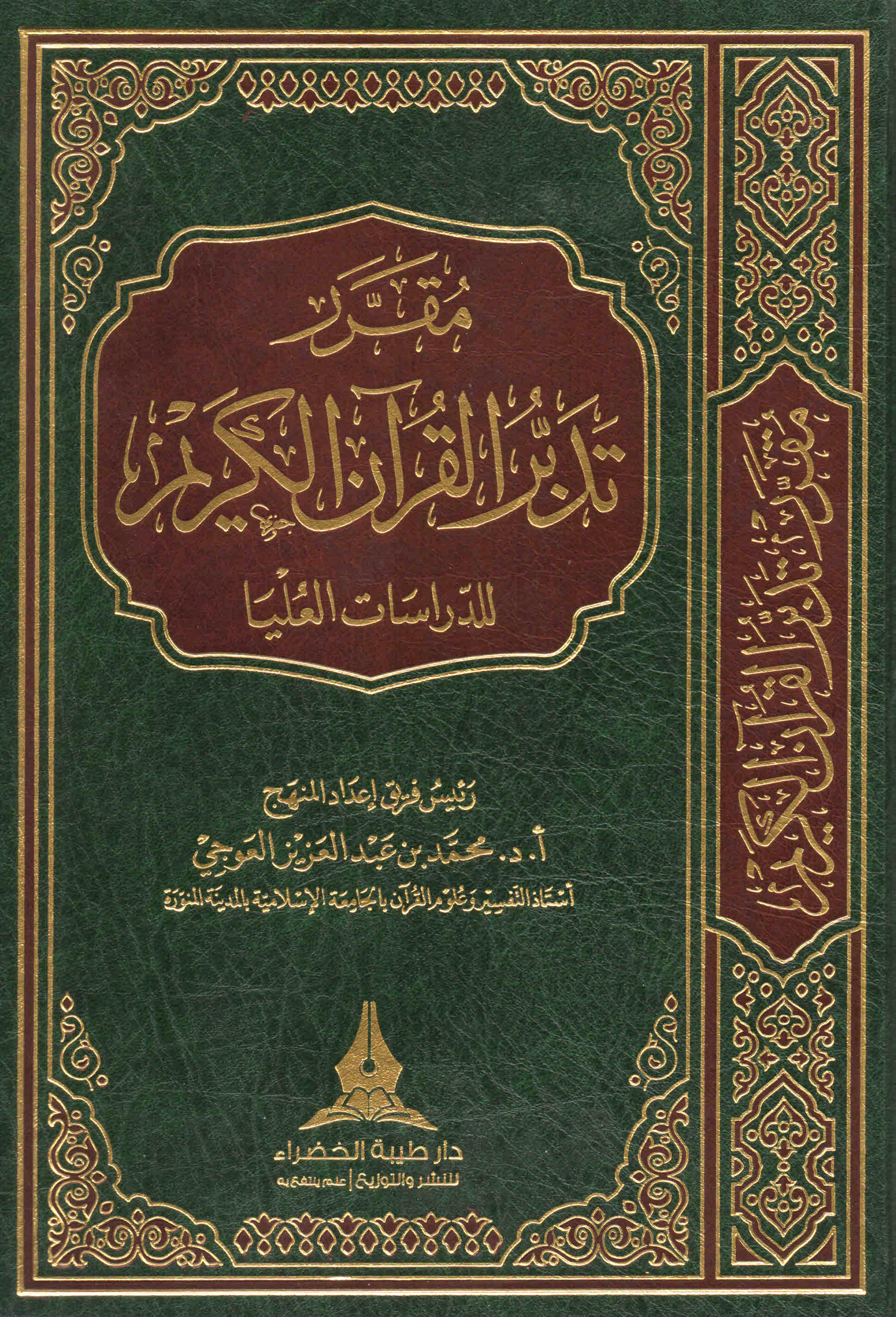
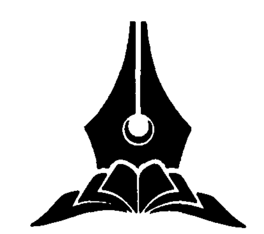


مقرر
تدبر القرآن الكريم
للدراسات العليا
رئيس فريق إعداد المنهج
أ. د. محمد بن عبد العزيز العواجي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع | علم ينتفع به




الطبعة الأولى

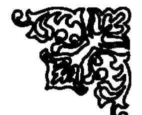
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٦م



دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع | علم ينتفع به
0125562986| yyy.01@hotmail.com

dar.taibaa @dartaibagreen dar.taibagreen123 dar.taiba
مكة المكرمة العزيزية خلف مسجد فقيه
0503568771 | 0550428992 | yyy.01@hotmail.com | 0125562986



راجع هذا المقرر:

١- أ.د. حكمت بشير ياسين. (الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة).

٢- أ.د. عمر بن عبدالله المقبل. (جامعة القصيم بالقصيم).

٣- أ.د. صالح بن يحيى صواب. (جامعة صنعاء باليمن).

٤- أ.د. هدى بنت دليقان الدليقان. (جامعة الملك فيصل بالأحساء).

٥- د. فهد بن مبارك بن عبد الله الوهبي. (جامعة طيبة بالمدينة المنورة).

٦- د. فوزية بنت صالح الخليفي.(جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن بالرياض).

٧- د. عبدالرحمن السيد مصطفى. (المدينة المنورة)

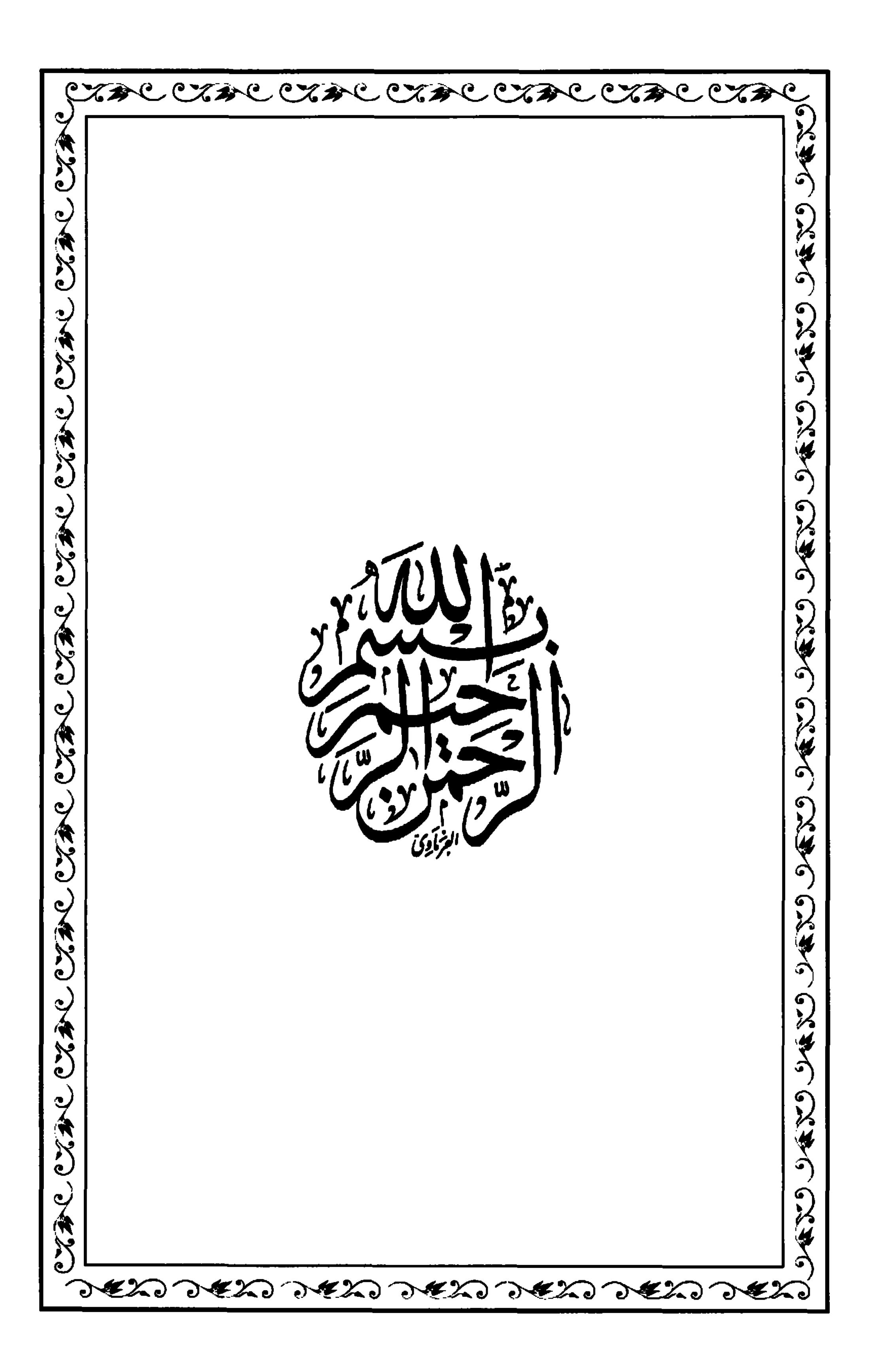
٨- الشيخ/ عباس محمد عباس باوزير. (الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة)

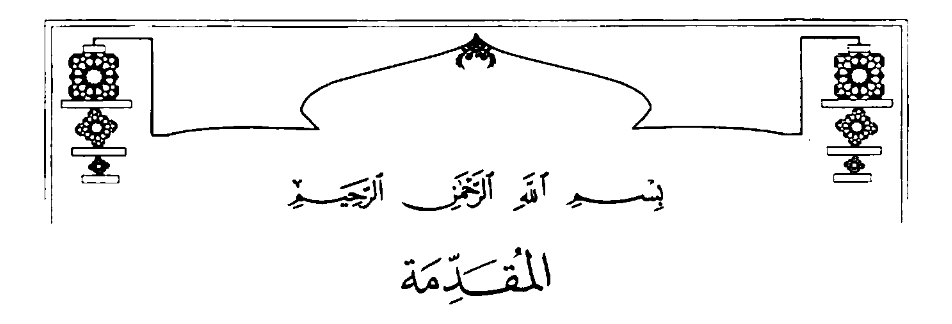
٩- الشيخ/ طارق يوسف اسماعيل سليمان (المدينة المنورة)

وغيرهم من المشايخ الفضلاء، وطلاب مرحلة الدكتوراه، فجزاهم الله خيراً وبارك جهدهم.






بسم الله الرحمن الرحيم



المُقَـدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا ﷺ عبده ورسوله، بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة، تركنا على محجة بيضاء نقية ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات ربي وسلامه عليه.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم أنزله الله تعالى كتابًا لصلاح أمر الناس كافة؛ رحمة بهم لتبليغهم مراد الله منهم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل: الآية ٦٤].

فكان المقصد الأعلى صلاح الأمة وهدايتهم إلى الطريق المستقيم، وقد أودع ذلك في ألفاظ القرآن التي خاطبنا بها خطابًا بينًا، وتعبدنا بمعرفة مراده والاطلاع عليه، فقال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: الآية ٢٩].

وقد اختار الله اللسان العربي لوحيه حيث كان لسانهم أفصح الألسن، وكانت هذه اللغة أكثر اللغات تحملًا للمعاني مع إيجاز اللفظ، فتحداهم مع فصاحتهم أن يأتوا بمثله، فصار معجزة ليكون آية دالة على صدق رسوله ﷺ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ

ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: الآية ٨٨].

إن تلاوة القرآن إنما هي إقامة لحجة الله تعالى على المرء، حيث بلغه كتاب الله تعالى، ووقف على آياته وتوجيهاته، ولا تزال تلك الحجة قائمة عليه حتى يستجيب لأمر الله تعالى الكامن في آياته، ولن يصل إلى دلالات تلك الآيات ويعرف مضامينها حتى يشغل عقله بتدبر تلك الآيات، ويُعمل ذهنه لاستشراف معانيها ومعرفة أبعادها ومراميها، وتتبع حكمة الله تعالى في آياته وكلماته. ومن خلال ذلك التأمل يشعر المرء بلذة التلاوة وجمال القراءة، ويقف على إبداع النظم وبلاغته، وجمال التوجيه وبراعته، وجمال المقاصد وحسنها، فما يملك إلا أن ينقاد إلى أمر الله ﷻ في كتابه.

ويتضح مما مضى أن القرآن لا تنفك تلاوته عن تدبر آياته، وتدبر الآيات يحمل النفس على الاستجابة والانقياد لأمر الله تعالى، وكل منها يأخذ بذيل سابقه، فالتلاوة تقود إلى التدبر، والتدبر يحمل على التذكر والاتعاظ، والتذكر يحمل النفس على الاستجابة والانقياد، وهنا يكمن مقصود الله تعالى في ذلك: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: الآية ٢٩].

وليس يخفى مقام أهمية التدبر وفضله، بل وضرورته لقارئ القرآن، لكننا بحاجة اليوم للخطوات العملية لإحياء ذلك الرابط في قلوب الناس وتربيتهم عليه.

إن فَهم القرآن - كلام الله- ليس صعبًا أو مستحيلًا، وليس في الإسلام فئة معنية أو جماعة متخصصة بتفهيم القرآن الكريم للآخرين وتوضيح ما يرشد إليه من دلالات، لا يحق لغيرهم الغوص في معانيه؛ وإنما القرآن نفسه الكتاب المفتوح أمام الجميع، الممتع في قراءته وعرض بدائعه، وهو المدرسة التي من شروط الالتحاق بها أن يملك الإنسان أولًا وقبل امتلاك اللسان العربي، وقبل إتقان

الألفاظ والعبارات - أن يحمل قلبًا حيًّا، لديه آليات عمل فعالة، فيتخرج الربانيون من تلك المدرسة، كلٌّ حَسَب تخصصه العلمي أو المهني.

ولا يعني هذا أن ليس للعلماء المتخصصين دور في تذكير الناس وزيادة تفهيمهم لمعاني وأحكام القرآن، وإنما المقصود أن هذا القرآن ميسر للفهم، وكل مسلم يستطيع بما حباه الله من قلب وعقل أن يتحصل على معارف وكنوز القرآن، وأن يتأثر بإرشاداته وتوجيهاته.

ولا يكاد يخفى على منصف ما يقوم به كثير من المحبين لكتاب الله من الاهتمام بتدبر القرآن، سواء كان ذلك بعقد المؤتمرات أو الدورات والمحاضرات العلمية، أو الكتابات المتعددة حول التدبر الذي هو الهدف الرئيس من إنزال القرآن.

ولكن الملاحظ على كثير من هذه الجهود - وهي مباركة إن شاء الله- عدم وجود منهج تعليمي ينشأ عنه وجود متخصصين في هذا الباب العظيم. ولعل هذا الجهد الذي بين يديك يكون النواة الأولى لمناهج تعليمية متخصصة تضبط التدبر وتعين على إيجاد أساتذة وباحثين متخصصين، يكملون بناء المسيرة ويحيون التدبر في نفوس الناس بطريقة علمية منهجية منضبطة.

وقد تم بناؤه بناء على جرد الموجود في المكتبة الإسلامية من بحوث ومقالات وبرامج ومؤتمرات وملتقيات علمية بشأن تدبر القرآن الكريم، مع اعتبار الأسس المنهجية العلمية لبناء المناهج التعليمية، ومناهج الجامعة الإسلامية وجامعة طيبة بالمدينة المنورة المعتمدين لمرحلة الدراسات العليا فيهما، ووثيقة منهج تدبر القرآن التعليمي التي أعدها فضيلة الشيخ أ.د. علي بن إبراهيم الزهراني رئيس قسم التربية الإسلامية بالجامعة الإسلامية، وذلك في وثيقة محكمة لمؤتمر تدبر القرآن العالمي الأول.

وتمت مراجعته من قِبل مجموعة من الأساتذة الفضلاء المتخصصين ذوي

الاهتمام بتدبر القرآن الكريم. وجرى تطبيقه عمليًّا على سبع دفعات من طلاب مرحلة العالِمية العالية (الدكتوراه) بفضل الله تعالى، وتلبية طلب كثير من المتخصصين فالحاجة ماسة لنشره استعنّا بالله على ذلك.

وختامًا: فإن الكمال عزيز وبلوغه صعب المنال، وهذه محاولة بشر، أرادوا بها الخير لهم ولأمتهم ولإخوانهم في طريق الدعوة إلى الله وخدمة كتاب الله، وعمل البشر لا يخلو من أخطاء وزلل، فما كان في هذا العمل من خير وصواب فمن توفيق الله وحده، وما كان فيه من خطأ وزلل فمن أنفسنا والشيطان، فمن وجد خللًا فليقومه، ومن وجد نقصًا فليكمله؛ فالله تعالى لا يضيع أجر المصلحين.

ونسأل الله العظيم بمنه وكرمه أن يغفر لنا وأن يتجاوز عنا. وأن يبارك في الجهد، ويوفقنا لما يحبه ويرضاه.

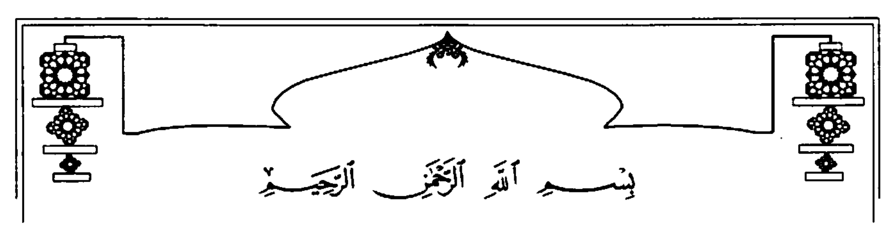
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

رئيس فريق إعداد المنهج

أ. د. محمد بن عبد العزيز العوجي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

في ١١-١١-١٤٣٧هـ



برنامج تدبر القرآن الكريم

أولًا: أهداف المقرر:

١ - أن يتعرف على مفهوم التدبر وعلاقته بالمصطلحات القرآنية الأخرى.

٢ - أن يتعرف على التدبر الصحيح في القرآن الكريم وثمراته وعوائق التدبر.

٣ - أن يكون قادرًا على البحث والكتابة وإنتاج مادة في التدبر بأسلوب علمي.

٤ - أن يستطيع استنتاج مناهج وأساليب العلماء في التدبر، ونقد الخاطئ.

٥ - أن يتعرف على أساليب القرآن المُعِينة على التدبر.

٦ - أن يتقن مهارات التدبر والمدارسة وأنواعها.

٧ - أن يكون قادرًا على ممارسة التربية من خلال المنهج القرآني.

٨ - أن يمارس تدبر القرآن ويتدارسه مع غيره على بعض السور والآيات.

٩ - تنمية ملكته وقدرته على التدبر وربط الحياة بمعاني الآيات المباشرة.

ثانيًا: معايير مقرر تدبر القرآن الكريم:

ويتضمن أربعة مجالات فرعية:

مفهوم تدبر القرآن الكريم.

منهجية تدبر القرآن الكريم.

المنهج القويم في التدبر.

موانع تدبر القرآن وأسباب الخطأ فيه وعلاجها.

❐ **المجال الفرعي الأول: مفهوم التدبر وحكمه وثمراته:**

ويتضمن (٨) معايير:

المعيار الأول: مفهوم التدبر في اللغة والاصطلاح:

المؤشر الأول: معرفة مدلولات «التَّدَبُّر» ومشتقاته في اللغة.

المؤشر الثاني: التعريف الاصطلاحي للتدبر.

المعيار الثاني: مقارنة المفهوم والعلاقة بين المصطلحات والمفاهيم القريبة من معنى «التدبر»:

المؤشر الأول: الاستنباط؛ تعريفه، وبيان علاقته بالتدبر.

المؤشر الثاني: التفسير؛ تعريفه، وبيان علاقته بالتدبر.

المؤشر الثالث: التأويل؛ تعريفه، وبيان علاقته بالتدبر.

المؤشر الرابع: التفكُّر، وأهميته، وعناصره، وبيان علاقته بالتدبر.

المؤشر الخامس: التعَقُّل؛ تعريفه، وبيان علاقته بالتدبر.

المؤشر السادس: التأمُّل؛ تعريفه، وبيان علاقته بالتدبر.

المؤشر السابع: التفَهُّم؛ تعريفه، وبيان علاقته بالتدبر.

المعيار الثالث: حقيقة تدبّر القرآن الكريم:

المؤشر الأول: بيان مراد الله -تعالى- من إنزاله القرآن الكريم.

المؤشر الثاني: حقائق وفوائد نفيسة.

المؤشر الثالث: بيان وتحديد مظاهر الإعجاز.

المؤشر الرابع: كشف الدّلالات المُعرِّفة بالله تعالى، وعبادته حقّ العبادة.

المؤشر الخامس: درجة فهم القرآن معيار لصحة سلوك الإنسان المسلم مع ربه.

المؤشر السادس: تجدد المعاني في القرآن؛ معناه وأثره وشروطه.

المعيار الرابع: فضل التدبر:

المؤشر الأول: الأمر بالتدبر والترغيب فيه، في ضوء القرآن الكريم.

المؤشر الثاني: الأمر بالتدبّر والترغيب فيه، في ضوء السنة النبوية.

المؤشر الثالث: بعض أخبار وأحوال السلف مع تدبر القرآن.

المعيار الخامس: حكم تدبر القرآن الكريم:

المعيار السادس: أهمية التدبر.

المؤشر الأول: زيادة الإيمان وتجديده.

المؤشر الثاني: تحصيل الهداية وتوابعها.

المؤشر الثالث: الوقوف على معرفة الله والحلال والحرام.

المؤشر الرابع: الثبات على الحق واليقين.

المؤشر الخامس: الامتثال لأمر الله تعالى إذ أمر بذلك.

المؤشر السادس: قيمة عقليّة كبرى تؤدي إلى يقظة الأفراد ونهضة الأمم.

المؤشر السابع: يشحذ الهمم ويشحن النفوس نحو الخير، ويبعدها عن الشر.

المؤشر الثامن: الشفاء لما في الصدور.

المؤشر التاسع: القناعة في الدنيا والتعلق بالآخرة والشوق إليها.

المؤشر العاشر: يحقق إنابة النفس لربها وتوبتها من معاصيها.

المؤشر الحادي عشر: يُكسب العلم والمعرفة.

المؤشر الثاني عشر: عمل المرء بكتاب الله، وتطبيقه في واقع الحياة.

المعيار السابع: مقاصد التدبر:

المؤشر الأول: العمل بالقرآن.

المؤشر الثاني: إظهار ما في القرآن من بركات والاستفادة منها.

المؤشر الثالث: بيان عالمية المنهج القرآني وواقعيته.

المؤشر الرابع: إحياء الفهم السليم للقرآن.

المؤشر الخامس: تفويت الفرصة على من يريد تحريف كلام الله أو تأويله.

المؤشر السادس: شمولية الإصلاح.

المعيار الثامن: أثر تدبر القرآن:

المؤشر الأول: الآثار العامة لتدبر القرآن.

المؤشر الثاني: الآثار العملية لتدبر القرآن.

المؤشر الثالث: أثر تدبّر القرآن في بناء الإيمان.

المؤشر الرابع: أثر تدبر القرآن الكريم في بناء شخصية المسلم.

المؤشر الخامس: أثر تدبّر القرآن الكريم في ضبط السلوك وتنظيمه.

المؤشر السادس: أثر تدبر القرآن في النهوض الحضاري الاجتماعي والأخلاقي والعلمي.

❑ **المجال الفرعي الثاني : منهجية التدبر :**

ويتضمن (٦) معايير :

المعيار الأول: المخاطبون بالتدبر :

المؤشر الأول: المنافقون .

المؤشر الثاني: الكفار .

المؤشر الثالث: عموم المؤمنين .

المعيار الثاني: أغراض تدبر القرآن الكريم.

المعيار الثالث: واجبات تدبر القرآن الكريم.

المعيار الرابع: وسائل التدبر.

أولًا: تهيئة القلب قبل البدء في التلاوة والتدبّر:

المؤشر الأول: وجود الدافع الذاتي نحو التدبر مع الإخلاص.

المؤشر الثاني: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

المؤشر الثالث: استحضار عظمة الله تعالى، وعظمة كلامه سبحانه.

المؤشر الرابع: دعاؤه ﷻ بالتوفيق إلى التدبّر مع الإلحاح.

المؤشر الخامس: محبة القرآن والانشغال به.

المؤشر السادس: الوقوف على شيء من أحوال النبي ﷺ والسلف في تعاملهم مع القرآن.

المؤشر السابع: اليقين التام أن المسلم حيّ بتدبّر القرآن، ميت بدونه.

المؤشر الثامن: معرفة أن خطاب القرآن في الأصل موجه إلى القلب.

المؤشر التاسع: تفريغ القلب من الانشغال بغير الله وتفريغ القلب من الانشغال بغير الله.

المؤشر العاشر: البعد عن الذنوب والمعاصي.

المؤشر الحادي عشر: الابتعاد عن مجالس اللغو.

المؤشر الثاني عشر: تخفّف المتدبّر من الماديات بتفريغ القلب واستشعار عظمة الله.

المؤشر الثالث عشر: استشعار عظمة الله.

المؤشر الرابع عشر: التواضع واللين لتدبر القرآن وفهم معانيه وأخذها ودراستها.

المؤشر الخامس عشر: المجاهدة والترقِّي.

ثانيًا: وسائل التدبر الإجرائية:

المؤشر الأول: فراغ القلب من الشواغل الحائلة دون التدبر.

المؤشر الثاني: ترديد الآية المؤثرة في القلب.

المؤشر الثالث: تحسين الصوت بالقرآن من غير تكلّف.

المؤشر الرابع: ربط القرآن بواقعك الذي تعيش فيه.

المؤشر الخامس: تهيئة الجو المناسب للتدبُّر.

المؤشر السادس: الترتيل والتمهُّل أثناء التلاوة.

المؤشر السابع: التجاوب والتركيز مع الآيات الكريمة.

المؤشر الثامن: تصوّر حالة الدعوة أثناء التلاوة.

ثالثًا: وسائل التدبر المنهجية:

المؤشر الأول: تدارس القرآن مع جَمْع إن أمكن.

المؤشر الثاني: محاولة فهم معاني القرآن.

المؤشر الثالث: الرجوع إلى كتب التفاسير المعتمدة.

المؤشر الرابع: الوقوف على قواعد النظم القرآني ولو إجمالًا.

المؤشر الخامس: الوقوف على معاني الآيات، وموضوعات السورة مجملة.

المؤشر السادس: إثارة التساؤلات حول الآية.

المؤشر السابع: الإلمام بقواعد اللغة العربية وأساليبها البلاغية والبيانية.

المؤشر الثامن: العناية بفهم معنى اللفظة ودلالتها اللغوية.

المؤشر السابع: العناية بفهم السياق الذي وردت فيه الآية أو اللفظة.

المؤشر العاشر: معرفة أسباب النزول.

رابعًا: طرق التدبر المُعِينة على تجدد المعاني.

المؤشر الأول: الاستفادة من المعاني والأحداث الواردة في قصص القرآن وأمثاله.

المؤشر الثاني: الاستفادة من عموميات ألفاظ القرآن في دخول حياة الناس تحته.

المؤشر الثالث: استحضار ومراعاة تنوع أفهام المجتمعات في الخطاب القرآني.

المؤشر الرابع: الجمع بين النصوص في استنتاج معانٍ جديدة.

المؤشر الخامس: الجمع بين معنى قراءتين أو أكثر في استنتاج معانٍ جديدة.

المؤشر السادس: التدبر لما تضمنه أسلوب القرآن من دلالات إضافية.

خامسًا: تفعيل وسائل التدبر الإدراكية في النفس:

المؤشر الأول: إعمال السمع في الإنصات للقرآن.

المؤشر الثاني: إعمال البصر في تدبر القرآن.

المؤشر الثالث: اقتران القلب بحاستي السمع والبصر.

المؤشر الرابع: ترتيل القرآن وحضور القلب عند تلاوته.

سادسًا: وسائل الحفاظ وتنمية التدبر:

المؤشر الأول: شكر المؤمن ربه على ما هداه إليه من تدبر.

المؤشر الثاني: فرح القلب وسعادته بالتدبُّر.

المؤشر الثالث: إبراز ثمرة التدبر في التطبيق والتنفيذ.

المؤشر الرابع: المواظبة على حزب يومي للتدبر.

المؤشر الخامس: التعوُّذ بالله من الشيطان خوفًا من العُجب.

المعيار الخامس: بعض الأسباب المُعِينة على التدبر:

المؤشر الأول: القراءة في الصلاة.

المؤشر الثاني: التفكر في معاني الآيات.

المؤشر الثالث: اختيار الوقت المناسب للتدبر.

المؤشر الرابع: ترديد الآيات وتكرارها.

المؤشر الخامس: استماع القراءة من الآخرين.

المؤشر السادس: التفاعل العملي مع القرآن.

المؤشر السابع: البكاء عند سماع القرآن.

المعيار السادس: مجالات تدبر القرآن وضبطها:

المؤشر الأول: التركيب القرآني نسيج وحده.

المؤشر الثاني: النفس البشرية وأسرارها.

المؤشر الثالث: النبوءات والغيبيات.

المؤشر الرابع: انضباط التدبر من خلال سمة الربانية.

المؤشر الخامس: انضباط التدبر من خلال سمة الشمولية.

المؤشر السادس: انضباط التدبر من خلال سمة الواقعية.

المؤشر السابع: انضباط التدبر من خلال سمة الوسطية.

❑ **المجال الفرعي الثالث: المنهج القويم في تدبر القرآن الكريم:**

ويتضمن (٤) معايير:

المعيار الأول: المنهج النبوي في تدبر القرآن:

المؤشر الأول: أهمية المنهج النبوي في التدبر.

المؤشر الثاني: ترتيل القرآن.

المؤشر الثالث: الترسل في القراءة.

المؤشر الرابع: تحسين الصوت بالقرآن.

المؤشر الخامس: إطالة القراءة.

المؤشر السادس: الجهر بالقراءة.

المؤشر السابع: البكاء والخشوع عند القراءة.

المؤشر الثامن: ربط الآية بالواقع أو الحدث.

المؤشر التاسع: نماذج من تدبر النبي ﷺ.

المعيار الثاني: **منهج السلف الصالح في تلقّي القرآن وتدبّره**:

المؤشر الأول: يقينهم بمنزلة القرآن وإيمانهم بقيمته.

المؤشر الثاني: تعلّمهم الإيمان قبل القرآن.

المؤشر الثالث: حرصهم على التلاوة اليومية للقرآن.

المؤشر الرابع: اهتمامهم بترتيل القرآن.

المؤشر الخامس: قيامهم الليل بالقرآن.

المؤشر السادس: ترديد الآيات التي تؤثّر في القلب.

المؤشر السابع: مدارسة القرآن.

المؤشر الثامن: حرصهم على الفَهم والعمل.

المؤشر التاسع: عدم قصرهم معاني الآيات على أحوال خاصة.

المعيار الثالث: **نماذج من تدبر السلف الصالح**:

المؤشر الأول: نماذج من تدبر الصحابة.

المؤشر الثاني: نماذج من تدبر التابعين ومن بعدهم.

المعيار الرابع: **البرنامج التطبيقي للدارسين**:

المؤشر الأول: أن يُقدم بحثًا يجمع فيه عددًا من التدبرات - وَفق ما درسه - دراسة استقرائية وصفية.

المؤشر الثاني: أن يُقدم نموذجًا لآيات مختارة يجمع فيها بين الجمع والاجتهاد الذاتي بما لا يقل عن الثلث.

المؤشر الثالث: أن يُقدم بحثًا عن دراسة نقدية لنماذج من التدبر التي خالفت المنهج الصحيح للتدبر.

❑ **المجال الفرعي الرابع: موانع تدبر القرآن وأسباب الخطأ فيه وعلاجها:**

ويتضمن (٧) معايير:

المعيار الأول: موانع التدبر الشخصية: ويشمل المؤشرات التالية:

المؤشر الأول: أمراض القلب والإصرار على المعاصي.

المؤشر الثاني: انشغال القلب أو الجوارح بغير المتلوّ.

المؤشر الثالث: قَصْر حضور القلب على أوقات أو آيات معينة.

المؤشر الرابع: توهُّم عدم دخول الواقع تحت القرآن وقَصْره على أحوال انتهت.

المؤشر الخامس: ترْك التدبّر تورعًا عن القول في كلام الله بغير علم.

المؤشر السادس: الوقوف عند جمال الصوت وانصراف الهمّة إلى تكثير الختمات.

المؤشر السابع: قَصْر الهمّة على تحقيق الحروف والمخارج.

المؤشر الثامن: تقديم ما دون التدبّر من العلوم والمعارف.

المؤشر التاسع: الذنوب والمعاصي، ومنها: الحسد، والحقد، والرياء، وحُب الظهور، وسوء الظن، والكِبر، والعُجب، والتكبّر.

المؤشر العاشر: الغفلة عن سماع القرآن.

المعيار الثاني: موانع التدبر الأُسرية والاجتماعية. ويشمل المؤشرات التالية:

المؤشر الأول: عدم اهتمام الأسرة بجانب التدبّر، وإذكائه بين أفرادها.

المؤشر الثاني: اهتمام المجتمع بحفظ القرآن دون فهم معانيه وتدبّره.

المؤشر الثالث: تقليص المجتمع لدور القرآن الكريم.

المؤشر الرابع: شيوع العاميّة بين أفراد المجتمع.

المؤشر الخامس: الأميّة العقليّة، وشيوع روح التقليد والتبعيّة.

المؤشر السادس: شيوع استخدام التقنية ومواقع الإنترنت، والتلهّي بها عن القرآن.

المعيار الثالث: موانع التدبر المنهجية ويشمل المؤشرات التالية:

المؤشر الأول: عدم التصور الصحيح للقرآن الكريم.

المؤشر الثاني: التعبير عن القرآن الكريم بغير أسمائه وأوصافه.

المؤشر الثالث: الفهم الخاطئ لمعاني كلام الله تعالى.

المؤشر الرابع: قلة العلم بعلوم القرآن واللغة وسائر العلوم الخادمة للتفسير، من خلال:

١ - الخلط الكبير في منهج التعامل مع النصوص في مجال علوم القرآن.

٢ - قلة العلم بما يتعلق بجمع القرآن.

٣ - القول بالزيادة والنقص في القرآن.

٤ - الجهل العظيم بطرق نقل القراءات القرآنية.

المؤشر الخامس: الزهد والتزهيد في كتب التفاسير.

المعيار الرابع: أَسْبَابُ الفَهْمِ الخَاطِئِ فِي تَدَبُّرِ القُرآنِ.

ويشمل المؤشرات التالية:

المؤشر الأول: الزيغ والانحراف العقدي.

المؤشر الثاني: اتباع الهوى يعمي ويصم عن فهم القرآن.

المؤشر الثالث: الكِبْر من موانع الفهم الصحيح.

المؤشر الرابع: التعصب والتقليد الأعمى لطائفة أو مذهب بعينه.

المؤشر الخامس: اتباع المتشابهات وترك المحكم من كتاب الله.

المؤشر السادس: الاعتماد على الأحاديث الواهية والضعيفة عند التدبر والتفسير.

المؤشر السابع: الجهل بالناسخ والمنسوخ يؤدي إلى الفهم الخاطئ.

المؤشر الثامن: الجهل بأسباب النزول.

المؤشر التاسع: الاعتماد على الإسرائيليات من غير تثبت أو تحقق.

المؤشر العاشر: عدم معرفة مدلولات ألفاظ اللغة العربية، ومخالفة الراسخين في العلم

المؤشر الحادي عشر: لَيُّ أعناق النصوص وتحريف الأدلة عن مواضعها.

المعيار الخامس: نتاج الفَهْمِ الخَاطِئِ فِي تَدَبُّرِ القُرْآنِ.

ويشمل المؤشرات التالية:

المؤشر الأول: وجود تصورات خاطئة عن أقوام من البشر.

المؤشر الثاني: الفهم الخاطئ يوقع في حبائل أهل الهوى.

المؤشر الثالث: الفهم الخاطئ يؤدي إلى الشعور بتناقض القرآن.

المؤشر الرابع: عدم الفهم يؤدي إلى الاعتقاد بمخالفة القرآن للوقائع والحوادث التاريخية.

المؤشر الخامس: الفهم الخاطئ يؤدي إلى الافتراء على الأنبياء واتهامهم بما لا يتصوره مسلم.

المؤشر السادس: إخضاع الآيات القرآنية لمخترعات الكفار بسبب الفهم الخاطئ.

المعيار السادس: أَمْثِلَةٌ للفَهْمِ الخَاطِئِ فِي تَدَبُّرِ القُرْآنِ الكَرِيمِ.

ويشمل دراسة تطبيقية على خمسة نماذج على الأقل متنوعة.

المعيار السابع: سُبُلُ الوِقَايَةِ والعِلَاجِ مِنَ الفَهْمِ الخَاطِئِ فِي التَّدَبُّرِ:

ويشمل المؤشرات التالية:

المؤشر الأول: جمع الآيات القرآنية أو بعضها ذات العلاقة بالآية المراد فهمها وتدبرها.

المؤشر الثاني: جمع الأحاديث النبوية الثابتة أو بعضها ذات العلاقة بالآية المراد تدبرها.

المؤشر الثالث: الرجوع إلى أقوال العلماء عند تدبر الآيات، وفي مقدمتهم السلف الصالح.

المؤشر الرابع: معرفة مدلولات ألفاظ الكلمة القرآنية بالرجوع إلى دواوين الشعر واللغة.

المؤشر الخامس: مراعاة السياق الذي مرّت به اللفظة القرآنية.

المؤشر السادس: معرفة أسباب النزول والتنبه إلى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

المؤشر السابع: الإحاطة بعلم الناسخ والمنسوخ يعين على فهم القرآن فهمًا دقيقًا.

المؤشر الثامن: التجرد من الأهواء والتصورات والنظريات السابقة، والقرآن متبوعًا لا تابعًا.

ثالثًا: مفردات المقرر:

❐ توزيع الوحدات الدراسية:

قائمة الوحدات / المعايير	عدد الأسابيع	ساعات التدريس
الأولى: مفهوم التدبر (٨)	٣	٩
الثانية: منهجية التدبر (٦)	٤	١٢
الثالثة: تقويم مناهج تدبر القرآن الكريم (٤)	٢	٦
الرابعة: موانع تدبر القرآن وأسباب الخطأ فيه وعلاجها (٧)	٣	٩
	١٢	٣٦

❐ الموضوعات التي ينبغي تناولها:

قائمة الموضوعات	عدد الأسابيع	ساعات التدريس
المجال الفرعي الأول: مفهوم التدبر. المعيار الأول: مفهوم التدبر في اللغة والاصطلاح	١	١
المعيار الثاني: مقارنة المفهوم والعلاقة بين المصطلحات والمفاهيم القريبة من معنى «التدبر»		٢
المعيار الثالث: حقيقة تدبّر القرآن الكريم	١	١
المعيار الرابع: فضل التدبر		١
المعيار الخامس: حكم تدبر القرآن الكريم		١
المعيار السادس: أهمية التدبر	١	١
المعيار السابع: مقاصد التدبر		١
المعيار الثامن: أثر تدبر القرآن		١
المجال الفرعي الثاني: منهجية التدبر المعيار الأول: المخاطبون بالتدبر	١	١
المعيار الثاني: أغراض تدبر القرآن الكريم		١
المعيار الثالث: واجبات تدبر القرآن الكريم		١
المعيار الرابع: وسائل التدبر أولًا: تهيئة القلب قبل البدء في التلاوة والتدبّر	١	١
ثانيًا: وسائل التدبر الإجرائية:		١
ثالثًا: وسائل التدبر المنهجية:		١

قائمة الموضوعات	عدد الأسابيع	ساعات التدريس
رابعًا: طرق التدبر المعينة على تجدد المعاني	١	١
خامسًا: تفعيل وسائل التدبر الإدراكية في النفس.		١
سادسًا: وسائل الحفاظ وتنمية التدبر.		١
المعيار الخامس: الأسباب المعينة على التدبر.	١	١
المعيار السادس: مجالات تدبر القرآن وضبطها		٢
المجال الفرعي الثالث: المنهج القويم في تدبر القرآن الكريم: المعيار الأول: المنهج النبوي في تدبر القرآن	١	١
المعيار الثاني: منهج السلف الصالح في تلقّي القرآن وتدبّره		٢
المعيار الثالث: نماذج من تدبر السلف الصالح	١	١
المعيار الرابع: البرنامج التطبيقي للدارسين		٢
المجال الفرعي الرابع: موانع تدبر القرآن وأسباب الخطأ فيه وعلاجها: المعيار الأول: موانع التدبر وصوارفه الشخصية.	١	١
المعيار الثاني: موانع التدبر وصوارفه الأُسَرية والاجتماعية.		١
المعيار الثالث: موانع التدبر وصوارفه المنهجية.		١
المعيار الرابع: أَسْبَابُ الفَهْمِ الخَاطِئِ فِي تَدَبُّرِ القُرآنِ.	١	٢
المعيار الخامس: نتاج الفَهْمِ الخَاطِئِ فِي تَدَبُّرِ القُرْآنِ.		١

قائمة الموضوعات	عدد الأسابيع	ساعات التدريس
المعيار السادس: أَمْثِلَةٌ للفَهْمِ الخَاطِئِ فِي تَدَبُّرِ القُرْآنِ الكَرِيمِ:	١	١
المعيار السابع: سُبُلُ الوِقَايَةِ والعِلَاجِ مِنَ الفَهْمِ الخَاطِئِ فِي التَّدَبُّرِ:		٢
الاختبار الأول + المراجعة	١	٣
الاختبار الثاني + المراجعة	١	٣
الاختبار النهائي	١	٣
المجموع الكلي	١٥	٤٥

رابعًا: طرق التدريس:

١) اعتماد الكتب المقررة.

٢) الاهتمام بالكتب المساعدة والمصادر والمراجع في التخصص.

٣) استخدام التقنيات الحديثة والوسائط المتاحة، ونحوها.

٤) تدريب الدارسين على التطبيقات العملية.

٥) يختار الأستاذ ما يناسب طبيعة الدرس وينوع حسب العنصر:

❊ الحوار والمناقشة.

❊ التدريس عن طريق المجموعات وورش العمل.

❊ عرض بعض التقارير والبحوث.

❊ التعلم الفردي (الذاتي).

* التعلم التعاوني.

خامسًا: وسائل التقويم:

١) إجراء الاختبارات الدورية والنشاط (٣٠) درجة.

٢) التكليف بالبحوث المتخصصة (٢٠) درجة.

٣) إجراء الاختبارات النهائية (٥٠) درجة.

سادسًا: مراجع المقرر:

١- **بحوث المؤتمر الأول لتدبر القرآن الكريم - الدوحة - قطر- شعبان (١٤٣٤هـ)، والمؤتمر الثاني لتدبر القرآن الكريم- الدار البيضاء-المغرب - محرم (١٤٣٧هـ).**

٢- **(مفهوم التدبر تحرير وتأصيل)** أوراق عمل للملتقى العلمي الأوّل لتدبر القرآن الكريم، والمنعقد في الرياض سنة (١٤٢٩هـ)، وأوراق الملتقى العلمي الثاني لتدبر القرآن الكريم، والمنعقد في الرياض سنة (١٤٣١هـ).

٣- **أوراق مؤتمر فهم القرآن مناهج وآفاق** الذي عُقد في جمعية المحافظة على القرآن الكريم بالأردن.

٤- **الكتب المؤلفة في تدبر القرآن الكريم.**

٥- **كتب تفسير القرآن**: وأهمها تفسير ابن جرير، والثعلبي، والبغوي، وابن عطية، والرازي، وابن كثير، والآلوسي، وابن سعدي، والشنقيطي، وابن عاشور، وابن عثيمين.

٦- **كتب أحكام القرآن**: وأهمها: أحكام القرآن للشافعي، والطحاوي، والجصاص، وابن العربي، وابن الفرس، والقرطبي، وابن عثيمين.



الكتب المؤلفة في تدبر القرآن الكريم:

❐ أولًا: الكتب:

* أبرز أسس التعامل مع القرآن، أ.د. عيادة أيوب الكبيسي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث (دبي).

* إتحاف القاري بوسائل التدبر لكلام الباري، عبد الرحمن بن عبد العزيز الدهامي، مدار الوطن (الرياض).

* الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية، أ.د. عبد الله بن عبد الغني سرحان، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، دار الحضارة للنشر والتوزيع (الرياض).

* أسوار العفاف: قبس من سورة النور، د. عصام بن صالح العويد، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، دار الحضارة للنشر والتوزيع (الرياض).

* إضاءات حول تدبر القرآن، عبد الله علي بصفر، دار نور المكتبات (جدة).

* أفلا يتدبرون القرآن: معالم منهجية في التدبر والتدبير، طه جابر فياض العلواني، دار السلام (القاهرة).

* أفلا يتدبرون القرآن، أ.د. ناصر بن سليمان العمر، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، دار الحضارة للنشر والتوزيع (الرياض).

* أفلا يتدبرون القرآن، حسن عز الدين الجمل، دار الفكر العربي (القاهرة).

* أفلا يتدبرون القرآن، د. أسماء بنت راشد الرويشد، مدار الوطن (الرياض).

* أفلا يتدبرون القرآن، هشام السيد المغاوري وعبد الرؤوف حسن خليل، مدينة الطيبات العالمية للعلوم والمعرفة (جدة).

* انشراح الصدور في تدبر سورة النور، أ.د. سليمان بن إبراهيم اللاحم، دار

العاصمة (الرياض).

* بدائع المعاني (آيات الصيام: تدبر وتحليل)، د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، دار الحضارة للنشر والتوزيع (الرياض).

* التبيان في تدبر القرآن، أ.د. أحمد عيسى المعصراوي و أ.د. عبد الكريم إبراهيم صالح، دار السلام (القاهرة).

* تحريك الجنان لتدبر وتوقير أم القرآن، د. عصام بن صالح العويد، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، دار الحضارة للنشر والتوزيع (الرياض).

* تحقيق الوصال بين القلب والقرآن، د. مجدي الهلالي، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة (القاهرة).

* تدارك بقية العمر في تدبر سورة النصر، أ.د. سليمان بن إبراهيم اللاحم، دار العاصمة (الرياض).

* تدبر القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، د. رقية طه العلواني، (رأس الخيمة).

* تدبر القرآن الكريم ودوره في النهوض الحضاري في المجتمعات الإسلامية، فؤاد عبد الرحمن البنا، مؤسسة نفت (اليمن).

* تدبر القرآن الكريم وقفات ولفتات، د. عبد الله الرحيلي.

* تدبر القرآن من علامات الإيمان، وليد بن محمد بن سلامة، دار ابن حزم (القاهرة).

* تدبر القرآن وأثره في تزكية النفوس، د. محمد بن عمر بن سالم بازمول، دار الاستقامة (القاهرة).

* تدبر القرآن، د. صالح بن فوزان الفوزان، دار القاسم (الرياض).

* تدبر القرآن، سعيد عبد العظيم، دار الخلفاء الراشدين (الإسكندرية).

* تدبر القرآن، عمر السنيدي، وله ملخص له في كُتيب صغير وكلاهما صدرا عن مجلة البيان (الرياض).

* التدبر الموضوعي في القرآن الكريم: قراءة في المنهجين التجميعي والكشفي، علي آل موسى، دار كميل (بيروت).

* التدبر حقيقته وعلاقته بمصطلحات التأويل والاستنباط والفهم والتفسير: دراسة بلاغية تحليلية على آيات من الذكر الحكيم، أ.د. عبد الله عبد الغني سرحان، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، دار الحضارة للنشر والتوزيع (الرياض).

* تدبر سورة الفرقان، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم (دمشق).

* تدبر سورة الكهف، أ.د. ناصر العمر، مؤسسة ديوان المسلم (الرياض).

* تدبر سورة النور، أ.د. ناصر العمر، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، دار الحضارة للنشر والتوزيع (الرياض). (تحت الطباعة).

* تدبر سورة يوسف، أ.د. ناصر العمر، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، دار الحضارة للنشر والتوزيع (الرياض).

* تدبر في أمثال القرآن، مصطفى عبد الله حسين أحمد، (القاهرة).

* التدبر في سور القرآن الكريم: سورة الفاتحة وسورة البقرة، سامية طنطاوي، دار الكتاب الحديث (القاهرة).

* التدبر: مفهومه وأركانه وأنواعه، د. خالد بن عثمان السبت، مجلة البحوث

الإسلامية، عدد ٩٩ (ربيع أول - جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ).

* التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي، دار عَمَّار (عَمَّان).

* تعلم القرآن الكريم وتعليمه وتدبره، أحمد حسين عبد الكريم، دار الغوثاني للدراسات القرآنية. وهو من سلسلة بعنوان (كيف يُحيي القرآن الكريم المسلمين).

* تفسير سورة الحمد مع تطبيق عملي لقواعد تدبر القرآن الكريم، منى محمد الشافعي، دار اليسر (القاهرة).

* ثلاثون مجلسًا في التدبر: مجالس علمية وإيمانية، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، أربع مجموعات، دار الحضارة للنشر والتوزيع (الرياض).

* جماليات النظم في قصة المراودة في سورة يوسف، د. عويض بن حمود العطوي، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، دار الحضارة للنشر والتوزيع (الرياض).

* حتى نتدبر منهاج الله، د. عدنان علي رضا النحوي، دار النحوي (الرياض).

* الحدائق الحسان في تدبر آي القرآن، عبد المحسن بن إبراهيم العمران، مطابع الفسطاط الحديثة (الرياض).

* الحرز الأمين في تدبر سورة الإخلاص والمعوذتين، أ.د. سليمان بن إبراهيم اللاحم، دار العاصمة (الرياض).

* حصاد سبع سنوات من التدبر: مجلد يجمع التدبرات في الأجزاء السبع لكتاب «ليدبروا آياته» مرتبة ومفهرسة، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، دار الحضارة للنشر والتوزيع (الرياض). (تحت الطباعة).

* الخارطة الذهنية للقرآن الكريم: سورة البقرة أنموذجًا: الطريق الأسهل

للحفظ والتدبر معًا، د. إبراهيم بن عبد الله الدويش، دار الميمان (الرياض).

* الخطاب القرآني المعاصر: دعوة لتدبر القرآن العظيم، جمال نصار حسين، دار الإسراء (عمَّان).

* دعوة إلى تدبر القرآن الكريم: كيف ولماذا، مختار شاكر كمال، مؤسسة الرسالة والشركة المتحدة (بيروت).

* دليل فهم القرآن المجيد، أحمد بن مسفر العتيبي، مكتبة الرشد (الرياض).

* ربح أيام العمر في تدبر سورة العصر، أ.د. سليمان بن إبراهيم اللاحم، دار العاصمة (الرياض).

* شيفرة القرآن الكريم: ثورة في عالم التدبر والتفسير القرآني، ماجد حسن الحنبلي، (عمَّان).

* الصَّوارف عن فهم وتدبُّر القرآن الكريم، د. محمد بن يوسف الجوراني.

* طريقك إلى الاستمتاع بالقرآن: دراسة موضوعية لألفاظ التلاوة والتدبر والترتيل في الكتاب العزيز، عبد الرحمن بن محمد البردعي، دار طيبة الخضراء (مكة).

* علم تاريخ نزول آيات القرآن الكريم وسوره: منهج في تدبر القرآن، أحمد خالد يوسف شكري وعمران سميح نزال، دار الفرقان وجمعية المحافظة على القرآن الكريم (عمَّان).

* العودة إلى القرآن: لماذا وكيف، د. مجدي الهلالي، دار التوزيع والنشر الإسلامية (القاهرة).

* فقه قراءة القرآن، سعيد يوسف، مكتبة السنة (القاهرة).

* فن التدبر، د. عصام بن صالح العويد، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، دار الحضارة للنشر والتوزيع (الرياض).

* في رحاب القرآن، محمد مصطفى أمين أبو هاشم، دار النور المبين (عمَّان).

* في رحاب تدبر القرآن الكريم، مختار شاكر كمال، دار الفاروق (عمَّان).

* قبسات من الكتاب والسنة: تدبر وظلال (٣ أجزاء)، د. عدنان علي رضا النحوي، دار النحوي (الرياض).

* قبسات من تدبر القرآن الكريم، مختار شاكر كمال، دار الفاروق (عمَّان).

* القراءة والتلاوة والتدبر والترتيل (من سلسلة المفهومات القرآنية)، د. عبد الرحمن حللي، دار الملتقى (سوريا).

* القرآن الكريم والأصول في تدبره: تمعنات في تعاليمه وخصائصه، د. محمد حسين صفوري، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر (بيروت).

* قواعد التدبر الأمثل للقرآن الكريم، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم (دمشق).

* قواعد قرآنية: خمسون قاعدة في النفس والحياة، د. عمر بن عبد الله المقبل، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، دار الحضارة للنشر والتوزيع (الرياض).

* القواعد والأصول وتطبيقات التدبر، د. خالد بن عثمان السبت، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، دار الحضارة للنشر والتوزيع (الرياض). (تحت الطباعة)

* الكنز الثمين من تدبر العلامة محمد بن صالح العثيمين، ناصر القطامي، مجموعة آيات للإعلام القرآني (الرياض).

* كيف نتدبر القرآن، فواز زمرلي، دار البشائر الإسلامية (بيروت).

* كيف ننتفع بالقرآن الكريم (خطوة نحو تدبر أمثل)، د. أحمد البراء الأميري، مؤسسة الريان (بيروت).

* كيف ننتفع بالقرآن، د. مجدي الهلالي، (القاهرة).

* لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، د. فاضل السامرائي، دار عمَّار (عمَّان).

* ليدبروا آياته، أ.د. ناصر العمر، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، دار الحضارة للنشر والتوزيع (الرياض).

* ليدبروا آياته، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، ثماني مجموعات هي حصاد رسائل جوال تدبر التابع للمركز، دار الحضارة للنشر والتوزيع (الرياض).

* مبادئ أساسية لفهم القرآن، أبو الأعلى المودودي، الدار السعودية للنشر والتوزيع (جدة).

* مبادئ تدبر القرآن الكريم، د. عبد المحسن بن زبن المطيري، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، دار الحضارة للنشر والتوزيع (الرياض). (تحت الطباعة).

* مجالس القرآن: مدخل إلى منهج تدارس القرآن العظيم وتدبره من التلقي إلى التزكية، فريد الأنصاري، ألوان مغربية للنشر والتوزيع (مكناس) ومطبعة النجاح الجديدة (الدار البيضاء).

* مجالس قرآنية: وقفات بيانية ودلالات تربوية، د. عويض بن حمود العطوي، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، دار الحضارة للنشر والتوزيع (الرياض).

* المختارات من المناسبات بين السور والآيات، إبتسام بنت عمر العمودي، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، دار الحضارة للنشر والتوزيع (الرياض).

* مداخل أساسية لتدبر القرآن، محمد محمد خليفة، قوت الأبرار للنشر والتوزيع (الإسكندرية).

* مدارج الحفظ والتدبر: أيسر الوسائل لحفظ القرآن الكريم وتدبره، أ.د. ناصر العمر، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، دار الحضارة للنشر والتوزيع (الرياض).

* المدخل إلى الدراسات القرآنية: مبادئ تدبر القرآن والانتفاع به، أبو الحسن الندوي، دار الصحوة (القاهرة).

* المراحل الثمان لطالب فهم القرآن، د. عصام العويد، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، دار الحضارة للنشر والتوزيع (الرياض).

* مشروع الحياة من جديد (دعوة لتدبر القرآن)، د. أسماء الرويشد، مدار الوطن (الرياض).

* معارج التفكر ودقائق التدبر (تفسير تدبري للقرآن الكريم بحسب ترتيب النزول وَفق منهج كتاب «قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ»، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم (دمشق).

* معالم لفهم القرآن الكريم، د. عمر يوسف حمزة، مركز الكتاب (القاهرة).

* المعين على تدبر الكتاب المبين، سعد بن أحمد حنتوش، مركز المعين.

* المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي، وهو تفسير تدبري مختصر في مجلد، دار نور المكتبات (جدة).

* مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة: عشرة مفاتيح لتحقيق التدبر الأمثل،

د. خالد اللاحم، مطبعة سفير (الرياض).

* مفاتيح فهم وتدبر القرآن الكريم وتحقيق النجاح في الحياة، سعيد عبد العظيم، دار الإيمان (الإسكندرية).

* مفاتيح للتعامل مع القرآن الكريم، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم (دمشق).

* مفهوم التدبر: تحرير وتأصيل (أوراق عمل الملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن الكريم)، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم.

* مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، د. مساعد الطيار، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية - الدمام).

* منزلة التدبر، جمال القرش، مكتبة طالب العلم.

* منهج تدبر القرآن الكريم، أ.د حكمت بن بشير ياسين، دار الحضارة للنشر والتوزيع (الرياض).

* مواجهة الصدمات النفسية في سورة مريم، فوزية الخليفي، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، دار الحضارة للنشر والتوزيع (الرياض).

* المواهب الربانية من الآيات القرآنية، الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، دار الحضارة للنشر والتوزيع (الرياض).

* نحن والقرآن: مقدمات في أصول التدبر: دراسة منهجية نقدية في علم التفسير، مصطفى بو هندي، مطبعة النجاح الجديدة (الدار البيضاء).

* النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر: مدخل إلى نقد القراءات وتأصيل علم التدبر القرآني، د. قطب الريسوني، وزارة الأوقاف والشؤون

الإسلامية (المغرب).

* نظرات في كتاب الله الحكيم، بسام جرار، مركز نون للأبحاث والدراسات القرآنية.

* نفائس التدبر، جمال إبراهيم القرش، الدار العالمية للنشر والتوزيع (الإسكندرية).

* نَمِّ تفكيرك في تدبر القرآن الكريم: إجابة أكثر من خمس مئة سؤال على مهارة المقارنة والاستدلال والاستنباط، جمال القرش، الدار العالمية للنشر والتوزيع (الإسكندرية).

* هكذا عاشوا مع القرآن: قصص ومواقف، د. أسماء بنت راشد الرويشد، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، دار الحضارة للنشر والتوزيع (الرياض).

* وسائل عملية لتدبر القرآن، عبد اللطيف التويجري، مجلة البيان (الرياض).

* وقف التدبر: معناه وأنواعه وأحكامه، د. محمود بن عبد الجليل رزون، مكتبة العلوم والحكم، (مصر - محافظة الشرقية).

* يا بني: موعظة لقمان لابنه، د. عويض بن حمود العطوي، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، دار الحضارة للنشر والتوزيع (الرياض).

❑ **ثانيًا: الرسائل العلمية:**

* تدبر القرآن الكريم: دوافعه وموانعه، عبد اللطيف التويجري، رسالة ماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض).

* تدبر القرآن الكريم: دراسة تأصيلية، د. محمد الصاوي، رسالة دكتوراه في الجامعة الإسلامية (المدينة النبوية).

* تدبر القرآن الكريم عند الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، عبد الله بن عمر العمر، رسالة ماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض).

* تدبر القرآن الكريم عند الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ، رسالة ماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض).

* تدبر القرآن الكريم وأثره في تزكية المسلم، إبتسام حسين عبد الحفيظ المحبشي، رسالة ماجستير في جامعة الإيمان (اليمن).

* دعوة القرآن إلى التدبر من خلال الفاصلة القرآنية، د. محمود شعبان إبراهيم مصطفى، رسالة دكتوراه في جامعة الأزهر (مصر).

* منهجية التدبر في القرآن الكريم وتطبيقاتها في مجال التربية العقلية لطالبات المرحلة الثانوية، إيمان بنت زكي أسرة، رسالة ماجستير في كلية التربية لجامعة أم القرى (مكة).

* ويوجد رسالة مسجلة للدكتوراه في جامعة ظهر المهراز (المغرب)، لكن معدها قد تراجع عنها ولم يقم بكتابتها، وهي ما زالت مسجلة بعنوان: تدبر القرآن: مفهومه وضوابطه، للحسن بو قسيمي.

❐ ثالثًا: البحوث العلمية المحكمة:

* أثر القراءة بالتجويد في تدبر القرآن المجيد: (دراسة تأصيلية)، باسم بن حمدي بن حامد السيد، مجلة الحكمة (بريطانيا)، (١٤٣٥هـ).

* أثر معلم القرآن الكريم في تعليم التدبر، د. إبراهيم بن صالح بن عبد الله الحميضي، مجلة البحوث والدراسات الشرعية (مصر)، مجلد (٢) عدد (١٤) (ذو القعدة ١٤٣٤هـ).

* استخدام المستحدثات التقنية في تدبر القرآن الكريم: عرض وتقييم، عادل

ابن عبد الله باريان، بحوث المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، كرسي القرآن الكريم وعلومه في جامعة الملك سعود، مجلد ٤ (١٤٣٤هـ).

* أفلا يتدبرون القرآن، الغزالي خليل عيد، مقال من مجلة كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (١٣٩٧ - ١٣٩٨هـ).

* بين ختم القرآن وتدبر آياته، حسين هاشم، مقال في مجلة الوحدة الإسلامية (بيروت)، (١٤١٠هـ).

* تدبر القرآن الكريم (مفهومه، أساليبه، أسبابه، آثاره)، د. فهد الوهبي، مجلة الدراسات القرآنية (تبيان)، عدد ٨ (١٤٣٢هـ).

* تدبر القرآن الكريم، محسن عبد الناظر، النشرة العلمية للكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين (تونس)، عدد ٧ (١٩٨٤م).

* تدبر القرآن بين المنهج الصحيح والانحرافات المعاصرة، عيادة أيوب سويدان الكبيسي، مقال في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية (دبي)، ربيع الأول (١٤٢١هـ).

* تدبر القرآن: الحكم والحكمة، د. أحمد بن عبد الله الفريح، مجلة الأزهر، (١٤٣٠هـ).

* تدبر القلب والعقل للقرآن الكريم: الموانع والوسائل، علي الأمين عوض الله، مجلة كلية الأصول بجامعة أم درمان الإسلامية (السودان)، عدد ٧ (رمضان ١٤٣٢هـ).

* التدبر: أهميته وفوائده وأثر المصطلحات والدلالات اللغوية والبلاغية في تدبر معاني القرآن الكريم، أشرف محمد زيدان، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة الجلفة (الجزائر)، عدد ١٢ (ذو القعدة ١٤٣٤هـ).

* تعليم تدبر القرآن الكريم، د. هاشم الأهدل، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي (جدة).

* شروط تدبر القرآن الكريم وموانعه، د. خالد السبت، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية (جدة)، عدد ١١ (جمادى الآخرة ١٤٣٢هـ).

* ضوابط أصولية في تدبر القرآن، يوسف بن أحمد بن محمد البدوي، مجلة الجمعية الفقهية السعودية التابعة لكلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عدد ١٥ (صفر/ جمادى الأولى ١٤٣٤هـ).

* فقه التدبر في القرآن الكريم وأثره في تنمية الملكة الفقهية والتفسيرية، محمد فتحي محمد العتربي، حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية لكلية دار العلوم في جامعة القاهرة، مجلد ٧ عدد ٢٥ (١٤٣٢هـ).

* كيف نُعلم أبناءنا تدبر القرآن الكريم، د. هشام الأهدل، مجلة المعرفة، عدد ١٦٢ (رمضان ١٤٢٩هـ).

* مدى ممارسة معلم القرآن الكريم للأنشطة التدريسية اللازمة لتحقيق التدبر، زيد بن علي الغيلي، وعبد الله بن عثمان المنصوري، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية (جدة)، مجلد ٢٥ عدد ٢ (٢٠٠٩م).

* معالم منهجية في فقه القرآن الكريم، عبد العزيز بن محمد السحيباني، مجلة الجامعة الإسلامية (المدينة النبوية)، مجلد ٤٤ عدد ١٥٥ (٢٠١٠م).

* مفاتح تدبر القرآن الموصلة إلى النجاح في الحياة الدنيا والآخرة، د. عثمان فوزي علي ونزار علي عبد، مجلة «سُرَّ مَن رأى» لجامعة سامراء، (مجلد ٥ عدد ١٣ كانون الثاني ٢٠٠٩م).

* مفهوم التدبر في ضوء الدراسة التحليلية لآياته في القرآن، د. محمد بن

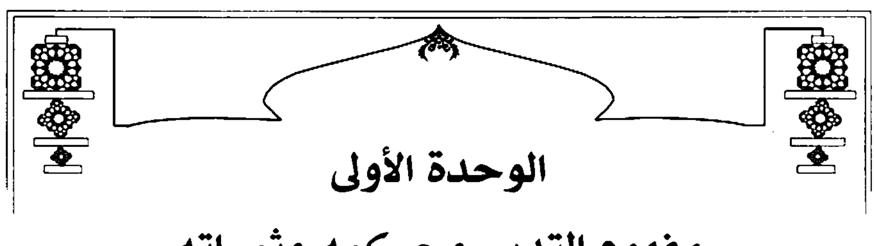
زيلعي هندي، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى.

* مفهوم التلاوة والترتيل والتدبر في القرآن، منظور بن محمد بن محمد بن رمضان، مجلة جامعة أم القرى، عدد ٣٠ (جمادى الأولى ١٤٢٥هـ).

* منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تدبر القرآن الكريم، د. محمد بن بكر آل عابد، دار الطرفين ومكتبة الفرقان (مكة).

* موانع تأثير القرآن الكريم في النفوس وعلاجها، محسن الخالدي، مجلة جامعة النجاح للعلوم الإنسانية (فلسطين)، مجلد ٢٥ عدد ٥ (٢٠١١م).





الوحدة الأولى

مفهوم التدبر وحكمه وثمراته

المعيار الأول: مفهوم التدبر في اللغة والاصطلاح:

أولًا: من مدلولات «التَّدَبُّر» ومشتقاته في اللغة:

إن تحرير المصطلحات العلمية وضبطها من أهم المسائل التي عُني بها العلماء لضبط العلوم، حيث إنها عنوان ما يتميز به كل علم عما سواه، والحقائق العلمية منها ما يكون متفقًا على مضمونه، كالمصطلحات الشرعية في الغالب، من صلاة وزكاة وحج وإيمان وكفر وغيرها، ومنها ما يختلف العلماء فيه، فيقع لغير العارف بمرادهم الخلط والخطأ. والكلمة التي ندرسها في هذا البحث هي من الحقائق التي يتفق العلماء على مضمونها وإن اختلفت العبارات.

«ثم إن التدبر قد أصبح حقيقة عرفية عند المفسرين، والمراد بها تدبر القرآن؛ فإذا أطلق التدبر عندهم فالمراد به أخص من المدلول العام للتدبر»[١].

فأصل كلمة التدبر من الفعل الثلاثي (دَبَرَ) أو الرباعي (أَدْبَرَ) وهذا ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ٣٣﴾ [المدثر: الآية ٣٣]؛ كما في قراءة نافع، وحفص عن عاصم، وحمزة، ويعقوب، وخلف العاشر، ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ دَبَرَ ٣٣﴾ [المدثر: الآية ٣٣] بالفعل الرباعي على وزن: (أَكْرَمَ).

---

(١) ينظر: تحرير معنى التدبر عند المفسرين، للدكتور مساعد الطيار، بحث ضمن كتاب مفهوم التدبر-تحرير وتأصيل- ص١٥٥، مطبوعات مركز تدبر.

والقراءة الأخرى: «والليل: إذ دَبَر» بالفعل الثلاثي على وزن (كَرَمَ) وهي قراءة الباقين من القراء: ابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، والكسائي، وأبي جعفر، ورواية شعبة عن عاصم[1].

❐ **ومادة (دَبَرَ) في معاجم اللغة تدور حول معانٍ عديدة، أبرزها وأظهرها، كما يلي:**

١- مؤخرة الشيء ونهايته:

وفي ذلك يقول ابن سِيده: «ودُبُر كل شيء: عَقِبُه ومؤخَّره، ودُبُر الشهر: آخره، يقال: جئتك دُبُر الشهر، وفي دُبُره، وعلى دُبُره، والجمع من كل ذلك أدْبار... ودُبُر البيت: مؤخره وزاويته»[2].

ومن ذلك: الدُّبُر الذي يُكنى به عن مؤخرة الإنسان ونحوه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال: الآية ٥٠]، وذلك «حين يتوفى الملائكة أرواح الكفار، فتنزعها من أجسادهم، تضرب الوجوه منهم والأستاه»[3].

وقال تعالى: ﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ﴾ [يوسف: ٢٦- ٢٧].

ويُذكر هذا المدلول مقابل «القُبُل» كثيرًا، ويُكنى بهما عن العضوَيْن

---

(١) الغاية في القراءات العشر، للنيسابوري ص٢٨٢ .

(٢) المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن، علي بن إسماعيل بن سيده ٩/ ٣١٠ «دبر» بتصرف.

(٣) جامع البيان، للطبري (٣١٠ هـ) ١٣/ ١٥ .

المعروفيْن، ويُطلق «الدُّبُر» على الظَّهْر أيضًا كما هو معلوم.

قال ابن فارس: «وهو آخِرُ الشَّيء، وخَلْفُه خِلَافُ قُبُلِهِ . . . ودبَّرْتُ الحديثَ عن فُلانٍ: إذا حدَّثتَ به عنه، وهو من الباب؛ لأنَّ الآخِر المحدِّثَ يَدْبُر الأوّلَ يجيءُ خَلْفَه. . . وفي الحديث: «ولا تَدَابَرُوا»[١]، وهو من الباب، وذلك أنْ يترُكَ كلُّ واحدٍ منهما الإقبالَ على صاحبه بوجهه. . .»[٢].

٢- التولّي والذَّهَاب:

ومن ذلك أنه «يُقال للقوم في الحرب إذا فرّوا: ولَّوْهم الدُّبُر والأَدْبار. وأما الإدْبار فالتولية نفسها، ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطُّور: الآية ٤٩] عند الصبح في آخر الليل إذا أدْبرَت مولية نحو المغرب»[٣].

ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفَال: الآية ١٦].

وكما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ [الطُّور: الآية ٤٩]. أي: عند ذَهابها في آخر الليل مع قرب قدوم الصبح.

وكما ورد في قول الخليل بن أحمد الفراهيدي: «ويقال للقوم في الحرب: وَلَّوْهُم الدُّبُر والإدْبَار. والإدْبَار: التولية نفسها»[٤]. ومنه قولهم: «دَبَرَ بالشيء:

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن التحاسد والتباغض والتدابر ٢٥٥٨.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٣/ ٣٢٤.

(٣) كتاب العين ٨/ ٣٢ «دبر» بتصرف.

(٤) العين للخليل بن أحمد ٨/ ٣٣.

ذهب به. ودَبَرَ الرجلُ: ولّى وشَيَّخ»[١]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾﴾ [المدّثّر: الآية ٣٣] أي: ولّى وذهب.

٣- النّظر في عواقب الأمور:

يقول الخليل: «والتَّدْبير: نظر في عواقب الأمور، وفلان يتَدَبَّر أَعْجَازَ أُمُوْرٍ قد وَلَّت صدورها»[٢] أي: يتأمل فيها وينظر في عواقبها.

ويقال: «استَدْبَر فلان من أمره ما لم يكن استقبل، أي: نظر فيه مستدبرًا فعرف مِنْ عاقبته ما لم يعرف مِنْ صدره، ويقال: تَدَبَّرَ: نظر في إدباره؛ أي: في عواقبه»[٣].

وقال ابن منظور: «دَبَّرَ الأَمْرَ وتَدَبَّره، أي: نظر في عاقبته. واسْتَدْبَرَه: رأى في عاقبته ما لم ير في صدره. وعَرَفَ الأَمْرَ تَدَبُّرًا، أَي: بأَخَرَةٍ، قال جرير:

ولا تَتَّقُونَ الشَّرَّ حتى يُصِيبَكُمْ ... ولا تَعْرِفُونَ الأَمرَ إلا تَدَبُّرَا[٤]

والتدبير في الأمر: أَن تنظر إلى ما تَؤُول إليه عاقبته، والتَّدَبُّر: التفكر فيه، وفلان ما يَدْرِي قِبَالَ الأَمْرِ من دِباره، أي: أَوَّله من آخره، ويقال: إن فلانًا لو استقبل من أَمره ما استدبره لَهُدِيَ لِوِجْهَةِ أَمْرِه، أَي: لو علم في بَدْءِ أَمره ما علمه في آخره لاسْتَرْشَدَ لأَمره[٥].

وفي الحديث: قال رسول الله ﷺ: **«لو استقبلت من أمري ما استدبرت»**[٦]،

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٤/ ٢٦٨ «دبر».

(٢) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ١٧٥هـ «دبر»٨/ ٣٣

(٣) العين ٨/ ٣٣ «دبر» بتصرف.

(٤) ديوان جرير ص٤٧٩، والأغاني ٨/ ٣٠ .

(٥) لسان العرب ٤/ ٢٦٨، وينظر: تهذيب اللغة ١٤/ ٨٠ .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب التمني، باب قول النبي ﷺ: **«لو استقبلت من أمري ما استدبرت»** ٧٧٢٦ .

فأضاف التدبر إلى شأنه وأمره ﷺ.

٤- التَفَكُّر والتَفَهُّم:

قال ابن منظور: والتَّدَبُّر: التفكر فيه[١]. وذكر غيره أن: التدَبُّر هو التفكُّر والتفهُّم في دُبُر الأمور، ومما ورد في ذلك من الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المؤمنون: الآية ٦٨]، أي: ألم يتفهموا ما خُوطبوا به في القرآن. وكذلك قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: الآية ٨٢]، أي: أفلا يتفكرون فيعتبروا[٢].

٥- الهجر والمقاطعة:

قال أَبو عُبَيْد: «والتدابر: المُصَارمة والِهجْران، مأخوذ من أن يولّي الرجل صاحبه دبره وقفاه، ويعرض عنه بوجهه ويهجره»[٣].

وفي الحديث: «**لا تَبَاغضوا ولا تَحَاسَدوا ولا تَدَابَروا...**»[٤] فالتدابر المعاداة، وقيل: المقاطعة؛ لأن كل واحد يولّي صاحبه دبره[٥] وقيل: لا يذكر أَحدكم صاحبه مِنْ خَلْفه[٦].

إلى غير ذلك من المعاني والمدلولات المفصّلة في معاجم العربية وكتبها.

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٤/ ٢٦٨ «دبر».

(٢) ينظر: تاج العروس للزّبيدي ١١/ ٢٦٦، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي ٢/ ٥٨٨ .

(٣) العين للخليل ٨/ ٣٤ «دبر»، وتاج العروس ١١/ ٢٦٥ بتصرف.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن التحاسد والتباغض والتدابر ٢٥٥٨ .

(٥) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي ١٦/ ١١٦ .

(٦) بصائر ذوي التمييز ٢/ ٥٨٧ «دبر».

❐ والخلاصة:

إنه من خلال النظر في هذه المدلولات السابقة - وهي أبرز مدلولات مادة «دَبَرَ»- نجد أن أقربها لما نحن بصدد الحديث عنه هو: التفكر، والفهم، والنظر في عواقب الأمور، وأن أصل المادة يدور حول معنى واحدٍ؛ وهو: أواخر الأشياء، وعواقبها، والتفكّر فيها.

وعليه فالتدبّر لغة يعني: النظر في أواخر الأشياء والتأمّل في عواقبها.

وفي ذلك يقول ابن فارس: «الدال والباء والراء. أصل هذا الباب أنَّ جُلَّه في قياسٍ واحد، وهو آخِر الشَّيء، وخَلْفُه خلافُ قُبُلِه، وتشذّ عنه كلماتٌ يسيرة...»(١).

ثانيًا: التعريف الاصطلاحي للتدبر:

يجدر بالباحث قبل أن يتعرض للتعريف الاصطلاحي أن ينبه على أن مصطلح «التدبّر» له مدلولان: مدلول عامٌّ؛ يفيد: التفكر في عواقب الأمور كلّها.

ومدلولٌ خاص؛ يُفَسّر بما يُضاف إليه، كتدبّر القرآن ونحوه، ومرادنا النوع الثاني لا الأول.

وتعدد فهْم المفسرين للتدبر، ولكن مع تعدّده يقترب بعضه من بعض؛ إذ تؤكد تعاريفهم كلها على: تأمل المعاني، وتبصّر الآيات والأحكام، مع التأثر بنتيجة ذلك.

قال الطبري (٣١٠)هـ في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: الآية ٢٩] «أي: ليتدبّروا حجج الله التي فيه، وما شرع

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٣٢٤ «دبر».

الله فيه من الشرائع، فيتعظوا ويعملوا به»[١].

وقال أبو بكر بن طاهر (٣٣٠هـ): «تدبّر في لطائف خطابه، وطالِب نفسك بالقيام بأحكامه، وقلبك بفهم معانيه، وسِرَّك بالإقبال عليه»[٢].

وقال الهروي (٥٣٥هـ): «أبنية التذكر ثلاثة أشياء: الانتفاع بالعِظة، والاستبصار بالعبرة، والظفر بثمرة الفكرة»[٣].

وقال البغوي (٥١٦هـ): «والتدبر هو النظر في آخر الأمر، ودبر كلّ شيء آخره»[٤].

وقال ابن عطية (٥٤٢هـ): «التدبر: النظر في أعقاب الأمور وتأويلات الأشياء»[٥].

وقال الزمخشري (٥٣٨هـ): «تدبُّر الأمر: تأمُّله والنظر في إدباره، وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه، ثم استُعمل في كل تأمل. فمعنى تدبر القرآن: تأمل معانيه وتبصر ما فيه»[٦].

وقال القرطبي (٦٧١هـ): «التفكر فيه وفي معانيه»[٧].

وقال الخازن (٧٤١هـ): «تأمل معانيه، وتفكر في حكمه، وتبصر ما فيه من

---

(١) جامع البيان: ٢١/ ١٩٠ .

(٢) حكاه عنه القرطبي في: الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٣٨ .

(٣) منازل السائرين ص٣٠، ونقله ابن القيم في مدارج السالكين ١/ ٤٤٢ .

(٤) معالم التنزيل ١/ ٦٦٧ .

(٥) ينظر: المحرر الوجيز ٢/ ١٦١ .

(٦) الكشاف للزمخشري ١/ ٥٤٠ .

(٧) الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٢٩٠ .

الآيات»[١].

وعند أبي حيان (٧٤٥هـ): «التفكر في الآيات، والتأمل الذي يفضي بصاحبه إلى النظر في عواقب الأشياء»[٢].

وعند ابن القيم (٧٥١هـ): «تحديق ناظر القلب إلى معانيه وجمع الفكر على تدبّره وتعقّله، وهو المقصود بإنزاله لا مجرّد تلاوته بلا فهم ولا تدبّر»[٣].

وقال السيوطي (٩١١هـ): «وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكير في معنى ما يلفظ به، فيعرف معنى كل آية، ويتأمل الأوامر والنواهي، ويعتقد قبول ذلك، فإن كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مرَّ بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوذ، أو تنزيه نزه وعظم، أو دعاء تضرع وطلب»[٤].

وقال الزبيدي (١٢٠٥هـ): «التَّدَبُّر: التَّفكُّر، أَي تَحْصِيل المَعْرِفَتَيْنِ لتَحْصِيل مَعْرِفةٍ ثالثة، ويقال: عَرَف الأَمرَ تَدَبُّرًا، أَي بأَخَرَةٍ»[٥].

وقال الآلوسي (١٢٧٠هـ): «وأصل التدبر: التأمل في أدبار الأمور وعواقبها ثم استعمل في كل تأمل، سواء كان نظرًا في حقيقة الشيء وأجزائه أو سوابقه وأسبابه أو لواحقه و أعقابه»[٦].

وقال الشنقيطي (١٣٩٣هـ): «تدبر آيات هذا القرآن العظيم أي: تصفحها،

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل ١/ ٥٦٣ .
(٢) البحر المحيط ٧/ ٣٧٩ .
(٣) مدارج السالكين ١/ ٣٦٣ .
(٤) الإتقان في علوم القرآن ١/ ٣٠٠ .
(٥) تاج العروس ١١/ ٢٦٥ .
(٦) روح المعاني ٥/ ٩٢ .

وتفهمها، وإدراك معانيها، والعمل بها»[١].

قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ): «والتدبر: إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما نصبت له، وأصله أنه من النظر في دُبُر الأمر، أي فيما لا يظهر منه للمتأمل بادئ ذي بدء»[٢].

وقال أيضًا: «والتدبر: التفكر والتأمل الذي يبلغ به صاحبه معرفة المراد من المعاني، وإنما يكون ذلك في كلام قليل اللفظ، كثير المعاني التي أُودعت فيه، بحيث كلما ازداد المتدبر تدبرًا؛ انكشفت له معانٍ لم تكن بادية له بادئ النظر»[٣].

وقال الشيخ السعدي (١٣٠٧هـ): «التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه»[٤].

وعرّفه الميداني بقوله: «التدبر هو: التفكر الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة»[٥].

ويرى الشيخ أ.د. ناصر العمر: «أن المقصود بتدبر القرآن الكريم: التأمل والتفكر والنظر في مآلات الآيات ودلالاتها وآثارها، بحيث يتحقق التوافق بين اللسان والقلب والعقل مما يؤدي إلى تحقيق الغايات التي أنزل القرآن لأجلها»[٦].

---

(١) أضواء البيان ٧/ ٢٥٧ .

(٢) التحرير والتنوير ١٨/ ٨٧ .

(٣) التحرير والتنوير ٢٣/ ٢٥٢ .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١٨٩ .

(٥) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ د. عبدالرحمن حسن الميداني ص١٠ .

(٦) ينظر: أفلا يتدبرون القرآن، أ.د. ناصر العمر ص ١٥٥، وبرنامج الشريعة والحياة، قناة الجزيرة بتاريخ ١٧/ ٠٢/ ٢٠١٣م، وينظر حول هذا التعريف: جامع البيان: ٢١/ ١٩٠، ومعالم التنزيل ١/ ٦٦٧، ومدارج السالكين ١/ ٣٦٣ .

وقال السنيدي: «تفهّم معاني ألفاظه، والتفكر فيما تدل عليه آياته مطابقة، وما دخل في ضمنها وما لا تتم تلك المعاني إلا به، مما لم يعرِّج اللفظ على ذِكره من الإشارات والتنبيهات، وانتفاع القلب بذلك بخشوعه عند مواعظه، وخضوعه لأوامره، وأخذ العبرة منه»[١].

وقيل: التدبر: تقليب النظر البصري والعيش الروحي؛ لتأمُّل جملة قرآنية بما فيها من معانٍ ودلالات قد لا تتبدَّى للناظر فيها من البداية، وتحقيق ذلك التأمُّل والتدبُّر بالعمل.

وقيل: التدبر: التفكّر العميق والتأمل الشامل في الألفاظ والتراكيب اللغويّة؛ للوقوف على نهايات ما تحتمله من المعاني بقصد الفهم والتطبيق.

وقيل: التدبر: التفكر باستخدام وسائل التفكير والتساؤل المنطقي للوصول إلى معانٍ جديدة يحتملها النصّ القرآني، وفق قواعد اللغة العربية، وربط الجمل القرآنية ببعضها وربط الصورة القرآنية ببعضها أيضًا، وإضفاء تساؤلات مختلفة حول هذا الربط أو ذاك.

وقيل: التدبر: تفهّم معاني آيات القرآن، وإعمال النظر في دقائق وأسرار تعبيراتها المختلفة، وما فيها من الحِكَم والمعارف؛ ليخشع القلب بذلك ويتأثر، وتنساق الجوارح للعمل والتطبيق»[٢].

ويلاحظ في بعض التعريفات: أنَّ التدبر لم يقتصر على عواقب الأمور فحسب، بل امتد ليشمل حقائقها، وأسبابها، ولواحقها، وغير ذلك على وجه الإطلاق.

---

(١) تدبر القرآن ص ١١ .

(٢) استفدت هذه التعريفات من بحث مفهوم التدبر تحرير وتأصيل ص٩٣، ٧٧، وتدبّر القرآن لسليمان السنيدي ص١١ .

فالتدبر عند الآلوسي لم يقتصر على عواقب الأمور فحسب، بل امتد ليشمل حقائقها، وأسبابها، ولواحقها، وغير ذلك على وجه الإطلاق، وعلى هذا التعريف الواسع يكون مصطلح «التدبر» قد استُعمل في حقيقته اللغوية.

وعند النظر في حقيقته الشرعية فيكون معناه: النظر والتوصل إلى مغزى الآيات القرآنية ومقاصدها وأهدافها وما ترمي إليه، عن طريق إعمال الفكر والتأمل وبذل الجهد الذهني في فهم الآيات.

وإذا أردنا أن نحاول استخراج تعريف للتدبر من منظور قرآني، فإنه يمكن أن يقال:

❑ **التدبر: هو تأمل الآيات للاهتداء بما دلّت عليه علمًا أو عملاً.**

ولإيضاح هذا التعريف، يقال:

قوله: (تأمل الآيات)، وهذا يعني أن التدبر لا يتأتى في الواضح البيّن، بل لا بد أن يُسبق بشيء من النظر وإعمال الفكر والعقل لاستنباط المراد.

قوله: (للاهتداء بما دلّت عليه)؛ لأن هذه هي الغاية من التدبر، ولأن الله تعالى وصف كتابه فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: الآية ٩]، ولا يتأتى الوصول إلى جميع هذه الهدايات إلا بالتدبر.

قوله: (علمًا أو عملاً)؛ لأن التدبر إذا خلا من إحدى هاتين الثمرتين فهو تدبر ناقص، وإنما عطفتُ بـ(أو)؛ لأن من الهدايات القرآنية ما يظهر فيه جانب العلم أكثر من ظهور العمل بمعناه الخاص؛ كالتدبر في الآيات التي تفصّل في النعيم أو العذاب الأخروي، أو بعض الأحكام الفقهية، وكذلك وصف بعض الأمور الكونية[1].

---

(١) وإن كان ينبغي أن تورث تلك الآيات إجلالًا وتعظيمًا لله تعالى، وهذا من =

ولا تخرج بقية التعاريف عن هذا الإطار - وإن اختلفت العبارة فيما بينها.

❐ **وعلى هذا فإن «التدبر» لا يخرج عن المعاني الآتية:**

١- التأمل الذهني في معاني القرآن الكريم، وآياته، وأوامره، ونواهيه، ومبادئه، وعواقبه.

٢- نظر القلب وجمع الفكر فيه.

٣- إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما نُصبت له.

وكلّ هذه المعاني حاضرة في أقوال أهل العلم.

ومِنْ ثَمَّ فإن هذه الخصوصية في معنى «التدبر» تكاد لا تبتعد عن: معنى النظر، أو التأمل القلبي أو العقلي، وجمع الفكر بهما إذا خصّصنا هنا النظر العقلي بالجانب الذهني المحض، والنظر القلبي بالجانب الذهني والروحي معًا.

❐ **من خلال التأمل في مفهوم التدبر يتبين أنه ينبغي أن يتضمن عدَّة أمور:**

الأول: الاستماع، ثم القراءة؛ نظرًا أو حفظًا.

والثاني: معرفة المعاني، والتفسير جملة.

والثالث: معرفة مراد الله تعالى ومقاصد الآيات.

والرابع: حضور القلب، وتأثره وخشوعه.

والخامس: التطبيق؛ بانسياق الجوارح للعمل.

والسادس: الوصول للمعاني الكلّيّة واللطائف الدقيقة.

= أعمال القلوب. أ.د. عمر المقبل في بحث: قواعد وضوابط التدبر، شارك به في الندوة التي نظمتها وزارة الشؤون الإسلامية في ٥/ ٢/ ١٤٣٢هـ بالرياض.

واجتماع هذه الأمور الستة يمثل **أعلى درجات التدبّر**، وقد يتخلّف شيء منها فيكون القارئ حينئذٍ متدبرًا ولكن على درجة ما، ولعله يرقى إلى الكمال بالدُّرْبة والمران - بإذن الله تعالى- إذا صلحت نيته وصفا قلبه. رائده في ذلك: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾ [الأنفال: الآية ٧٠].

❑ فائدة في مجيء مصطلح التدبر على صيغة التفعل:

هذا وإن مجيء مصطلح «التدبر» على صيغة «التفعُّل» يفيد عدّة فوائد، أهمها:

* **أولها**: التكلُّف وبذل الجهد.

* **ثانيها**: التدُّرج والتمهُّل.

* **ثالثها**: التكثير والمبالغة، وحصول الفعل مرة بعد أخرى مع الصبر والتحمّل(١).

وهذه أمور تقتضيها عملية التدبر أيضًا، فحتى يؤتي أكله وثماره الطيبة، ينبغي للمتدبر أن يبذل الجهد في التأمُّل والتفكُّر، ويتمهّل ولا يعجل، ويكرّر النظر مرة بعد مرة، ويتجلّد بالصبر ولا يملّ.

فيُستفاد من كلام العلماء في معنى التدبّر: أن التدبر في القرآن يشمل الأمور الآتية:

* معرفة معاني الألفاظ وما يُراد بها.

* تأمُّل ما تدل عليه الآية أو الآيات مما يُفهم من السياق أو تركيب الجمل.

---

(١) يراجع: شرح شافية ابن الحاجب للشيخ محمد بن الحسن الإستراباذي ١/ ١٠٢، والخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني ٣/ ٢٦٤، ومفهوم التدبر عند اللغويين د. عويض العطوي ص٣٠ .

* اعتبار العقل بحججه، وتحرك القلب ببشائره وزواجره.

* الخضوع لأوامره واليقين بأخباره.

❐ **تنبيه:**

إنَّ التَّأثُّر البدني من سماع القرآن؛ كالقشعريرة التي تصيب الإنسان والخشوع الذي يلحقُه - قد يكون بسبب التَّدبُّر وقد لا يكونُ. فالتَّدبُّرُ عمليَّةٌ عقليَّةٌ تحدثُ في الذِّهنِ، والتَّأثُّرُ انفعالٌ في الجوارحِ والقلبِ، فهذا التأثر بسبب التَّدبُّرِ.

وقد يكونُ تأثر الإنسانِ بسببِ روعةِ القرآنِ ونظمه[1].

المعيار الثاني: المصطلحات والمفاهيم القريبة من معنى «التدبر»:

قد يبدو للوهلة الأولى أن بعضًا من المصطلحات والمفاهيم القريبة من معنى «التدبر» تتداخل معه وتلتبس به؛ كالاستنباط والتفكُّر والتعقُّل... والأمر بخلاف ذلك، حيث إن القرآن استعمل كلًّا على حِدة؛ لذا كان لزامًا أن نقف على أهم المعالم لكل مصطلح منها كما يلي:

أولًا: الاستنباط:

١- مفهوم الاستنباط:

هو الاستخراج، مأخوذ من «نَبَط»، ومعناه: استخراج الخفيّ، يقال: نَبَطَ الشيء نَبَطًا ونُبُوطًا: ظهر بعد خفائه، واسْتنبط الفقيه: إذا استخرج الفِقه الباطن باجتهاده وفَهْمه.

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى

---

(١) ينظر: مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر: د. مساعد بن سليمان الطَّيَّار، ص٢٠٤.

﴿ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾ [النساء: الآية ٨٣] أي: يستخرجونه، وأصله من النَّبَط، وهو الماء الذي يخرج من البئر أوّلَ ما تُحفر[١].

وفي ضوء ما سبق يتبين أن الاستنباط يعني: استخراج المعاني الخفية التي تدِقّ على الأفهام من النصوص، بعد جهد وتأمُّل واستعمال وجهٍ من وجوه الدلالة عليه.

٢- العلاقة بين الاستنباط والتدبر:

الاستنباط أخصّ من التَّدبّر وأدقّ منه، والتدبر أصلٌ للاستنباط.

فأما كونه أخصّ فلأنه خاص بالعلماء والمتخصّصين، بخلاف التدبر فهو عام بدليل مخاطبة الكفار والمنافقين وعموم المؤمنين به في آي القرآن[٢].

وأما كونه أدقّ فلأنه يحتاج إلى جهد أكثر وتكلّف ومعاناةٍ فكريةٍ أعظم؛ وذلك بناء على اشتقاقه واشتماله على الألف والسين والتاء الدالة على ذلك[٣]، بخلاف التدبّر.

وأما كون التدبر أصلًا فلأنه متقدِّم عليه وسابق له، فلا يمكن الاستنباط من النص قبل تدبّره، والوقوف على معانيه ومراميه.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ٨٣، وتهذيب اللغة للأزهري ١٣/ ٢٥٠، ومعجم مقاييس اللغة ٥/ ٣٨١، والمعجم الوسيط ٢/ ٨٩٧ مادة «دبر».

(٢) فخاطب المنافقين في [النساء: ٨١]، و[محمد: ٢٤]، وخاطب المشركين في [المؤمنون: ٦٦-٧٠]، وخطاب عموم المؤمنين في [ص: ٢٩]، وسيأتي تفصيلها بإذن الله.

(٣) يراجع: التدبّر حقيقته وعلاقته بمصطلحات التأويل والاستنباط والفهم والتفسير، أ.د. عبدالله سرحان ص٢٠٥ .

والناس في الفهم والاستنباط مراتب، وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم: «والمقصود تفاوت الناس في مراتب الفهم في النصوص، وأن منهم من يفهم من الآية حُكمًا أو حُكمين، ومنهم من يفهم منها عشرة أحكامٍ، أو أكثر من ذلك، ومنهم من يقتصر في الفهم على مجرد اللفظ دون سياقه ودون إيمائه وإشارته... وأخصّ من هذا وألطف ضمّه إلى نص آخر متعلّق به فيُفْهَم من اقترانه به قدرًا زائدًا على ذلك اللفظ بمفرده، وهذا باب عجيب مِن فَهْم القرآن لا يَتَنبّه له إلا النادر من أهل العلم...»[1].

نسأل الله تعالى أن نكون منهم أجمعين.

ثانيًا: التفسير:

١- مفهوم التفسير:

التفسير مأخوذ من (الفَسْر) ويعني: البيان وكشْفُ ما غُطِّي، يقال: فَسَر الشيءَ يفسِرُه بالكسر، ويَفْسُرُه بالضم فَسْرًا وفَسَّرَهُ: أَبانه، والتَّشْديد أَعَمُّ، وبه جاء القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: الآية ٣٣] أي: بيانًا وتفصيلًا[2].

وعلى هذا فالمادة تدور في اللغة حول معنى «التوضيح والبيان»، هذا ويُعرَّف التفسير في أبسط تعاريفه بأنه: «علم يُعرف به فهْم كتاب الله المنزّل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحِكَمه»[3].

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ١/ ٣٥٤، وتحرير مفهوم التدبر، د. فهد الوهبي ص١٠٢ بتصرف.

(٢) يراجع: جامع البيان ١٩/ ٢٦٧، وتهذيب اللغة ١٢/ ٢٨٣، ولسان العرب ٥/ ٥٥، وتاج العروس ١٣/ ٣٢٤ «فسر».

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ١٣ .

٢- الفرق بين التدبر والتفسير:

لا بد أن ندرك أن التدبر غير التفسير، مع العلم أن بعض العلماء المعاصرين - منهم بالذات قد استعملها على سبيل الترادف. وهذا غير صحيح؛ إذ التفسير شيء والتدبر شيء آخر. وهذا يتضح من خلال النقاط التالية:

- **إنّ صناعة التفسير والاستنباط تخصّ فئة محصورة**، وهم: أهل الاجتهاد من العلماء ممن يفتون ويقضون في النوازل، وفي ذلك نزل قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ [النساء: الآية ٨٣]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٢].

أما التدبر فلعامة المخاطبين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: الآية ١٧].

ومن هنا نخرج بخلاصة مفادها: أن المفسر عالمٌ وفقيهٌ مطلعٌ على الحقائق القرآنية والأحكام الشرعية، ووظيفته: تبيينها للناس، بينما المتدبر لا يعدو كونه متعظًا وواعظًا، وقد يجمع الله بين الخيرين، على أن العالم الحق لا يصح له إلا أن يكون عالمًا ومفسرًا ومتدبرًا للقرآن.

ومن هنا يمكن لنا أن نقول: كل مفسرٍ أو عالمٍ متدبر، وليس كل متدبرٍ مفسرٌ أو عالمٌ.

- **فهم الخطاب عمومًا ملازم للتدبر**، فلا يحصل التدبر من غير معرفة المعنى، فهما متلازمان؛ حيث إن التفسير كشفٌ للمعنى المراد، والتدبر تأمل في أدبار معاني الآيات وعواقبها، وعليه فالتفسير وسيلةٌ، والتدبر غاية.

فالتدبر بعد فهم الآية فهمًا كليًا عامًّا بسيطًا؛ إذ لا يشترط فيه الوقوف على أقوال المفسرين والتحقق منها، والغوص في دقائق كتب التفسير.

أي: فيمكن لأيِّ فردٍ أن يتدبر القرآن بعد معرفة المعنى الإجمالي للآية.

أمّا التفسير فيحتاج لأدواتٍ أخرى لمعرفة مراد الله من كلامه؛ كأسباب النزول، وأقوال السلف، وغيرها.

- **دائرة التدبر أوسع من دائرة التفسير**: حيث إن العلماء اشترطوا للمفسِّر شروطًا وعلومًا لا بد أن يحصِّلها[١] حتى لا يُتقوّل على الله -تعالى- بغير علم، أما التدبّر فخوطب به الجميع، كلٌّ حسب طاقته، لكن ينبغي أن ينضبط ليكون في أعلى درجات الصحة والقبول، وبناءً على هذا يكون التدبّر أعم من التفسير.

- **لم يرد لفظ «التفسير» في القرآن إلا في موطن واحد** بصيغة التمييز المسبوق بـ «أفعل التفضيل» ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: الآية ٣٣]، وذلك بخلاف «التدبر» فإنه ورد أربع مرات بصيغة الفعل المسبوق بالاستفهام الإنكاري لترْك التدبر في ثلاث آيات، وبالأمر الصريح في الآية الرابعة، وهذا للدلالة على أن التدبر فرضٌ واجبٌ على المخاطبين، وهذا ما حدا ببعض العلماء أن يصرِّح بوجوب «التدبر»، فقال معلقًا على آية التدبر في سورة النساء: «ودلت هذه الآية وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: الآية ٢٤] على وجوب التدبر في القرآن ليُعرف معناه...»[٢].

---

(١) للوقوف على هذه العلوم يراجع: البرهان، للزركشي ٢/ ١٦٨، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٤/ ٢١٣ . وتجدر الإشارة هنا إلى أن السيوطي ذكر ستة وأربعين علمًا ينبغي للمفسر أن يحصّلها ويتقنها.

(٢) يراجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/ ٢٩٠، والتدبر حقيقته، د. سرحان ص ٢١٣ بتصرف.

- **أن المقصود الأصلي للتفسير هو بيان مراد كلام الله تعالى**، ومقصود التدبر هو الاتعاظ والاعتبار[(١)].

- **التفسير بيان مراد كلام الله تعالى، والتدبر بيان النفس** عما مسّها من كلام الله تعالى وما أثار من كوامنها، وما تختاره بعد ذلك من التأثر والانقياد[(٢)] والله أعلم.

فالتفسير شرح للمعاني وبيان لها، بينما التدبر اتعاظ بالمعنى، أي: أخذ الموعظة عن طريق فهم المعنى واعتبار بها وتذكر، وهذا فرق كبير.

إن التفسير مأخوذ من الفسر، وهو الكشف والبيان؛ ولذا سميت الكتب التي بينت كتاب الله تفسيرًا؛ لأنها تكشف عن المعاني اللغوية والسياقية والشرعية عن طريق الأخذ بقواعد التفسير المعروفة عند أهله[(٣)]، وهذا ما يُعرف بعلم التفسير.

أما التدبر من «التفعل»، فهو: النظر إلى دبر الشيء[(٤)]، أي: التأمل في عواقب الأمور المتوقعة ودوابرها، أي: النظر إلى عاقبتها وما يمكن أن تصير إليه، كما يدخل فيه النظر في دوابر الأمور الواقعة من قبل، وذلك لمعرفة أسبابها ونتائجها ومقدماتها؛ لأن التدبر هو عمل قلبيٌّ شخصيٌّ ونظر يجول في النفس، فلا ينوب فيه أحد عن أحد. فمثلًا: لا يستطيع أحد أن ينوب عن غيره في التقوى والخشوع والخوف والرجاء، وهذا منتفٍ عقلًا وطبعًا وشرعًا.

والفهم نوعان: النوع الأول: فهمٌ ذهني معرفي. والنوع الثاني: فهمٌ قلبي إيماني.

---

(١) ينظر: التدبر عند المفسرين، د. فهد الوهبي ص١١١ .

(٢) ينظر: تحليل مناهج معاصرة للتدبر وتقويمها، د. نايف الزهراني ص٦ .

(٣) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، ص ٢٦٠ .

(٤) ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ص ١٦٤ ، والتوقيف على مهمات التعاريف ص ١٦٤ .

فالنوع الأول: يدخل فيه تفسير الغريب، واستنباط الأحكام، وأنواع الدلالات، وهو الذي يختص بأهل العلم على تفاوت مراتبهم، وهم يغترفون من علومه على قدر ما آتاهم الله تعالى من العلم والفهم.

والنوع الثاني: هو الفهم الإيماني القلبي الذي ينتج عن تأملِ قارئ القرآن لما يمرُّ به من آيات كريمة، يعرف معانيها، ويفهم دلالاتها، فيتوقف عندها متأملًا؛ ليحرك بها قلبه، ويعرض نفسه وعمله عليها، فإن كان من أهلها حمد الله، وإن لم يكن من أهلها حاسب نفسه واستعتب، والفهم الثاني هو الغاية، والأول إنما هو وسيلة(١).

قال الحسن البصريّ: «والله ما تَدَبُّره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إنّ أحدَهم ليقول: قرأتُ القرآن كلّه ما يُرى له القرآنُ في خُلقٍ ولا عمل»(٢).

ويقول: «العلم علمان: فعلمٌ في القلب فذاك العلم النافع، وعلمٌ على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم»(٣).

(١) تدبر لا تفسير، د. عمر المقبل من جامعة القصيم، مقال منشور فى الشبكة، موقع تدبر، و مقال آخر: مفتاح حياة القلب ٢/٢ . منشور في الشبكة في موقع المسلم بتاريخ ٦/ ٩/ ١٤٢٨هـ.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٣/ ٣٦٣ ٥٩٨٤، وابن المبارك في الزهد ص٢٧٤ ٧٩٣، والآجري في أخلاق حملة القرآن ص٤١، والمروزي في قيام الليل ص٧٦ . وابن أبي حاتم كما في تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٦٤ .

(٣) أخرجه الدارمي في سننه موقوفًا في كتاب العلم باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله ص١٩٦ ٣٩٤-٣٩٥، وابن أبى شيبة ٧/ ٨٢، رقم ٣٤٣٦١، والحكيم الترمذي ٢/ ٣٠٣، والمنذري في الترغيب والترهيب ١/ ١٠٣ وقال: رواه الخطيب في تاريخه بإسناد حسن، وابن عبد البر النمري في كتاب العلم عن الحسن مرسلًا بإسناد صحيح. وانظره فيه ١/ ١٩٠-١٩١ . وحسنه السيوطي في الجامع الصغير رقم ٥٧١٧ . وقال المناوي: قال المنذري: إسناده صحيح، وقال العراقي: جيد، وقال السمهودي: إسناده =

ونقل ابن القيّم عنه قوله: «نزل القرآن ليتدبر ويعمل به فاتخَذوا تلاوته عملًا»[1].

ثمّ يُعقّب ابن القيّم على كلام الحسن فيقول: «فليس شيءٌ أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن وإطالة التأمل وجمع الفكر على معاني آياته، فإنّها تُطلعُ العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما»[2].

رُويَ عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «إنّا صَعُب علينا حفظ ألفاظ القرآن، وسَهُل علينا العمل به، وإنّ مَنْ بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به»[3].

ومن تأمل القرآن وجد أن القضايا الكلية الكبرى واضحةٌ جدًّا، بحيث يفهمها عامة من يتكلمون اللغة العربية؛ كقضايا التوحيد، واليوم الآخر بوعده ووعيده وأهواله، وأصول الأخلاق الكريمة والرديئة[4]، وكثير من أحكام الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والمعاملات والأنكحة والجنايات، وغير ذلك[5].

= حسن، ورواه أبو نعيم والديلمي عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا، فيض القدير ٤/ ٣٩،وينظر: الدر المنثور ٧/ ٢١ .

(١) مدارج السالكين، لابن القيّم ١/ ٤٥١ .

(٢) المصدر نفسه.

(٣) لم أقف عليه إلا عند القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤٠ قال: «وذكر أبو بكر الأنباري: حدثني محمد بن شهريار، حدثنا حسين بن الأسود حدثنا عبيد الله بن موسى، عن زياد بن أبي مسلم ابي عمرو، عن زياد بن مخراق قال: قال عبد الله بن مسعود. . .

(٤) تدبر لا تفسير، د. عمر المقبل من جامعة القصيم، مقال منشور فى الشبكة، موقع تدبر.

(٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٨٣ .

ثالثا: التأويل:

❏ ١- مفهوم التأويل:

مأخوذ من الأَوْل وهو الرجوع، يقال: آل الشيءُ يَؤُول أَوْلًا ومآلًا: رَجَع، وأَوَّل إليه الشيءَ: رَجَعَه، وأُلْتُ عن الشيء: ارتددت عنه... ويقال أيضًا: وتَأَوَّله: فَسَّره، وقوله ﷻ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [يونس: الآية ٣٩]، أَي: لم يكن معهم علم تأْويله، أي: تفسيره[١].

ومن خلال ما سبق يتبين أن التأويل يأتي في اللغة على معنيين:

أولهما: الرجوع والمآل والمصير.

وثانيهما: التفسير.

والتأويل بمعناه الأول يلتقي مع التدبّر، حيث إنهما يجتمعان في دلالة المآل والعاقبة والمصير.

❏ ٢- الفرق بين التأويل والتدبر:

ويفترق التأويل عن التدبّر من عدّة أوجه كما يلي:

الأول: أن التدبّر أعمّ من التأويل؛ وذلك لأن التدبر يتعلّق بجميع القرآن الكريم محكمه ومتشابهه، وأمّا التأويل فيتعلق في القرآن بأمرين:

١- حقائق المغيبات، مثل: حقيقة الروح، ومتى الساعة، وحقيقة البعث، والجنة والنار... وغيرها، وهذه هي التي لا يعلمها إلا الله تعالى.

٢- المتشابهات التي تحتمل أكثر من دلالة؛ لخفاء في اللفظ أو المعنى، أو هما

---

(١) لسان العرب ١١/ ٣٢ «أول».

معًا. وهذا هو محل النظر دون الأول.

كما أن المخاطبين بالتدبر جميع المكلفين، بخلاف التأويل فالمعنيّون به طائفة مخصوصة من العلماء الراسخين ومن كان في حكمهم، على نحو ما ورد في آية «آل عمران»[(١)].

الثاني: الذي يعلم المُؤوَّل على الحقيقة هو الله تعالى وحده، فهو مختص بتأويل الأمور الغيبية كالروح والقيامة والجنة والنار... ونحوها.

أما نطاق التدبر فأوسع لمخاطبة الجميع به، وعليه فالمتدبِّرون أكثر من المتأوِّلين.

الثالث: التأويل قسمان: مذموم ومحمود:

فالمذموم: هو الذي يتتبع صاحبه الآيات المتشابهة ويفسّرها على هواه، وهذا لا يقع إلا من الذين في قلوبهم زيغ.

والمحمود: الذي يُعنى أصحابه - وهم الراسخون - بالمتشابهات التي تحتمل أكثر من معنى لخفاء في اللفظ أو المعنى أو هما معًا، فيتتبعونه بغرض فهمه وتفسيره، وبيان الحكمة من وروده... بخلاف الزائغين.

وهذا التأويل المحمود يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالتدبر، فمن لا يتدبر الآية بقلبه فلن يفهم المراد منها، ولن يستطيع ردّ المتشابه إلى المحكم[(٢)]، والله أعلم.

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۝٧﴾ [آل عمران: الآية ٧].

(٢) التدبر، د. عبد الله سرحان ص٢٠٠ بتصرف.

رابعًا: التفكُّر:

١- مفهوم التفكر:

التَّفَكُّر: التأمّل، يقال: فَكَرَ في الأمر فِكْرًا أي: أعمل العقل فيه، ورتّب بعض ما يُعلم ليصل به إلى مجهول.

والاسم: الفِكْرُ والفِكْرةُ. والمصدر: الفَكْرُ بالفتح، وبابه نَصَر، ورجل فِكّيرٌ بوزن سكِّيت: كثير التفكُّر، وفكَّر في الأمر مبالغة في فكر، وهو أشيع في الاستعمال من فَكَر، وفكّر في المشكلة: أعمل عقله فيها ليتوصل إلى حلها[١].

وردت مادة (فكر) في القرآن الكريم في ثمانية عشر موضعًا[٢]، ولم ترد بصيغة الاسم أو المصدر. وإنّما جاءت في صيَغ فعليّة، مثل: «فكَّر»، «يتفكرون»، «تتفكرون».

وقد يأتي التفكير في القرآن بمعنى النظر العقلي والتأمّل، والانتقال من المقدمات العلمية أو الظنية إلى ما يترتب عليها من نتيجة علمية أو ظنية. قال صاحب «المنار»: «وَاسْتِعْمَالُ الْقُرْآنِ لِلتَّفَكُّرِ وَالتَّفْكِيرِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمَا فِي الْعَقلِيَّاتِ الْمَحضَةِ أَو فِي الْعَقْلِيَّاتِ الَّتِي مَبَادِئُهَا حِسِّيَّاتٌ... وَأَكْثَرُ مَا اسْتَعْمَلَهُ التَّنْزِيلُ فِي آيَاتِ اللهِ؛ وَدَلائِلِ وُجُودِهِ؛ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ»[٣].

وعند الرازي أنّ الفكر والنظر مسميان لمسمّى واحد، فـ«النظر والفكر عبارة عن ترتيب مقدمات علمية أو ظنية؛ ليتوصل بها إلى تحصيل علم أو ظن»[٤].

---

(١) ينظر: مختار الصحاح ص ٥١٧، ولسان العرب٥/ ٦٥، والمعجم الوسيط ٢/ ٦٩٨ «فكر».

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ٥٢٥ مادة ف ك ر.

(٣) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج٩، ص٣٨٥ .

(٤) معالم أصول الدين، الرازي، ص ٢٠ .

وقال الراغب: «النَّظَرُ: تَقْلِيبُ البَصَرِ والبصيرةِ لإدرَاكِ الشيءِ ورؤيَتِهِ، وقد يُرادُ به التَّأَمُّلُ والفَحْصُ، وقد يراد به المعرفةُ الحاصلةُ بعد الفَحْصِ، وهو الرَّوِيَّةُ. يقال: نَظَرْتَ فلم تَنْظُرْ. أي: لم تَتَأَمَّلْ ولم تَتَرَوَّ، وقوله تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: الآية ١٠١] أي: تَأَمَّلُوا»[١].

○ **ومما سبق يتبين أن:**

١ - **التفكّر** يعني إعمال العقل وتأمّله في أمرٍ ما ليُتوصل به إلى نتيجة ما، أو حل لمشكلة معينة.

أو هو: «جَوَلان القوّة المُطرِقة للعلم إلى المعلوم بحسب نظر العقل، وقيل: فَرْك معاني الأمور وبحثها طلبًا للوصول إلى حقيقتها»[٢].

٢ - **يغلب على آيات التفكر أسلوب الحثِّ**؛ حيث تكرّرت جملة: ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في سبعة مواطن من آيات التفكر، فضلًا عن أربعة أخرى بصيغة الخطاب من مجموع ثمانية عشر موضعًا في القرآن، وهذا يدل على أن التفكر يخاطب به الجميع، وهذا مماثلٌ للتدبر فهو عام خوطب به الجميع كما مرَّ.

٣ - **والتدبر:** هو النظر في عواقب الأمور، فهو تصرف القلب بالنظر في الدليل والعواقب.

ومِنْ ثَمَّ يكون للتدبر معانٍ فكرية وروحية، تتصل بمقامات التعبد، والتقرب إلى الله، واتصال أشواق الروح به سبحانه، بخلاف «التفكر» الذي يقترب في مهامه من مقاصد المعرفة واستكشاف الدلائل والأحكام؛ المستلزمة للتعبد والخضوع

---

(١) مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٤٩٩ .

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٦٤٣بتصرف «فكر».

والاستسلام لله.

ويمكننا أن نضيف هنا جانبين لمفهوم التدبر:

جانب مباشر: وهو التحديد الذي بينته في الفقرة السابقة، فحينما يذكر «التدبر» في آية أو مقام شرح أو توضيح له في القرآن، فإنه لا يبتعد كثيرًا عن السابق.

وجانب غير مباشر: وهو عبارة عن ممارسات عملية تشمل أي مسلك تعبدي روحي؛ كالصلاة، أو الصوم، أو الزكاة... وتشمل أيضًا القربات الأخرى التي يتقرب بها العبد إلى ربه، بتنفيذ الأوامر واجتناب النواهي، ومِنْ ثَمَّ الأخذ بكل ما هو نافع ومفيد، كثمرة للتدبر واستجابة من استجاباته.

❑ ٢- الفرق بين التدبّر والتفكّر:

الأول: أن التفكّر يختلف عن التدبر؛ وذلك لأن متعلَّقَه مختلفٌ عن متعلَّق التدبر؛ حيث يكون التفكر في الآيات المتلوة والمشاهدة في الكون والنفس.

ومن أمثلة ذلك:

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾ [آل عمران: ١٩١-١٩٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ

بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الرُّوم: الآية ٢١].

أما التدبّر فمتعلَّقه في المقام الأول الآيات المتلوة دون غيرها، فيختص التدبر بتحصيل الذكرى عن طريق النظر في الآيات القرآنية، بينما يختص التفكر بتحصيل الذكرى بالآيات الكونية. هذا هو الغالب، ولكن مع هذا يؤول أحدهما إلى الآخر، أي أنه توجد علاقة جدلية بينهما؛ فالتدبر للقرآن يقودك إلى التفكر في الوجود، والتفكر في الوجود يعود بك إلى تدبر القرآن، وهما في جميع الأحوال يثمران تذكرًا للقلب وذكرى.

ولعل في قول الرسول ﷺ: **«ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها»**[١] دليلًا على ذلك، فقوله ﷺ: **«ولم يتفكر فيها»** هو بمعنى لم يتدبرها؛ لأن تدبرها مفضٍ بالضرورة إلى التفكر في خلق السموات والأرض، ولذلك عبر عنها بالتفكر، وأما وعيده ﷺ للممتنع عن التفكر بالويل فهو دليل قوي على وجوب التفكر والتدبر إجمالًا على جميع الناس: العالم منهم والعامي، ولكن كل حسب ما يسر الله له.

الثاني: مما يُفرّق به بينهما أن التفكُّر «تصَرُّف القلب بالنظر في الدليل، والتدبّر تصَرُّفه بالنظر في العواقب»[٢].

الثالث: التدبر يتجاوز الحاضر إلى المستقبل؛ لأنه يعني النظر العقليَّ إلى عواقب الأمور، والتفكُّر جولان الفكر في الأمر الذي تكون له صورة عقليَّة عن طريق الدليل[٣]، والله أعلم.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب التوبة، باب ذكر البيان بأن المرء عليه إذا تخلى لزوم البكاء على ما ارتكب من الحوبات... حديث رقم ٦٢٠، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص ١٦٧بتصرف، والتعريفات للجرجاني ص٧٦ .

(٣) الفرق بين التأمل والتدبر والتفكر، أ/ خالد الديهان بتصرف، بحث منشور على =

❐ ٣- **أهمية التفكر:**

من الملاحظ أنّ غالبيّة آيات التفكّر وردت في الآيات المكيّة، وهذه الكثرة تتوافق مع طبيعة وأهداف الدعوة المكية في التركيز على تقرير مسائل التوحيد والنبوة والبعث وحقائق الوجود الأخروي، وبالمقابل ضرب الأفكار السائدة في المجتمع الجاهلي آنذاك، وبالتالي تأسيس منهج فكري منضبط صالح لبناء مقومات الشخصية الإنسانية وفق شريعة الخالق ﷻ.

فمن خلال إحصاء الآيات التي تدعو إلى التفكير بلفظه الصريح أو بواسطة نظائره مثل: التدبّر، التبصّر، التعقّل، النظر، التذكّر، التفقّه على مستوى الجذور والمشتقات -يتبين أنّ مجموعها يساوي تقريبًا (٦٢٤) آية، أي: ما نسبته حوالي ١٠% من العدد الكلّي لآيات القرآن[١].

وفي هذا دلالة على أهمية التفكير بالنسبة للإنسان، وخطورة دوره في تحديد معالم شخصيته في الدنيا، وتحديد مصيره في الآخرة.

❐ ٤- **عناصر عملية التفكير:**

وبما أنّ التفكير عمليّة تنتج فكرًا، فمن الضروري أن تقوم هذه العملية على عدّة عناصر تشترك وتتفاعل فيما بينها لاكتمال عمليّة الإنتاج. وبالنظر إلى ما سبق من تعريفات التفكير والرجوع إلى الآيات القرآنية؛ نستطيع أن نستنتج عناصر عملية التفكير، و هي:

= شبكة المعلومات الدولية، ورابطه:

http//:www.bestlifeco.net/

index.php?option=com_content&view=article&id.=

(١) ينظر: تفاصيل الإحصائية المذكورة: علم التفكير، صلاح صالح معمار، ص ١٨-٢٧ .

العنصر الأول: الواقع: وينحصر في الأشياء والأمور الواقعة ضمن نطاق الحواس. والآيات القرآنية ذكرت الواقع باعتباره مجالًا وميدانًا للتفكّر. ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠].

العنصر الثاني: المعلومات السابقة: وقد أشار إليها القرآن بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: الآية ٣١]. وتُعَدّ المعلومات السابقة الركن الأهم في عملية التفكير. فبموجبها يتحدد نوع الفكر المحكوم به على الواقع ودرجة صحته، وهي تُشكّل القاعدة الفكرية لعملية التفكير وبناء العقليّة وضبط السلوك، وإلى هذا أشارت الآية الكريمة: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: الآية ٣١].

فآدم عليه السلام استطاع أن يُصدر أحكامًا على المسميات المعروضة عليه؛ بناء على معلومات سابقة مما علمه الله تعالى عن تلك المسميات، فعملية عقل الأشياء وإدراك واقعها لا يُمكن أن تتم بدون معلومات سابقة متعلقة بها، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: الآية ٤٣].

العنصر الثالث: العقل: وهو مخزن المعلومات ومحل تحليلها والتفاعل فيما بينها، والربط بينها وبين الواقع محلّ التفكّر. وقد أشار إليه القرآن بلفظ: «الفؤاد». دلّنا على ذلك: أنّ القرآن الكريم لا يذكر الأفئدة إلا معطوفةً على السمع والأبصار؛ ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الملك: الآية ٢٣]. والذي يساعد على هذا الفهم حصرُ وظيفة السمع والبصر في نقل صورة الواقع المحسوس إلى العقل، والله أعلم.

العنصر الرابع: الحواس: وهي وسيلة نقل الإحساس بالواقع إلى العقل. وورد ذكر الحواس في كثير من الآيات القرآنية كأدوات إدخال صور المحسوسات إلى العقل؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ﴾ [النحل: الآية

٧٨]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: الآية ٣٦].

❍ **وبناء على ما سبق** تبين أن «لمنظومة العقل آليات معينة تعمل معًا؛ لتحقق المفهوم الذي جاء في القرآن، فالتفكير والتقليب والتأمل وإمعان النظر والإنضاج وتوفير المعرفة والبحث عنها، جميعها آليات للعقل تعمل معًا في توازن دقيق وحركة دائمة، موضوعها هو الواقع، يشارك في إداركه الحواس وقوة العقل والمعارف المكتسبة وقوى النفس المختلفة، جميعها تعمل معًا، فليس هناك جهة واحدة مسؤولة عن العقل دون أخرى، بل جميع قوى الإنسان الداخلية - بما فيها بناؤه المعرفي، وبيئته الخارجية، وقنوات اتصاله مع البيئة الخارجية - تشارك جنبًا إلى جنب في عملية العقل، فإن وصلت إلى غايتها فقد حصل العقل، وإلا فلا يخرج الإنسان عن كونه كالأنعام بل أضلّ سبيلًا، فالكافرون والعاصون - مثلًا - لا يتحقق عندهم مفهوم العقل، بالرغم من أنّهم يمارسون كثيرًا من فعاليات التفكير، إلا أنّهم لا تكتمل عندهم منظومة العقل، فوصَفَهم القرآن بأنّهم لا يعقلون. فالعقل بهذا المعنى: وازعٌ يعقل صاحبه عما يأباه له التكليف»[(١)].

خامسا: التعَقُّل:

١- مفهوم التعقل:

العَقْلُ: هو الحِجْر والنُّهى، ضدُّ الحُمْق، **وأصل العَقْل**: الإمساك والاستمساك، ومنه عَقَلَ لسانه أي: كفّه، **والرَّجُل العاقل**: هو الجامع لأَمره ورَأْيه، مأْخوذ من عَقَلْت البَعير: إذا جَمَعْت قوائمه، وقيل: **العاقلُ**: الذي يَحْبِس نفسه ويَرُدُّها عن هَواها.

---

(١) دور القرآن الكريم في تنمية التفكير المنظومي لدى الإنسان، مصطفى حوامدة، ص٦ بتصرف.

والتعقُّل: هو التَثَبُّت في الأُمور، وسُمِّي العَقل عَقلًا؛ لأَنه يَعْقِل صاحبه عن التَّوَرُّط في المهالِك، أَي: يحبسه.

أو هو: القوّة المتهيّئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوّة عَقْلٌ(١).

❐ ٢- العلاقة بين التدبر والتعقُّل في أمرين:

أولهما: أن التعقل قائم في أصله اللغوي على المنع، ففيه معنًى يقضي بإدراك المعاني التي تَعْقل الإنسان وتمنعه من المخالفة(٢)، وهذا بخلاف التدبر فهو كما مر: تعقُّب للوصول إلى أدبار المعنى.

ثانيهما: التدبر طريق التعقّل، وترددت جملة: ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ثمان مرات، ونلمح هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: الآية ٤٣]، والله أعلم.

❐ ٣- الفرق بين التعقّل والتفكّر:

في ضوء استقراء وتدبّر الآيات القرآنيّة التي وردت فيها مشتقات «التعقّل، والتفكّر»، نستطيع أن نستنتج بعض الملاحظات التي تساعدنا على فهم العلاقة بين **التعقّل والتفكّر** في استعمال القرآن، ونجمل هذه الملاحظات بالآتي:

- الفرق الجوهري من حيث المعنى اللغوي بين التفكّر والتعقّل: هو أنّ التعقّل: ربط ومنع. والتفكّر: تقليب وترديد. فالقدرة التفكيرية تختلف عن القدرة العقلية.

- عمليّة التعقُّل خاصّة، يتّصف بها أهل العلم المنتج للإيمان الذين يتفكرون في الغاية من الخلق ويدركونها فقط، ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: الآية ٤٣].

---

(١) ينظر: لسان العرب ١١/٤٥٨، ومفردات الراغب ص٥٧٧ «عقل».

(٢) نحو عودة صادقة للقرآن د. ناصر العمر ص ٥٨ .

أمّا الكفّار الذين لا يُدركون الغاية من الخلق؛ فصفة التعقّل منفيّةٌ عنهم ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة: الآية ١٧١]. فعمليّة التفكّر عامّة يشترك بها جميع الناس الذين يملكون عوامل التفكير.

- عمليّة التفكّر قد تنتج حكمًا عقليًّا صائبًا، وقد تنتج فكرًا منحرفًا خاطئًا؛ ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾﴾ [المدثر: ١٨-٢٠]. أمّا التعقّل فلا ينتج إلا صوابًا وحكمة.

- إنّ التعقُّل ليس هو التفكّر والتدبر، وإنّما نتيجه له. فقد يحصل تفكّرٌ أو تدبرٌ ولا يحصل منه تعقُّل، ولا تعقُّل بدون تفكرٍ أو تدبرٍ.

ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالى: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [النحل: ١١-١٢]. وفي التدبر: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المؤمنون: الآية ٦٨].

فعمليّة عَقْلِ الشيء تأتي مع تفكيرٍ وتدبر له ولما يتعلّق به، وكلٌّ منها لازم للوصول إلى الحكم العقلي الصحيح الذي يُعدّ نتيجة للنظر والاعتبار في النص أو الخلق.

سادسًا: التأمُّل[1]:

١- مفهوم التأمل:

التَّأَمُّل: هو التَّثَبُّت، يقال: تأَمَّلت الشيءَ، أَي: نظرت إليه مُستثْبِتًا له، ويقال:

(١) لم ترد صيغة «التأمل» في القرآن الكريم ولا مشتقاته إلا لفظ «الأمل»، ووردت في =

تَأَمّل الرجل، أي: تَثَبَّت في الأَمر وتحقَّق منه(١).

وعليه فالتأمّل يعني: تدقيق النظر في الأمور بغرض التثبّت والتحقق، أو الاتعاظ والتذكّر.

❐ ٢- الفرق بين التدبّر والتأمّل في أمور ثلاثة:

الأول: التأمّل أعم من التدبر؛ حيث عرّفه ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «هو تحديق ناظر القلب إلى معانيه وجمع الفكر على تدبّره وتعقُّله»(٢) فجعله جامعًا للوقوف على المعاني ثم تحديق النظر فيها، ثم جَمْع الفكر على تدبرها وتعقلها. بخلاف التدبر فهو الفكر الواصل إلى أواخر دلالات الكلام وأدبارها.

الثاني: أن التدبر من عمل القلب وحده، ولا يُشترط فيه الديمومة والاستمرار، بخلاف التأمّل فهو يحتاج إلى طول وقت وتأنٍّ وتثبّت في الأمور، ورُوعي فيه إدامة النظر، ومِنْ ثَمَّ فلا تكون النظرة الواحدة تأمّلًا.

الثالث: أن التأمّل قد يحدث بالبصر وحده، أو بالبصر يعقبه التفكّر، أما التدبّر فيكون في دلالة ومآلات المعاني التي تؤثر بالبصيرة(٣)، والله أعلم.

سابعًا: التفهُّم:

❐ ١- مفهوم التفهم:

التفهُّم أو الفَهْمُ: هو هيئة للإنسان بها يتحقّق معاني ما يحسن، أو هو معرفة

= موضع واحد في سورة الحجر/٣، ولفظة: «أملًا» وردت أيضًا في موضع واحد من سورة الكهف/ ٤ .

(١) لسان العرب ١١/ ٢٧ «أمل» بتصرف.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم ١/ ٤٥١ بتصرف.

(٣) ينظر: الفرق بين التأمل والتدبر والتفكر أ/ خالد الديهان بتصرف.

المعْنَى من اللفظ بالقلب، يقال: فَهِمْتُ الشيء فَهْمًا أي: علمته، وفلانٌ فَهِمٌ، وقد اسْتَفْهَمَني الشيء فأفْهَمْتُهُ، وفَهَّمْتُهُ تَفْهيمًا، وتَفَهَّمَ الكلامَ: إذا فَهِمَهُ شيئًا بعد شيء. وقوله: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنبياء: الآية ٧٩] إمّا بأن جَعَل اللّه له من فضل قوّة الفهم ما أدرك به ذلك، وإمّا بأن ألقى ذلك في رُوعه، أو بأن أوحى إليه وخصّه به[١].

وعليه فالمراد بالفَهْم: هيئة حاصلة للإنسان يدرك بها معاني الألفاظ وحقائق الأمور.

❑ ٢- العلاقة بين الفهْم والتدبر في الأوجه التالية:

الأول: الفَهْم أصل للتدبّر ومقدَّم عليه، فلا يُتصوّر تدبر كلام من دون فهمه والوقوف على معانيه العامَّة.

الثاني: التدبّر أعمّ وأعمق من الفهم: فأما **كونه أعم**؛ فلأن التدبر يشمل الفهم والتدبر معًا، فلا يُعقل تدبر من غير تفهُّم. وأما **كونه أعمق** فلأنه غوْص في الحِكَم والأسرار وما وراء النصوص... ونحو ذلك، بخلاف الفهم؛ فيُكتفى فيه بالوقوف على المعاني الظاهرة دون تطلّبٍ لما سواها.

الثالث: أن الفَهْم لم يرد في القرآن إلا بصيغة فريدة: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنبياء: الآية ٧٩]، بخلاف التدبر فإنه ورد أربع مرات؛ مما يدل على أهميته والتأكيد على طلبه والحضّ عليه[٢].

الرابع: صيغة المضعّف التي ورد بها مصطلح الفهم في القرآن للدلالة على التكثير، أما **صيغة التدبر** فهي للدلالة على التتبُّع والتدرُّج والتعقّب للوصول إلى

---

(١) الصحاح للجوهري ٥/ ٢٠٠٥، ومفردات الراغب ٦٤٦، وتاج العروس٣٣/ ٢٢٤ .

(٢) التدبّر د. عبدالله سرحان ص٢١٠ بتصرف.

أدبار المعاني[1]. والله أعلم.

وبعد: فإن هذه المصطلحات السابقة تُعدّ بمثابة درجات في فهم القرآن والتعامل معه، ولا بد أن نفهم أن الناس درجات ومستويات في التدبُّر والاستنباط والتفسير والتأويل والتفكّر والتأمّل والتعقُّل والتذكُّر والتفهم، ولن يُحرم أحدنا إحدى هذه الدرجات بإذن الله مع كلام الله تعالى؛ بل لا عُذر له ألبتة في تركها أو أيٍّ منها، كما أنه من الواضح البيّن عدم ترادف هذه الألفاظ، وأن لكل منها معنى خاصًّا به يميزه عن غيره، ولا أدل على ذلك من استعمال القرآن الكريم لكل ما نقل منها على حدة في سياق مستقل، ولم يُعَبَّر عن الجميع بلفظ واحد. والله أعلم.

المعيار الثالث: حقيقة تدبّر القرآن الكريم:

لا شكّ أن هناك واجبين ينبغي تحقيقهما لبلوغ حقيقة التدبّر على مَن خصّه الله بسماع كتابه أو تلاوته:

❐ الواجب الأول: أن يتلوه حقّ تلاوته، ويتدبّر حقائق عبارته، ويتفهّم عجائبه، ويتبيّن غرائبه[2]، ويعينه على ذلك المؤشرات التالية:

الأول: بيان مراد الله تعالى من إنزاله القرآن الكريم:

تقدّمت النصوص في ذلك، والمتتبِّع للآيات الخاصّة -آيات البيان وآيات التدبّر- تتجلّى لديه **حقيقة التدبّر الأساسية**، التي تكشف لنا عن حِكَم إنزال القرآن على النبيّ ﷺ، كما بيّن أهل العلم سلفًا وخلفًا:

وذلك أن الله ﷻ أنزل القرآن على نبيّه ﷺ؛ **ليبيِّن للناس ما نُزِّل إليهم في هذا** الكتاب: من الأحكام الشرعية، والوعد والوعيد، ونحو ذلك. قال تعالى:

---

(١) المصدر نفسه ص٢١٠ بتصرف.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ١/ ٢ .

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: الآية ٤٤] وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل: الآية ٦٤][1].

وأمرهم بالتدبّر والتفكّر في آيات الله والاتعاظ بها، والتأمّل في أحكامها ومقاصدها، والعمل بما جاء فيها تقرّبًا إلى رضا الله تعالى.

ومن الآيات في هذا الشأن: قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: الآية ٢٩]، وقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: الآية ٨٢]، وقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمّد: الآية ٢٤] . . . إلى غير ذلك من الآيات[2].

وعليه، فإن قوله تعالى: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ﴾ متعلق بقوله تعالى: ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ والمراد: **أنزلناه ليدّبّروا آياته**؛ وذلك بغرض استخراج **حقائق أسرار الخلق والتشريع**، ومضمون هذه المعاني يشير إلى **الغاية والمقصود من إنزال القرآن**، فلم ينزِّله الله تعالى ليتباهى الناس به ويتمارى به القرّاء، دون اعتناء بمضمونه، واستخراج لمكنونه، وأخذ بمراده ومطلوبه، بل أنزله **لتدبّر آياته** والتفكّر والنظر فيها؛ ومِنْ ثَمَّ العمل به جملة وتفصيلًا، بحيث يتخذ **دستورًا ومنهجًا**، يسيرون عليه ويرجعون إليه، ويحتكمون إلى تعاليمه وآياته؛ لقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: الآية ٤٨].

ولن يحصل ذلك إلا **بتدبّر آياته وفهم عباراته**، والوقوف على **مقصود الله** ﷻ من كتابه، ولما كان حصول المقصود من إنزال القرآن الكريم لا يتم إلا **بالتدبّر** لهذا الكتاب الكريم، أمر الله بذلك فقال: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: الآية ٢٩] ومعناه: ليتفكّروا فيها، فيقفوا على ما فيه ويعملوا به، وهذه **أسمى حقائق تدبّر القرآن**.

---

(١) أضواء البيان ٣/ ١٠، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ١٠/ ١٠٩، وفتح القدير ٤/ ٢٢٣.

(٢) أضواء البيان ٣/ ١٠، والتحرير والتنوير ٨/ ٥٢.

وفي هذا السياق يقول السّعدي رَحِمَهُ اللَّهُ مبيّنًا حقيقة التدبّر، وما ترمي إليه هذه العبارة من الخير والفوائد: «يأمر تعالى بتدبّر كتابه، وهو التأمّل في معانيه، وتحديق الفكر فيه وفي مبادئه وعواقبه ولوازمه؛ ذلك لأن تدبّر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يُستنتج كل خير وتُستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته، فإنه يعرِّف بالربّ المعبود، وما له من صفات الكمال، وما ينزّه عنه من سمات النقص، ويعرِّف الطريق الموصلة إليه وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه، ويعرِّف العدوّ الذي هو العدوّ على الحقيقة، والطريق الموصلة إلى العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب العقاب»(١).

ومن حقائق تدبّر القرآن: أنه كلما ازداد العبد تأمّلًا فيه ازداد علمًا وعملًا وبصيرة وإيمانًا؛ لذلك أمر الله بذلك وحثّ عليه، وأخبر أنه هو المقصود بإنزال القرآن، كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: الآية ٢٩]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: الآية ٢٤].

الثاني: في عملية التدبّر، تتجلّى حقائق وفوائد نفيسة، ومنها:

١ - **أن العبد يصل بالتدبّر إلى حقيقة اليقين والعلم بأن القرآن كلام الله؛** لأنه يراه يصدّق بعضه بعضًا، ويوافق بعضه بعضًا، فترى الحكم والقصة والإخبارات تعاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة لا ينقض بعضها بعضًا، فبذلك يعلم كمال القرآن، وأنه من عند من أحاط علمه بجميع الأمور؛ فلذلك قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١٨٩ .

[النّساء: الآية ٨٢]، أي: فلما كان من عند الله لم يكن فيه اختلاف أصلًا [(١)].

٢ - **أن حقيقة تدبّر القرآن تكشف لنا عن المعنى الحقيقي للدِّين الإسلامي، وعلاقته بترقية الأمّة نحو الأحسن والأجود والأتقن**، في جميع المجالات الحيوية المتعلّقة بحياة الناس، فعملية التدبّر للقرآن الكريم: في كلياته وجزئياته، وفي أصوله وفروعه.

٣ - أن الدّين هو ما كلّف الله به الأمّة من مجموع العقائد، والأعمال، والشرائع، والنظم.

٤ - أن إكمال الدين في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: الآية ٣]: هو إكمال البيان المراد لله تعالى، الذي اقتضت الحكمة تنجيمه، فكان بعد نزول أحكام الاعتقاد التي لا يسع المسلمين جهلها، وبعد تفاصيل أحكام قواعد الإسلام التي آخرها الحجّ بالقول والفعل، وبعد بيان شرائع المعاملات وأصول النظام الإسلامي، بعد ذلك كلّه قد تمّ البيان المراد لله تعالى في قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: الآية ٨٩]، وقوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: الآية ٤٤]؛ بحيث صار مجموع التشريع الحاصل بالقرآن والسنّة كافيًا في هدي الأمّة في عبادتها ومعاملتها وسياستها في سائر عصورها، بحسب ما تدعو إليه حاجاتها، فقد كان الدين وافيًا في كلّ وقت بما يحتاجه المسلمون[(٢)].

الثالث: حقيقة تدبّر القرآن تتضمّن بيان مظاهر الإعجاز:

ذلك أن من تَدبّر القرآن وجد فيه من وجوه الإعجاز فنونًا ظاهرة وخفية، من

(١) المصدر نفسه.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٤/ ١٣٣ .

حيث اللفظ ومن جهة المعنى؛ قال الله تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: الآية ١]، فأُحكمت ألفاظه، وفُصِّلت معانيه، فكلّ من لفظه ومعناه فصيح لا يجارى ولا يدانى[(١)].

١- فقد أخبر عن مغيّبات ماضية وآتية كانت ووقعت طبق ما أخبر سواء بسواء.

٢- وأمر بكل خير، ونهى عن كل شر، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝١١٥﴾ [الأنعام: الآية ١١٥]، أي: صدقًا في الأخبار وعدلًا في الأحكام، فكلّه حقٌّ وصدق وعدل وهدى، ليس فيه مجازفة ولا كذب ولا افتراء، كما يوجد في أشعار العرب وغيرهم من الأكاذيب والمجازفات، التي لا يحسن شعرهم إلا بها.

٣- القرآن جميعه فصيح في غاية نهايات البلاغة عند من يعرف ذلك تفصيلًا وإجمالا، ممّن فهم كلام العرب وتصاريف التعبير؛ فإنه إن تأمّلت أخباره وجدتها في غاية الحلاوة، سواء كانت مبسوطة أو وجيزة، وسواء تكررت أم لا، وكلما تكرّر حلَا وعلَا، لا يَخلق عن كثرة الرد، ولا يملّ منه العلماء، كما جاء في الحديث: «هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخْلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه»[(٢)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ١/ ١٩٩ .

(٢) أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه ٢٩٤٢١، والترمذي في جامعه ٢٩٠٦ وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال، والمروذي في قيام الليل ٢١٣، والدارمي في سننه- كِتَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ - «**ستكون فتن**» ٣٣٣١، وغيرهم، وضعفه الشيخ الألباني، ضعيف الترمذي ٢٩٠٦ .

وليس لهذا الحديث إسناد صحيح، ولكن معناه صحيح ولمعناه شواهد، ولذلك احتج به ابن تيميّة وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٢٣١، والبغوي في المصابيح ٢/ ١١٨، وابن كثير في التفسير ١/ ٢٠-٢٢ .

٤- إن أخذ وجاء بما تقشعرّ له الجبال وتتصدّع؛ لقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر: الآية ٢١]، فما ظنك بالقلوب اللينة؟!

* فإنْ وعَدَ، أتى بما يفتح القلوب والآذان، ويشوّق إلى دار السلام، ومجاورة عرش الرحمن: كما قال في الترغيب: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: الآية ١٧]، وقال: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: الآية ٧١].

* وقال في الترهيب: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾﴾ [الإسراء: الآية ٦٨]، وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ [الملك: ١٦ - ١٧].

* وقال في الزجر: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العنكبوت: الآية ٤٠].

* وقال في الوعظ: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٠٥ - ٢٠٧]، إلى غير ذلك من أنواع الفصاحة والبلاغة والحلاوة.

٥- إن جاءت الآيات في الأحكام والأوامر والنواهي اشتملت على الأمر بكل معروف حَسن نافع طيّب محبوب، والنهي عن كل قبيح رذيل دنيء؛ كما قال ابن مسعود وغيره من السلف: «إذا سمعت الله تعالى يقول في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فأرعِها سمعك؛ فإنه خير ما يأمر به أو شر ينهى عنه»[1]؛ ولهذا قال

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ١/١٩٦ ح ١٠٣٢، من قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٧].

٦- وإن جاءت الآيات في وصف المعاد، وما فيه من الأهوال، وفي وصف الجنة والنار، وما أعدّ الله فيهما لأوليائه وأعدائه من النعيم والجحيم والملاذ والعذاب الأليم - بشّرت به وحذّرت وأنذرت؛ ودعت إلى فعل الخيرات واجتناب المنكرات، وزهّدت في الدنيا، ورغّبت في الأخرى، وثبّتت على الطريقة المثلى، وهدت إلى صراط الله المستقيم وشرعه القويم، ونفت عن القلوب رجس الشيطان الرجيم(١).

الرابع: دلالات معرفة الله تعالى وعبادته حق العبادة:

فالدّلالات القرآنية كثيرة جدًّا على سعة رحمته، وجزيل فضله، ووجوب شكره، وكمال قدرته، وعظيم سلطانه، وسعة ملكه، وعموم خلقه لجميع الأشياء.

فجميع التدبير في العالم العلوي والسفلي، في ماضي الأوقات وحاضرها ومستقبلها بيد الله تعالى، ليس لأحد من الأمر شيء ولا من القدرة شيء.

فينتج من ذلك أنه تعالى هو المألوه المعبود وحده، الذي لا يستحق أحد معه من العبودية شيئًا، كما لم يستحق من الربوبية شيئًا.

وينتج من ذلك امتلاء القلوب بمعرفة الله تعالى ومحبته وخوفه ورجائه.

وهذان الأمران- أي: معرفته وعبادته- هما من أعظم الحقائق التي يُتوصّل بها عن طريق التدبّر، وهما اللذان خلق الله الخلق لأجلهما، وهما الغاية المقصودة منه تعالى لعباده، وهما الموصلان إلى كل خير وفلاح وصلاح، وسعادة دنيوية

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ١/ ٢٠٠-٢٠١.

وأخروية، وهما اللّذان هما أشرف عطايا الكريم لعباده، وهما أشرف اللذّات على الإطلاق، وهما اللّذان إن فاتا فات كل خير وحضر كل شر، فنسأله تعالى أن يملأ قلوبنا بمعرفته ومحبته، وأن يجعل حركاتنا الباطنة والظاهرة خالصة لوجهه تابعة لأمره؛ إنه لا يتعاظمه سؤال ولا يحفيه نوال[١].

الخامس: فهم القرآن معيارٌ لصحة سلوك الإنسان المسلم مع ربه:

فهم القرآن يُعد معيارًا لصحة سلوك الإنسان المسلم مع ربه ابتداء ثم مع باقي المخلوقات، إلا أن فهم القرآن يتطلب النظر والتدبر فيه؛ ولذلك عدّ الإمام ابن القيم أن عدم تدبر القرآن والتفكر في آياته وتأمله أحد الأنواع الخمسة لهجر القرآن الكريم[٢].

فبالرجوع للآيات التي تحدثت عن تدبر القرآن مباشرة، نجد أن ثلاثة منها جاءت بصيغة الاستفهام الاستنكاري، والرابعة جاءت لتحدد هدف نزول الكتاب وهو التدبر.

فالذي لا يتدبر القرآن يشارك المنافقين والكافرين في هذا الفعل، وكذلك لا يوافق مراد الله من تنزيله للقرآن، ولعل هذا من أهم الأسباب التي جعلت الكثير من المسلمين بعيدين جدًّا في سلوكياتهم عن أوامر القرآن؛ بل عاجزين عن إيجاد حلول لكثير من المسائل الطارئة والحديثة، بخلاف ما كان عليه السلف الصالح.

«تدبر القرآن يزيل الغشاوة، ويفتح النوافذ، ويُكسب النور، ويحرك المشاعر، ويستجيش القلوب، ويخلص الضمير، وينشئ حياة للروح تنبض بها وتشرق وتستنير»[٣].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ١/ ٧٤١ .

(٢) ينظر: الفوائد لابن القيم ص٨٢-٨٣ .

(٣) في ظلال القرآن ٦/ ٣٢٩٧ بتصرف.

«فالغاية والحكمة من تدبر القرآن الكريم هي تحقيق العبودية لله ﷻ، وذلك بالتعرف عليه وعلى عظيم سلطانه وفضله، ومِنْ ثَمَّ امتثال أمره ونهيه... قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ۝١٩﴾ [محمد: الآية ١٩]، فالعلم مقدم على العمل، فتدبر هذا القرآن العظيم والتأمل في آياته هو الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد؛ فذاك الذي يملأ القلوب بالإيمان، وبه يتبين للعباد الطريق الموصلة إلى الله، وإلى جنته، والطريق الموصلة إلى العذاب، وبأي شيء تُحذر، ويعرِّفهم بربهم وأسمائه وصفاته وإحسانه، ويشوِّقهم إلى الثواب الجزيل، ويرهِّبهم من العقاب الوبيل»[(١)].

الواجب الثاني: أن ينظر في تجدد المعاني في القرآن الكريم:

وتجدد معاني القرآن المراد الاستفادة منه وعرضه، يُعينه عليه الأمور التالية:

❑ ١- ما يحتمله الأسلوب من معانٍ جديدةٍ تُفْهم من كلام الله، ضمن الأصول المعتبرة والضوابط المستنبطة من أقوال السلف الصالح وتعاملهم مع القرآن في الفهم والعلم والعمل:

وصرح العلامة الأمين الشنقيطي بأن تجدد المعاني في الآيات القرآنية يقصد به هذا المعنى؛ حيث قال: «وإن كتاب الله لا تزال تظهر غرائبه وعجائبه متجددة على مر الليالي والأيام، ففي كل حين تفهم منه أشياء لم تكن مفهومة من قبل، ويدل لذلك حديث أبي جحيفة الثابت في «الصحيح»، أنه لما سأل عليًّا رضي الله عنه: هل خصَّهم رسول الله ﷺ بشيء؟ قال له علي رضي الله عنه: «لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا فهمًا يعطيه الله رجلًا في كتاب الله، وما في هذه الصحيفة...»[(٢)] الحديث.

---

(١) مفهوم التدبر في ضوء القرآن والسنة وأقوال السلف وأحوالهم، محمد عبد الله الربيعة، الملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن الكريم، ١٤٢٩هـ.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير ٣٠٤٧ .

فقوله ﷺ: «إلا فهمًا يعطيه الله رجلًا في كتاب الله» يدل على أن فهم كتاب الله تتجدد به العلوم والمعارف التي لم تكن عند عامة الناس»[١].

وقد أشار الشعراوي إلى هذا المعنى فقال: «فكل يوم يعطي القرآن عطاءه الجديد ولا تنقضي عجائبه، ويقرأه واحد فيفهم منه معنى، ويقرأه آخر فيفهم منه معنى جديدًا. وهذا دليل على أن قائله حكيم، وضع في الشيء القليل الفائدة الكثيرة، وهذا هو معنى ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ [ص: الآية ٢٩]؛ فكل كتاب له زمن محدود وعصر محدود وأمة محدودة، أما القرآن فهو يعالج من يوم أن أنزله الله إلى أن تقوم الساعة قضايا متجددة ويضع لها حلولًا، ويعالج كل المسائل التي تطمح لها البشرية في حضاراتها وارتقاءاتها في العقول معالجة تجعل له السبق دائمًا، ولا يكون ذلك إلا إذا كانت فيه البركة»[٢].

❐ **٢- تطبيقه في واقع الناس وإحياء ما اندرس من العمل به:**

والدليل على هذه المعاني ما رواه أبو الدرداء رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فشخص ببصره إلى السماء ثم قال: **«هذا أوان يُختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء»** قال: فقال زياد بن لبيد الأنصاري: يا رسول الله، وكيف يُختلس منا وقد قرأنا القرآن، فوالله لنَقرَأَنَّه ولنُقرِئَنَّه نساءنا وأبناءنا، فقال: **«ثكلتك أمك يا زياد؛ إني كنت لأعدُّك من فقهاء أهل المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا يغني عنهم؟!»**[٣]. فتأمل كيف أن قراءة القرآن وحفظه لا

---

(١) أضواء البيان ٢/ ٢٥٩ .

(٢) تفسير الشعراوي ٧/ ٤٠٠٨ .

(٣) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب أبواب العلم، باب ما جاء في ذهاب العلم ح ٢٦٥٣ وقال: حسن غريب. وصححه الألباني، وأخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ١٧٩، وقال: إسناده صحيح، وتابعه الذهبي.

تغني دون تفهّم معانيه وتطبيقها في الحياة.

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: «سيبلى القرآن في صدور أقوام كما يبلى الثوب، فيتهافت، يقرؤونه لا يجدون له شهوة ولا لذة، يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب، أعمالهم طمع لا يخالطه خوف، إن قصروا قالوا: سنبلغ، وإن أساءوا قالوا: سيغفر لنا، إنا لا نشرك بالله شيئًا»(١).

فكيف يبلى وهم يقرؤونه إلا إن كانت قراءة عابرة دون استخراج كنوز المعاني ومهمات المعارف من هذا الكتاب العزيز؟!

ويبيّن ابن القيم بُعد الناس عن هذا المعنى وأنه أحد الأسباب في عدم فهم القرآن فيقول: «ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له، ويظنونه في نوع وفي قوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثًا، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن»(٢).

❑ ٣- الجهاد به في إماتة البدع وإحياء السنن.

وهذه المقاصد من تجديد الدين الوارد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**»(٣) وتجديده يكون بإحياء ما في الكتاب والسنة وتطبيقه في واقع الناس وحياتهم(٤).

يقول المناوي: «**يجدد لها دينها**»: أي يُبَيِّنُ السنة من البدعةِ، ويُكَثِّر العلم،

---

(١) أخرجه الدارمي في السنن، باب في تعاهد القرآن ٤/٢١٠٧، قال المحقق: حسين سليم أسد: إسناده صحيح إلى معاذ، وهو موقوف عليه.

(٢) مدارج السالكين ١/٣٥١ .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب ما يذكر من قرن المائة ح ٤٢٩١، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢/١٤٨ رقم ٥٩٩ .

(٤) ينظر: عون المعبود، للعظيم آبادي ١١/ ٢٦٠ .

ويَنصرُ أهله ويكسرُ أهل البدعة ويذلهم»[١].

وقال غيره: «إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة، والأمر بمقتضاهما، وإماتة ما ظهر من البدع والمحدثات»[٢].

ودور المجدد لا يخرج عن أنه يُحيي «ما اندرس من أحكام الشريعة، وما ذهب من معالم السنن وخفي من العلوم الدينية الظاهرة والباطنة»[٣].

وتجديد الدين يستلزم بالضرورة: «إظهار هدايته، وبيان حقيقته وأحقيته، ونفي ما يعرض لأهله من البدع والغلو فيه أو التفريط في إقامته، ومراعاة مصالح الخلق، وسنن الاجتماع والعمران في شريعته»[٤].

ولا شك أن تلك المعاني واضحة الأثر في الارتقاء بالأمم إذا تمت على منهج صحيح وفهم سليم، وهذا التجدد الذي يسهم في رقي الأمم من بركات هذا القرآن التي لا تظهر إلا بتدبره.

ولك أن تتأمل وصف القرآن بالبركة وارتباطه بالتدبر في قوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: الآية ٢٩]، وإن تدبرَ هذا الكتاب يظهرُ خيره ونفعه وبركته للأفراد والأمم.

وتجدد معاني القرآن لا يمكن أن يفهم بعيدًا عن منهج النبوة، حتى يتّسق هذا المصطلح، ألا وهو: «التجديد» أو «تجدد المعاني» مع مقاصد القرآن التي تحيي الأمم والشعوب وتهديها للتي هي أقوم؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى

---

(١) فيض القدير ٢/ ٢٨١ .

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ١١/ ٣٩١ .

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي١/ ١٤ .

(٤) مجلة المنار ٣٠/ ١١٥، وانظر: التجديد في عرض السيرة النبوية، د. محمد يسري ص١٤ .

﴿هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: الآية ٩].

هكذا تتكاثر المعاني ويُبْنَى بعضها على بعض، وهكذا نستطيع استثمار المعاني السابقة واللاحقة في بيان عظمة هذا الكتاب والعمل به، ونستغني به كما استغنى به أسلافنا فسادوا وأدّوا ما عليهم، فها هو بين أيدينا ونحن من يحتاج إلى استثارة معانيه واستفتاح كنوزه ولآلئه حتى نكون أعظم أمة، أما حين يضيق فهمنا عن تدبر كلام الله واستخراج عظيم معانيه فهذا القعود عن تحصيل الثراء هو النكوص والهجرُ للقرآن.

المعيار الرابع: فضل التدبر:

لا شكّ أن النصوص الشرعية جاءت دالّة على الاعتناء بالقرآن الكريم، اعتناء خاصًّا بغرض الانقياد لحكمه، والإقبال على أحكامه والمشي خلفه، من خلال اتباع منهج خاص في التعامل مع القرآن الكريم: تلاوة وتدبّرًا.

الأمر بالتدبّر والترغيب فيه في ضوء القرآن الكريم:

لا شكّ أن القرآن الكريم قد أشاد بكلّ الألفاظ والصيغ التي جاءت في إطار التدبّر والتأمّل، بما يفيد الأمر والترغيب فيه، **بلفظ صريح في أربعة مواضع**:

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: الآية ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: الآية ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: الآية ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المؤمنون: الآية ٦٨].

وبألفاظ غير صريحة تحمل في مضامينها مفهوم التدبّر؛ كالتفقّه، والتعقّل،

والتبصّر، والتفكّر، والتذكّر، وغير ذلك من المفردات والصيغ التي مفادها التدبّر والتأمّل في آيات القرآن الكريم:

كقوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: الآية ٦٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: الآية ٤].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: الآية ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الزُّمَر: الآية ٢٧].

وقد تضمّنت هذه الآيات وجوب التدبّر، وقد أشار إلى ذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى، حيث قال: «يقول تعالى آمرًا عباده بتدبّر القرآن وناهيًا لهم عن الإعراض عنه، وعن تفهّم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة، ومخبرًا لهم أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب، ولا تضادّ ولا تعارض؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد، فهو حقٌّ من حقٍّ»(١).

كما تضمّنت هذه الآيات التوبيخ والإنكار على من أعرض عن تدبّر كتاب الله، وقد ذمّ جلّ وعلا المعرض عن هذا القرآن العظيم في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الزُّمَر: الآية ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ [السجدة: الآية ٢٢].

ومعلوم أن كل من لم يشتغل بتدبّر آيات القرآن العظيم - أي: تصفّحها وتفهّمها، وإدراك معانيها، والعمل بها - فإنه مُعرِضٌ عنها غير متدبّر لها، فيستحقّ الإنكار والتوبيخ المذكورين في الآيات، إن كان الله أعطاه فهمًا يقدر به على التدبّر.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٣٦٤.

ويوم القيامة يشكو النبيّ ﷺ إلى ربّه هجران قومه القرآن، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان: الآية ٣٠].

قال ابن كثير: «وترك تدبره وتفهمه من هجرانه»[١]. وقال ابن القيم: «هجر القرآن أنواع... **الرابع**: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه»[٢].

وذكر أهل التفسير: أن ترك تدبّره وتفهّمه هو من هجرانه، وترك الإيمان به وتصديقه، والعمل به، وامتثال أوامره واجتناب زواجره - هو من هجرانه، والعدولُ عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة أو منهج مأخوذ من غيره - هو أيضًا من هجرانه[٣].

الأمر بالتدبّر والترغيب فيه في ضوء السنة النبوية:

كانت للنبيّ ﷺ مع تدبّر القرآن الكريم أحوال عالية وراقية، سجّلتها سيرته العطرة وسنّته الطاهرة ﷺ، كيف لا؟! وهو القدوة والأسوة الحسنة للبشرية قاطبة وإلى يوم الدين، في جميع حركاته وسكناته، وبالخصوص في تعامله مع القرآن: تلاوة واستماعًا وتدبّرًا.

ولم ترد أحاديث صريحة مرفوعة للنبي ﷺ تأمر بتدبر القرآن الكريم، ولكن هناك بعض الأحاديث التي تدل على اهتمامه ﷺ بسماع القرآن الكريم وتأثره به وترديده للكثير من الآيات القرآنية، **منها**:

ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النَّبِيُّ ﷺ: «**اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ**»،

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ١٠٨

(٢) بدائع التفسير لابن القيم ٢/ ٢٩٢ .

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ١٠٨، وجامع البيان ١٩/ ٢٦٤، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣/ ٢٧، ومعالم التنزيل ٦/ ٨٢ .

قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قَالَ: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»(١).

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللهُ: «يحتمل أن يكون كي يتدبّره ويفهمه، وذلك أن المستمع أقوى على التدبر، ونفسه أخلى وأنشط من نفس القارئ؛ لأنه في شُغْلٍ بالقراءة وأحكامها»(٢).

وقد بيّن النبي ﷺ أن المشتغلين بذلك هم خير الناس، كما ثبت عنه ﷺ من حديث عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»(٣)، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: الآية ٧٩].

وما رواه أبو ذرّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «قام النَّبيُّ ﷺ حتَّى أصبح بآيةٍ، والآية: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: الآية ١١٨]»(٤). فهذا رسول الله ﷺ يقدم التدبر على كثرة التلاوة، فيقرأ آية واحدة فقط في ليلة كاملة.

وعن جندب، بلغه عن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أو سمعه عن النبيّ ﷺ: «ذكر ناسًا يقرءون القرآن، ينثرونه نثر الدقل(٥)، ....

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النّساء: الآية ٤١] ح ٤٥٨٣، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر، ح ٨٠٠.

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٠/ ٢٧٧-٢٧٨.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» ٥٠٢٧.

(٤) أخرجه ابن ماجه في السنن، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل ح ١٣٤٠، والنسائي، كتاب الافتتاح، باب ترديد الآية ح ١٠١٠، وأحمد في مسنده ح: ٢٠٣٦٥، ٤٣/ ٣٣١، والحاكم في المستدرك ٨٤٥ ٢/ ٤٠١، وقال: صحيح ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصحّحه الألباني في مشكاة المصابيح ١٢٠٥.

(٥) الدَّقَل: الرديء اليابس من التمر، والمراد: أن القارئ يرمي بكلمات القرآن من غير =

يتأولونه على غير تأويله»[١]. قال المباركفوري: «أي: يرمون بكلماته من غير روية وتأمّل، كما يرمى الدَّقَل - بفتحتين - وهو رديء التمر، فإنه لرداءته لا يحفظ، ويلقى منثورًا... وقال النووي: معناه أن قومًا يقرؤون وليس حظهم من القرآن إلا مروره على اللسان، فلا يجاوز تراقيهم ليصل قلوبهم، وليس ذلك هو المطلوب، بل المطلوب تعقّله وتدبّره بوقوعه في القلب»[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها، أنه ذُكر لها أن ناسًا يقرؤون القرآن في الليل مرة أو مرتين، فقالت: «أولئك قرؤوا ولم يقرؤوا، كنت أقوم مع النبي ﷺ ليلة التمام، فكان يقرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء، فلا يمرّ بآية فيها تخوّف إلا دعا الله واستعاذ، ولا يمرّ بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغّب إليه»[٣].

قال الصنعاني: «الحديث دليل على أنه ينبغي للقارئ في الصلاة تدبّر ما يقرؤه، وسؤال رحمته والاستعاذة من عذابه»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «... **وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم؛ إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده...**»[٥].

= رؤية وتأمل، كما يتساقط الدقل من العذق إذا هُزّ. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٢٩٩، واللسان لابن منظور ١١/ ٢٤٦.

(١) الأحاديث المرفوعة من التاريخ الكبير للبخاري، ٢/ ٢٥٦ ح ٧٥٤.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري ٣/ ١٧٨.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ح ٢٣٤٦٨ ٥٠/ ١٢٤. وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره. وسيأتي من حديث حذيفة رضي الله عنه عند مسلم.

(٤) سبل السلام للصنعاني ١/ ٣٦٥.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ٢٦٩٩.

والمعنى أنهم يقرؤون كتاب الله، سواءٌ أكانت هذه القراءة بأن يقوم شخص ويقرأ ويفسِّر أو غيره يفسِّر، أم أنهم يجتمعون بحيث يقرأ واحد منهم مقدارًا من القرآن ويستمع الباقون، ويكون هناك شخص يصوب قراءته ويبين ما عليه من ملاحظات، كل ذلك يدخل تحت التدارس، وكذلك تأملُ ما فيه ومعرفةُ ما فيه وتدبرُ ما فيه[١].

وعن أبي وَائِلٍ قال: جاء رجل إلى ابنِ مسعودٍ، فقال: قرأت المُفَصَّل اللَّيلةَ في ركعةٍ، فقال: «هَذًّا[٢] كهَذِّ الشِّعرِ، لقد عَرَفتُ النَّظائر التي كان النبي ﷺ يَقرنُ بينهنَّ، فذكر عشرين سورةً من المُفَصَّل، سُورتين في كُلِّ ركعةٍ»[٣].

قال النووي: «إن هذا كان قدر قراءته ﷺ غالبًا، وإن تطويله الوارد إنما كان في التدبّر والترتيل»[٤]. وقال العيني: «ويستفاد منه النهي عن الهذِّ، وفيه الحثُّ على الترسّل والتدبّر، وبه قال جمهور العلماء»[٥].

وقال الحافظ ابن حجر: «وفي هذا الحديث من الفوائد: كراهةُ الإفراط في سُرعةِ التِّلاوةِ؛ لأنهُ يُنافي المطلُوب من التَّدبّر والتَّفكُّر في معاني القرآن. وفيه أن التّرتيل أفضل من الهذّ؛ إذ لا يصحّ التدبّر مع الهذِّ»[٦].

---

(١) تحفة الأحوذي، للمباركفوري ٨/ ٢١٥-٢١٦ .

(٢) وقوله: «هذّا» - بفتح الهاء وتشديد الذال المعجمة - أي: سرْدًا وإفرَاطًا في السرعةِ. ينظر فتح الباري، للحافظ ابن حجر ٣/ ١٥١، وفتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب ٤/ ٤٧٢ .

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب الجمع بين السورتين في الركعة ح ٧٧٥، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ترتيل القراءة، واجتناب الهذِّ. . . وإباحة سورتين فأكثر في ركعة ح ٨٢٢ .

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي ٦/ ١٠٥ .

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني الحنفي ٩/ ٢١٦ .

(٦) فتح الباري للحافظ ابن حجر ٣/ ١٥١ .

وعن أنس رضي الله عنه، أنه سُئل عن قراءة النَّبي ﷺ، فقال: «كان يمدّ مدًّا، ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفاتحة: الآية ١]، يمدُّ بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، ويمدُّ بـ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾، ويمدُّ بـ﴿الرَّحِيمِ﴾»(١).

قال ابن بطّال: «فكان يقرؤه على مهلٍ؛ ليبيّن لأمته كيف يقرؤون، وكيف يمكنهم تدبّر القرآن وفهمه»(٢).

وعن أبي عبد الرَّحمن السلمي قال: حدَّثنا الذين كانوا يُقرؤوننا القرآن: عثمان ابن عفان وعبد اللَّه بن مسعود أنهم قالوا: «كُنَّا إذا تعلمنا من النّبي ﷺ عشْرَ آياتٍ لم نُجَاوزها حتَّى نتعلَّم ما فيها من العِلمِ والعَمَلِ، قالوا: فتعلَّمنا القُرآن والعِلْم والعَمَل جميعًا»(٣). أي: أنهم كانوا يتعلّمون العلم والعمل جميعًا، فيكونون بذلك قد جمعوا بين العلم والفقه، وبين معرفة أحكامه وما اشتمل عليه، فيجمعون العلم والعمل، ولا شكّ أن ذلك لا يكون إلا بالتدبّر والتأمّل والفهم(٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦﴾ [القيامة: الآية ١٦]: «كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل بالوحي، وكان ممّا يحرِّك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه»(٥). وفيه: دليل على وجوب ترتيل القراءة والترسل فيها من غير هَذْرَمة ولا سرعة مفرطة، بل بتأمل وتفكر وتدبّر، قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩﴾ [ص: الآية ٢٩](٦).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب مد القراءة ٥٠٤٥ .

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٩/ ٣٦١ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣٨/ ٤٦٦ ح ٢٣٤٨٢، وقال شعيب الأرناؤوط إسناده حسن.

(٤) شرح سنن أبي داود، لعبد المحسن العباد ١٧/ ١٠٧ .

(٥) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨﴾ [القيامة: الآية ١٨] ح ٤٩٢٩، ومسلم كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة ح ٤٤٨ .

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٧٧ .

وروى حذيفة ﷺ: «أنه صلى مع النبي ﷺ ذات ليلة فكان يقرأ مُترسلًا: إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ»[١]. فهذا تطبيق نبوي عملي للتدبر ظهر أثره بالتسبيح والسؤال والتعوذ.

ولما راجع عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ النبي ﷺ في قراءة القرآن لم يأذن له في أقل من ثلاث ليالٍ وقال: «**لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث**»[٢]. فدل على أن فقه القرآن وفهمه هو المقصود بتلاوته لا مجرد التلاوة.

والله جلّ وعلا رتّب على تلاوة كلامه الأجر الكثير والثواب الغزير؛ الحرف بعشر حسنات، فعن عبد اللّه بن مسعود ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ: «الم» حرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**»[٣].

وفي «الصّحيحين» عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ. وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ**»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ح ٧٧٢ .

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في كم يستحب يختم القرآن ١٣٤٧، والترمذي في الجامع، كتاب القراءات، باب في كم يختم القرآن رقم ٢٩٤٧، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه الترمذي في الجامع، كتاب أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ماله من الأجر ح ٢٩١٠، وقال: حديث حسن صحيح غريب.

(٤) أخرجه البخاري كتاب الأطعمة، باب ذكر الطعام ح ٥٤٢٧ .

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ[١] - أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ - فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نُحِبُّ ذَلِكَ. قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمَ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ»[٢].

بعض أخبار وأحوال السّلف مع تدبّر القرآن:

كما سجّل لنا التاريخ الإسلامي حياة النبي ﷺ مع تدبّر القرآن، فقد سجّل لنا أيضًا وقفاتٍ وأحوالًا وأخبارًا لسلفنا الصالح مع تدبّر القرآن، **ومن ذلك:**

ما روي عن مسروق قال: قال لي رجل من أهل مكة: هذا مقام أخيك تميم الداري، لقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح - أو قَرُبَ أن يصبح - يقرأ بآية من القرآن يركع فيها ويسجد ويبكي: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: الآية ٢١][٣].

وعن أبي حمزة رحمه الله: قلت لابن عباس رضي الله عنه: إني سريع القراءة: أقرأ القرآن في مقام؟ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: «لأن أقرأ البقرة فأرتّلها وأتدبّرها أحبّ إليّ من أن أقرأ القرآن كما تقول». وفي رواية: «لأن أقرأ البقرة في ليلة أتدبّرها وأفكّر فيها أحبّ إليّ من أن أقرأ القرآن كلّه في ليلة»[٤].

---

(١) بُطحان: هو وَادٍ من أودية المدينة مَسِيلٌ للماء، النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٣/ ٥٣٣ .

(٢) أخرجه مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه ٨٠٣ .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ح١٢٣٦ ٢/ ٤١، وأخرجه أبو داود في الزهد، ح٣٧٩، ١/ ٤١٧ .

(٤) أخرجه المروزي في مختصر قيام الليل ١/ ٢١٥ .

وعن أبي وائل رَحِمَهُ اللهُ قال: جاء رجل إلى عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال: إني قرأت المفصل البارحة، فقال عبد الله: هذًّا كهذِّ الشعر ونثرًا كنثر الدقل، إني أفصِّل لتفصِّلوه، ولقد علمت النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرأ سورتين في ركعة»[١].

وعن سعيد بن عبيد رَحِمَهُ اللهُ قال: رأيت سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللهُ وهو يؤمّهم في رمضان، يردِّد هذه الآية: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾﴾ [غافر: الآية ٧١] و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾ [الانفطار: الآية ٦]، يردِّدها مرتين أو ثلاثًا»[٢].

ورُوي عن محمد بن كعب القرظي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: «لأن أقرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ [الزلزلة: الآية ١] و﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾﴾ [القارعة: الآية ١] ليلة أرددهما وأتفكر فيهما - أحبّ إليَّ من أن أبيت أهذُّ القرآن»[٣].

وسئل مجاهد رَحِمَهُ اللهُ عن رجلين: قرأ أحدهما البقرة، وقرأ الآخر البقرة وآل عمران، فكان ركوعهما وسجودهما وجلوسهما سواء، أيهما أفضل؟ قال: «الذي قرأ البقرة»، ثم قرأ مجاهد: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: الآية ١٠٦][٤].

وقال الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم،

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب الجمع بين السورتين في الركعة ح ٧٧٥، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ترتيل القراءة واجتناب الهذ، وهو الإفراط في السرعة، وإباحة سورتين فأكثر في ركعة ح ٨٢٢ .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ح ٤١٩٦، ٢/٤٩٢ .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢/٢٥٦ رقم ٨٧٣٢، وإسناده ضعيف، لضعف عبيد الله بن عبدالرحمن، تقريب التهذيب ص ٣٧٣ .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ح ١٢، ٢/٤٠٣ .

فكانوا يتدبرونها بالليل ويتفقدونها في النهار»[١].

وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «لقد عشنا دهرًا طويلًا وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، فتنزل السورة على محمد ﷺ، فنتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها، وما ينبغي أن يوقف عنده منها، ثم لقد رأيت رجالًا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته، لا يدري ما آمره ولا زاجره وما ينبغي أن يقف عنده منه، ينثره نثر الدقل»[٢].

وتكلم النووي رحمه الله في الإرشاد إلى تدبّر القرآن، عمّا كان عليه السلف من أحوال فقال:

«وقد كانت للسّلف عادات مختلفة فيما يقرؤون كل يوم، بحسب أحوالهم وأفهامهم ووظائفهم: فكان بعضهم يختم القرآن في كل شهر، وبعضهم في عشرين يومًا، وبعضهم في عشرة أيام، وبعضهم أو أكثرهم في سبعة، وكثير منهم في ثلاثة... والمختار أنه يستكثر منه ما يمكنه الدوام عليه، ولا يعتاد إلا ما يغلب على ظنه الدوام عليه في حال نشاطه وغيره، هذا إذا لم تكن له وظائف عامة أو خاصة يتعطل بإكثار القرآن عنها، فإن كانت له وظيفة عامة كولاية وتعليم ونحو ذلك، فليوظّف لنفسه قراءة يمكنه المحافظة عليها مع نشاطه وغيره، من غير إخلال بشيء من كمال تلك الوظيفة، وعلى هذا يُحمل ما جاء عن السلف»[٣].

❐ **وجملة القول**: فهذه الآيات القرآنية والنصوص الحديثية وما ثبت من ذلك في وقائع سير السّلف الصالح؛ يدلّ على أن تدبّر القرآن، وتفهمّه، وتعلّمه،

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ١/ ٢٧٥.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٩١ ح ١٠١، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ١٢٠ ح ٥٠٧٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، للنووي ٤/ ١٧٠.

والعمل به أمر استُقِرّ عليه في القرون الثلاثة الأولى المشهود لها بالخيرية، وهو لا بدّ منه للمسلمين في كلّ زمان ومكان، وأن ثواب قراءة الترتيل والتدبّر أجلُّ وأرفعُ قدرًا[١].

فإعراض كثير من الناس عن التدبّر في كتاب الله تعالى والنّظر فيه وتفهّمه والعمل به، وبالسنّة الثابتة المبيّنة له، في جميع المجالات الحيوية اجتماعيًّا، واقتصاديًّا، وتربويًّا، وثقافيًّا، وسياسيًّا، وما إلى ذلك من الأمور التي تحتاج إليها الأمّة: أفرادًا وجماعات - هو من أعظمِ المناكر وأشنعِها، وإن ظنّ فاعلوه أنهم على هدى باتباعهم مناهج غربية علمانية مستوردة، والله المستعان[٢].

المعيار الخامس: حكم تدبر القرآن الكريم:

تدبر القرآن الكريم فضيلةٌ دعا الشارع إليها، ورغَّب فيها الرسول ﷺ، وأصحابه ﷺ، وجعل الله الهداية والنجاة في ثمرة التدبر وهي التذكر والاتباع.

وعند تأمل كلام العلماء في حكمه التكليفي؛ نخلص إلى أنه لا يخرج عن ثلاث مراتب:

١- الواجب على المكلف.

٢- الواجب على الكفاية.

٣- الندب والاستحباب.

---

(١) زاد المعاد لابن القيم ١/ ٣٢٨ .

(٢) ينظر: أضواء البيان ٧/ ٣٥٨ .

وتفصيلها كالتالي:

١ - الواجب على كل مكلف:

فالواجب الذي يلزم كل مكلفٍ من التدبر هو ما يقوم به معرفة الله ومعرفة رسوله ودينه الذي لا يقبل غيره، وهو الغاية من سماع القرآن وبلاغه للمكلفين، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: الآية ٦] «قد عُلِمَ أن المراد: أنه يُسمعه سمعًا يتمكن معه من فهم معناه، إذ المقصود لا يقوم بمجرد سمع لفظٍ لا يتمكن معه من فهم المعنى، فلو كان غير عربي وجب أن يُترجم له ما يقوم به عليه الحجة، ولو كان عربيًّا وفي القرآن ألفاظٌ غريبةٌ - ليست لغته - وجب أن يُبيَّن له معناها، ولو سمع اللفظ- كما يسمعه كثير من الناس- ولم يفقه المعنى، وطلب منّا أن نُفَسِّره له ونُبيِّن له معناه؛ فعلينا ذلك»(١).

وجعل الله التدبر واجبًا على المخاطبين فقال: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: الآية ٢٩] وفي القراءة المتواترة الأخرى بالخطاب: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِتَدَبَّروا ءَايَـٰتِهِۦ﴾ [ص: الآية ٢٩] قال الحسن رَحِمَهُ اللهُ تعالى: «تدبر آيات الله اتباعها»(٢).

قال الإمام القرطبي عند ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: الآية ٢٤] «ودلت هذه الآية على وجوب التدبر في القرآن ليعرف معناه»(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة: «لا ريب أنه يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/ ١٣٦-١٣٧ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ١٥/ ١٩٢ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ٥/ ٢٩٠ .

الرسول إيمانًا عامًّا مجملًا، ولاريب أن معرفة ما جاء به الرسول على التفصيل فرض على الكفاية، فإنَّ ذلك داخل في تبليغ ما بعث الله به رسوله، وداخل في تدبر القرآن وعقله وفهمه، وعلم الكتاب والحكمة وحفظ الذكر والدعاء إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء إلى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين، فهو واجب على الكفاية منهم.

وأما ما يجب على أعيانهم فهذا يتنوع بتنوع قدرهم ومعرفتهم وحاجتهم، وما أمر به أعيانهم فلا يجب على العاجز عن سماع بعض العلم أو عن فهم دقيقه ما يجب على القادر على ذلك، ويجب على من سمع النصوص وفهمها من علم التفصيل ما لا يجب على من لم يسمعها، ويجب على المفتي والمحدث والمجادل ما لا يجب على من ليس كذلك»[١]. اهـ.

التدبر يقصد به النظر في عموم الأمر و دبره، ويعتبر وسيلة لغاية أعظم، وهي غاية نزول القرآن:

ففي الآية الأولى من آيات التدبر: أمروا بالتدبر لإزالة شكهم في مصدر القرآن واعتقادهم أنه ﷺ متخرص - حاشاه عن ذلك.

وفي الآية الثانية: أنه تعالى ذكر التدبر -بعد ذكر صفاتهم وكفرهم بالله تعالى- ليبين أن عدم تدبر القرآن هو سبب كفرهم بالله. وليرشدهم من جهة أخرى إلى أنهم مدعوون للتدبر للتخلص من تلك الصفات المشينة وذلك الكفر.

وفي الآية الرابعة: جاء استنكار عدم تدبر المنافقين للقرآن -بعد ذكر صفاتهم المشينة- داعيًا لهم إلى ما ينقلهم من نفاقهم إلى الإيمان وعدم الشك وهو تدبر

---

(١) الفتاوى الكبرى ١/ ١٤١، و درء تعارض العقل والنقل ١/ ٥١ .

القرآن.

ولما كانت الآية الثالثة فيها ما قد يفهم أن التدبر - يعني التفكر - والنظر في الأمر وعواقبه - في قوله: ﴿لِيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: الآية ٢٩] - غاية قصوى؛ أتبعها بقوله: ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: الآية ٢٩]؛ ليعلم أن التدبر وإن كان غاية لنزول الكتاب إلا أنه وسيلة لغاية أعظم وهي الإيمان.

وذلك يدل على أن التدبر وسيلة وأن الهدف منه ما جاء ظاهرًا في أكثر آيات التدبر؛ وهو: الإيمان والاتباع وتصديق الرسول ﷺ واليقين بأن القرآن من عند الله عزّ وجل.

❑ **ومن هنا فإن الواجب من التدبر:** ما يحصل به الإيمان بالله عزّ وجل، والتصديق بكتابه، واتباع رسوله ﷺ، وإذا لم يتحقق ذلك إلا بأنواع أخرى من النظر كالتفكر في الآيات الأفقيّة والنفسية وغيرها، تعيّن منها ما يحصل به اليقين.

فإذا تحقق ذلك الهدف بالنظر في تدبر القرآن تعيّن ذلك، لتحقيق اليقين، وما سواه يكون بحسبه، إمّا واجبًا على الكفاية، أو الاستحباب[١].

فأوجب الله تعالى التدبر والتفكر وإمعان النظر، لفهم معاني آيات الكتاب العزيز، وعاب على المنافقين والمشركين إعراضهم عن تدبر القرآن والتفكر فيه وفي معانيه.

ولذا حذّر العلماء من ترك التدبر، وأنه يُوقع فيما نهى الله عنه، قال شيخ الاسلام ابن تيميّة: «ولا يَتْرُكُ تَدَبُّرَ الْقُرْآنِ فَيَكُونُ مِنْ بَابِ الَّذِينَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: الآية ٧٨]»[٢].

---

(١) بتصرفٍ واختصار من مقال في ملتقى أهل التفسير.

http//:vb.tafsir.net/tafsir12224./VyTSUNQrLIU.

(٢) الإكليل في المتشابه والتأويل ص١٦ .

وقال شيخ الاسلام ابن تيميّة: «والإيمان بالقرآن لفظه ومعناه واجبٌ، وإنكار ما خالفه ولو بالقلب واجبٌ، لكن يعذر المؤمن بعجزه. فالقلب كالبدن، فمن عجز عن معرفته فهو كالعاجز عن حفظ حروفه، ويسقط عنه خطاب الإيمان بذلك، ويخاطب به القادرون، لكن لا يكاد يعجز مثل هذا أن يعلم أي القولين أو القائلين أولى بالإيمان بالله ورسوله، فعليه أن يكون مع أهل الإيمان بحسب إيمانهم، وإن ابتلي بمخالفة الفاجر خالفه.

وهذا الذي ذكرته بيِّنٌ لمن تدبره -ولا حول ولا قوة إلا بالله- فإن الله تعالى إنما أنزل كتابه ليُعقل ويتدبر، وتَتَبُّع المعاني أشرف من الألفاظ، والكمال المقصود بالألفاظ، وهي معها كالأرواح مع الأجساد، فاللفظ بلا معنى جسم بلا روح، ومن لم يعلم من الكلام إلا لفظه فهو مثل من لم يعلم من الرسول إلا جسمه، ومن لم يعلم من الصلاة إلا حركة البدن بالقيام والقعود والركوع والسجود. قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: الآية ١٧٧] الآية، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾ [ق: الآية ٣٧]، قالوا: شاهد القلب غير غائبه.

ولهذا ذم العلماء الراسخون والمؤمنون الصادقون من اقتصر في إعجاز القرآن على ما فيه من الإعجاز من جهة لفظه أو تأليفه أو أسلوبه!! وقالوا: هذا وإن كان معجزًا فنسبته إلى ما في معانيه من الإعجاز نسبة الجسد إلى الروح، ومحاسن الخَلْق إلى محسن الخُلُق، وهو يشبه من عظم النبي ﷺ بمحاسن خَلْقه وبدنه، ولم يعلم ما شرف الله به قلبه الذي هو أشرف القلوب ونفسه التي هي أزكى النفوس، من الأمور التي تعجز القلوب والألسنة عن كمال معرفتها وصفتها... وهذا القدر الذي ذكرناه - من أن المقصود بالقرآن معانيه ومن ذم المعرض عن معناه- هو أجل في نفسه وأظهر معرفة من أن يحتاج إلى بسط، فإذا كان كذلك فمن أعرض عن معناه بالكلية فهو معرض عن البِرِّ المقصود منه، ومن أعرض عن معاني كثير منها

فهو معرض عن كثير منه، فإذا كان يأمر بذلك الإعراض ويرغب فيه فهو أمر بالإعراض عن القرآن والأمر بنسيانه وتركه، ومعلوم أن هذا كفر صريح.

وإذا كان يقول: إنه ليس بمعرض عن معناه، ويتأوله على غير تأويله، ويقول: هذه معانيه!! ويأتي بمعانٍ تضاد معانيه، فهو منافق كاذب، بمنزلة من يقول: أنا أؤمن بحروفه، وأتى بكلام ليس هو القرآن!! وقال: هذا هو القرآن، فهو منافق كاذب، ولهذا كان أضر وأخبث، فإن الأول بمنزلة الكافر المعرض عن المسلمين، والثاني بمنزلة المنافق الذي أظهر الإيمان وفعل في المسلمين ما ينافي الإيمان»[1]. اهـ.

قال الشيخ صالح آل الشيخ: «تدبر القرآن واجب، لأن الله جل جلاله حثَّ عليه وأمر به، فقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: الآية ٢٤] دلت الآية على أن من لم يتدبر القرآن فإن على قلبه قُفلًا. وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: الآية ٨٢]. وقال عزّ وجل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: الآية ٨٢]. وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: الآية ٤]. وقال جل وعلا: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الزخرف: الآية ٣]، ونحو ذلك من الآيات.

فالقرآن عربي يُفهم عن طريق هذا اللسان وأنزل للتدبر وحث الله جل وعلا على تدبره، بل وأمر بذلك فمَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَى مِنْهُ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ[2].

وهذا واجب أن يتدبر القرآن لأجل أن يأخذ الهدى منه لأن القرآن جعله الله جل وعلا هاديا للتي هي أقوم، قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: الآية ٩].

---

(١) جواب الاعتراضات المصرية على الفتوى الحموية ٢٦-٢٩ مختصرًا.

(٢) هذه عبارة شيخ الإسلام في الرسالة الواسطية ص٨ .

وهذا عام يشمل العقيدة، يعني يشمل الأخبار والأحكام.

ففي الأخبار: القرآن يهدي للتي هي أقوم.

وفي الأحكام: القرآن يهدي للتي هي أقوم.

فمن أراد الهدى فهو في القرآن في كتاب الله جل وعلا، من أراد إصلاح النفس فهو في القرآن، من أراد بيان الإيمان فهو في القرآن، من أراد الأحكام فهي في القرآن، والسنة مبينة للقرآن وشارحة له ودالة عليه ومفسرة له، كما قال جل وعلا: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: الآية ٤٤]»[1].

٢- الواجب على الكفاية:

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة: «قال تعالى: ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف: ١-٢] فَأَخْبَرَ أَنَّهُ أَنْزَلَهُ لِيَعْقِلُوهُ وَأَنَّهُ طَلَبَ تَذَكُّرَهُمْ. وَقَالَ أَيْضًا: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: الآية ٢١] فَحَضَّ عَلَى تَدَبُّرِهِ وَفِقْهِهِ وَعَقْلِهِ وَالتَّذَكُّرِ بِهِ وَالتَّفَكُّرِ فِيهِ، وَلَمْ يَسْتَثْنِ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا؛ بَلْ نُصُوصٌ مُتَعَدِّدَةٌ تُصَرِّحُ بِالْعُمُومِ فِيهِ، مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾ [محمد: الآية ٢٤] وَقَوْلِهِ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ [النساء: الآية ٨٢] وَمَعْلُومٌ أَنَّ نَفْيَ الاخْتِلَافِ عَنْهُ لا يَكُونُ إلَّا بِتَدَبُّرِهِ كُلِّهِ، وَإِلَّا فَتَدَبُّرُ بَعْضِهِ لا يُوجِبُ الْحُكْمَ بِنَفْيِ مُخَالِفِهِ مَا لَمْ يَتَدَبَّرْ لِمَا تَدَبَّرَ»[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة: «لا ريب أنه يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول إيمانًا عامًّا مجملًا، ولاريب أن معرفة ما جاء به الرسول على التفصيل فرض على الكفاية، فإن ذلك داخل في تبليغ ما بعث الله به رسوله، وداخل في

---

(١) شرح الواسطية صالح آل الشيخ ١/ ٣٨٣ مفرغ في الشاملة، باختصار يسير.

(٢) الإكليل في المتشابه والتأويل ص١٧ .

تدبر القرآن وعقله وفهمه، وعلم الكتاب والحكمة وحفظ الذكر والدعاء إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعاء إلى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين فهو واجب على الكفاية منهم.

وأما ما يجب على أعيانهم فهذا يتنوع بتنوع قدرهم ومعرفتهم وحاجتهم وما أمر به أعيانهم، فلا يجب على العاجز عن سماع بعض العلم أو عن فهم دقيقه ما يجب على القادر على ذلك، ويجب على من سمع النصوص وفهمها من علم التفصيل ما لا يجب على من لم يسمعها، ويجب على المفتي والمحدث والمجادل ما لا يجب على من ليس كذلك». اهـ[١].

«إذا حصل اضطراب أو اختلاف فليتهم الإنسان نفسه ورأيه، وإلا فكلام الله لا اضطراب فيه ولا اختلاف، ولذلك قال الله جل وعلا: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: الآية ٨٢] فالله ﷻ دعا الخلق إلى تدبر هذا الكتاب.

ثم أخبر بأن الكتاب لا اختلاف فيه؛ لأنه منه، وهذا يشير إلى أن الاختلاف الذي قد ينقدح في ذهن أحد أو يظنه ظان، إنما أُتي وأصيب به من قِبَلِ عدم تدبره ونظره!! لكن لما كان من عند الله فلا اختلاف فيه، والسبيل إلى الوقوف على أنه لا اختلاف فيه أن يتدبر الإنسان كلام الله ﷻ، ولا يحسب الحاسب أن شيئًا منه يناقض بعضه البتة»[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: الآية ٢٩] وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ

---

(١) الفتاوى الكبرى ١/ ١٤١، و درء تعارض العقل والنقل ١/ ٥١ .

(٢) شرح الحموية للشيخ د. خالد المصلح، مفرغ، درس ٢٦ ص٣، وينظر الحموية ص ٥١٩ .

أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: الآية ٢٤]. وقال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: الآية ٦٨]، وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن! وكذلك قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، وعقل الكلام متضمن لفهمه.

ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه فالقرآن أولى بذلك.

وأيضًا فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحوه فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم!!»[١].

٣- الندب والاستحباب:

إن تدبر القرآن الكريم من أَجَلِّ الطاعات، وأفضل القربات، وأسمى العبادات؛ لأنه من خلاله يفهم الإنسان مراد الله ﷻ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: الآية ٢٩]. «كما أن في تدبر القرآن وتفهمه من مزيد العلم والإيمان ما لا يحيط به بيان»[٢].

قال الحسن البصري رحمه الله: «ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يُعلم فيما أنزلت وما أراد بها»[٣].

---

(١) مقدمة في أصول التفسير ص١٠ . مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية. تحقيق د. عدنان زرزور ص ٣٥ - ٣٧، وانظر مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ٢/ ٣١ . ونقله السيوطي بلا عزوٍ كما في الإتقان في علوم القرآن ٢/١٧٦ .

(٢) أمراض القلوب وشفاؤها ص١١١ .

(٣) أورده ابن عطية في المحرر الوجيز ١/٢٦ وابن الجوزي في زاد المسير ١/٤، والقرطبي في الجامع ١/٢٦، والشاطبي في الموافقات ٣/ ٣٥٠ . والقاسمي في محاسن التأويل ١/٢٣ .

وقال الإمام الزركشي رَحِمَهُ اللهُ: «تكره قراءة القرآن بلا تدبر، وعليه حُمِل حديث عبد الله بن عمرو: «لا يفقه مَنْ قرأ القرآن في أقل من ثلاث»[1].

وقول ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لمن أخبره أنه يقوم بالقرآن في ليلة: (أَهَذًّا كهذِّ الشعر؟!)[2].

وكذلك قوله ﷺ في صفة الخوارج: «**يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولا حناجرهم**»[3]، **ذمهم بإحكام لفظه، وترك التفهم لمعانيه**»[4].

وقال الزركشي رَحِمَهُ اللهُ: «فالقرآن كله لم يُنزله تعالى إلا لِيُفهِمَه ويُعلم ويُفهم، ولذلك خاطب به: أولي الألباب الذين يعقلون، والذين يفقهون، والذين يتفكرون»[5].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قَالَ تَعَالَى: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝﴾ [يوسف: ١-٢] فَأَخْبَرَ أَنَّهُ أَنْزَلَهُ لِيَعْقِلُوهُ وَأَنَّهُ طَلَبَ تَذَكُّرَهُمْ. وَقَالَ أَيْضًا: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: الآية ٢١] فَحَضَّ عَلَى تَدَبُّرِهِ وَفِقْهِهِ وَعَقْلِهِ وَالتَّذَكُّرِ بِهِ وَالتَّفَكُّرِ فِيهِ، وَلَمْ يَسْتَثْنِ مِنْ ذَلِكَ

---

(١) أخرجه ابن ماجه كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في كم يستحب يختم القرآن ١٣٤٧ . والترمذي في الجامع كتاب القراءات، باب في كم يختم القرآن رقم ٢٩٤٧، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الأذان، باب الجمع بين السورتين في الركعة ٧٧٥، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ترتيل القراءة، واجتناب الهذ، وهو الإفراط في السرعة، وإباحة سورتين فأكثر في ركعة ٨٢٢ .

(٣) أخرجه البخاري كتاب فضائل القرآن، باب إثم من راءى بقراءة القرآن ٥٠٥٨، ومسلم كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم ١٠٦٣ .

(٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ٥٣٨ . طبعة دار الفكر.

(٥) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/ ١٤٥ .

شَيْئًا»[١].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية «أَنَّ فِي تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ وَتَفَهُّمِهِ مِنْ مَزِيدِ الْعِلْمِ وَالإِيمَانِ مَا لا يُحِيطُ بِهِ بَيَانٌ»[٢]. فإذا كان قد حضّ الكفار والمنافقين على تدبره، عُلم أن معانيه مما يمكن الكفار والمنافقين فهمها ومعرفتها، فكيف لا يكون ذلك ممكنًا للمؤمنين!! وهذا يُبيِّن أن معانيه كانت معروفة بيّنةً لهم. وبيّن سبحانه أنه أنزله عربيًا لأن يعقلوا، والعقل لا يكون إلا مع العلم بمعانيه[٣].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «الحكمة من إنزاله؛ ليتدبر الناس آياته فيستخرجوا علمها، ويتأملوا أسرارها وحكمها... وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة القراءة التي لا تحصل هذا المقصود»[٤].

«جماع الأمر في ذلك: أن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور - بشرط- لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه، فالواجب التدبر: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: الآية ٢٩]، فالتدبر من أفضل ما يعين الإنسان على معرفة وفهم مقاصد الشريعة، والأصول الكلية في هذا الدين العظيم، فإن النية مطية كما قيل، وإنما الأعمال بالنيات، فإذا صدق العبد في نيته وفي طلبه للحق؛ فتح الله له الحق ويسره له، لكن إذا كانت نيته مشوبة، أو غير خالصةٍ؛ فإنه لا يُوفق لإصابة الصواب. والصواب: أن يحسن الإنسان النية والقصد.

(١) الإكليل في المتشابه والتأويل ص١٧ .
(٢) التحفة العراقية ص٣٧ .
(٣) ينظر: القاعدة المراكشية مجموع الفتاوى ٥/ ١٥٧ باختصار.
(٤) تيسير الكريم الرحمن للشيخ السعدي ص٧١٢ .

فإذا اجتمع في الطريق تدبر وحسن قصد وإعراض عن سبيل المخالفين للكتاب والسنة؛ وفق إلى خير كبير»[1].

□ **تنبيه: خطورة القول في القرآن بلا علم:**

كان السلف رحمهم الله تعالى يأخذون هذا القرآن بقوة، ويعرفون معناه، ويطلبون المعنى الذي أراده الله ﷻ، وكانوا كذلك في غاية الدقة والحرص، وفي غاية التحرج وهم يفسرون الآيات، ويحذّر العلماء أنه لو قال برأيه في القرآن فأصاب فقد أخطأ، فكان أحدهم عندما يفسّر القرآن يتقي أن يخوض في آيةٍ ليس عنده علمٌ بها، ويخشى أن يأثم حتى وإن كان قال برأيه المجرد صوابًا.

وعلّق ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ما روي عن النبي ﷺ قوله: «**من قال في كتاب الله برأيه، فأصاب، فقد أخطأ**»[2]، فقال: «أي: أخطأ؛ لأنه قد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر به، فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر؛ لكان قد أخطأ؛ لأنه لم يأت الأمر من بابه»[3].

ولذلك كان أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: «أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟!»[4]. وكان ابن أبي مليكة يقول: «سئل ابن عباس

---

(١) شرح الحموية للشيخ د. خالد المصلح، مفرغٌ، درس٢٦ ص٣ باختصار، وينظر الحموية ص٥١٩ .

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ٧/ ٢٨٦ ٨٠٣٢ . والترمذي في كتاب التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه رقم ٢٩٥٣، وأبو داود في كتاب العلم، باب الكلام في كتاب الله بغير علم رقم ٣٦٥٢، وأخرجه الطبري في جامع البيان رقم ٨٠، قال ابن الإثير في جامع الأصول: وفي سنده سهيل بن أبي حزم لا يحتج به، ضعفه البخاري وأحمد وأبو حاتم. ينظر: جامع الاصول ٢/ ٣ ٤٦٩ .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ١١ .

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ١/ ٧٨، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٤٢٤، =

عن آية، لو سئل عنها بعضكم لقال فيها، فأبى أن يقول فيها»(١).

المعيار السادس: ثمرات التدبر:

تكمن أهمية التدبر في الفوائد والثمار التي يقطفها العبد نتيجة تأمله وتدبره لآيات الله، وتتنوع تلك الثمرات: من عقديَّةٍ، وعمليَّةٍ، وعقليَّةٍ مهاريَّةٍ، وسلوكيَّةٍ تربويَّةٍ، ونشير لبعضها:

أولًا: زيادة الإيمان وتجديده:

وصف الله تعالى قومًا من شأنهم أنهم إذا تُليت عليهم آيات القرآن زادتهم إيمانًا، وأثّرت في قلوبهم، وأثمرت الخير العميم فيهم، ولا شك أن ذلك كله لا يكون لقوم يقرأون وهم غافلون أو لاهون، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: الآية ٢]، ووجه ذلك أنهم يلقون له السمع ويحضرون قلوبهم لتدبره، فعند ذلك يزيد إيمانهم؛ لأن التدبر من أعمال القلوب، ولأنه لا بدّ أن يبين لهم معنى كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير، واشتياقًا إلى كرامة ربهم، أو وجلًا من العقوبات، وازدجارًا عن المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الإيمان.

ولنعلم أن قوة الدين وكمال الإيمان واليقين لا يحصلان إلا بكثرة قراءة القرآن واستماعه، مع التدبر بنية الاهتداء به، والعمل بأمره ونهيه، فالإيمان الإذعاني الصحيح يزداد ويقوى وتترتب عليه آثاره من الأعمال الصالحة وترك المعاصي والفساد بقدر تدبر القرآن، وينقص ويضعف على هذه النسبة من تَرْك تدبره، وما

= رقم ٢٢٧٨، وابن أبي شيبة في المصنف ٦/١٣٦، رقم ٣٠١٠٧، وسعيد بن منصور ١/ ١٦٨، رقم ٣٩.

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ١/٨٦.

آمن أكثر العرب إلا بسماعه وفهمه، ولا فتحوا الأقطار، ومصروا الأمصار، واتسع عمرانهم، وعظم سلطانهم، إلا بتأثير هدايته[١].

ولما علم المشركون هذا الأثر البالغ للقرآن كانوا يسعون جاهدين في الحيلولة بين النبي ﷺ وبين أن يقرأ القرآن على غيره حتى لا يتأثر، فيعتنق الدين، وهذا ما يحذرونه.

ثانيا: الاستجابة لأمر الله تعالى بذلك:

حيث قال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: الآية ١٧]. وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: الآية ٢٤].

ويُخشى أن تكون حال من يقرأ ويحفظ دون تدبر، كحال من سبقنا من الأمم التي عاب الله عليها مثل ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: الآية ٧٨]، قال ابن عاشور: «قيل: الأماني القراءة، أي لا يعلمون الكتاب إلا كلمات يحفظونها ويدرسونها لا يفقهون منها معنى، كما هو عادة الأمم الضالة، إذ تقتصر من الكتب على السرد دون فهم»[٢].

قد سمع المشركون القرآن من النبي ﷺ مرارًا كثيرة، لكنهم لم يؤمنوا بالقرآن، ولم يهتدوا بهديه، ولم يستنيروا بنوره؛ وذلك لإعراضهم عنه وعدم تدبّره والاتعاظ بمواعظه، كما قال سبحانه: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المؤمنون: ٦٦ - ٦٨].

بل لقد كان المؤمنون والمنافقون يجلسون حول النبي ﷺ جنبًا إلى جنب،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ١/ ٣١٥ . وتفسير المنار، محمد رشيد رضا ٩/ ٤٦٣ .

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ١/ ٣٥٨ .

يستمعون إلى القرآن ويشهدون نزوله على النبي ﷺ، فيتفاوت تأثُّر كلٍّ منهم بالقرآن وتتباين مواقفهم تباينًا كبيرًا تجاه القرآن، فيزيد المؤمنين إيمانًا إلى إيمانهم، في الوقت الذي يزيد فيه المنافقين رجسًا إلى رجسهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤ - ١٢٥].

ثالثا: الوقوف على معرفة الله ومعرفة الحلال والحرام:

وهذا من أعظم بركات التدبر، أن يقف المسلم من خلال تدبره على عظمة ربه ﷻ، وهيمنته وقدرته، حيث إن المتدبر لن يُرزق نعمة التدبر إلا بتحريك القلب واستشعاره هذه المعاني قبل كل عملية تدبر، وهذا سبق للبحث أن تعرض له في الوسائل القلبية.

ووقوف المتدبر على الحلال والحرام أمر لا شك فيه؛ وذلك لأن القرآن كتاب الله تعالى، ودستوره إلى خلقه، أوضح لهم فيه محابّه ومساخطه، والله تعالى ما أحب شيئًا إلا أحلَّه، وما أبغض شيئًا إلا كرهه وحرّمه، وما قوله: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: الآية ٨٩] إلّا ويؤكّد هذه المعاني.

فيقول ابن مسعود رضي الله عنه: «قد بيّن لنا في هذا القرآن كل علم، وكل شيء»(١)، وقال مجاهد رحمه الله: «كل حلال وحرام»(٢). يقول ابن كثير: «وكلام ابن مسعود أعم وأشمل؛ فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وحكم كل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير ١٧/ ٢٧٩، وابن كثير في التفسير ٤/ ٥٩٤ بتصرف.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٤/ ٥٩٤ .

ومعاشهم»[١].

وعند التمعن والنظر في الأمثلة التي ضربها القرآن على ذلك؛ نجدُ دقّة التّمييز بين الطّيّب والخبيث، والفاسد والصّحيح.

رابعا: عمل المرء بكتاب الله، وتطبيقه في واقع الحياة:

كلُّ من يقرأ القرآن ويتدبَّر ما فيه يلحظ أنَّ القرآن يدعوه للعمل والنشاط والحركة والتطبيق وممارسة السلوك الصائب، والحذر من السلوك الخاطئ.

وفي قوله تعالى إشارة لذلك: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ [النساء: ٦٦ - ٦٨].

ففي هذه الآيات حث واضح على ضرورة العمل بما يوعظون به وأنَّ له نتائج يحبُّها كل من يؤمن بالله تعالى، فالعمل خير للناس، ومعين لهم على الثبات، وعليه أجر عظيم، ويهديهم الله بسببه الصراط المستقيم.

إنَّ كثيرًا من الخلق يتعاملون مع القرآن (للتبرُّك) لا (للتحرُّك)، ويستخدمونه لما يُحبُّونه ويرغبون فيه، لا أن يخدموا أنفسهم بما أمرهم به كتاب الله تعالى من العمل والسعي الدؤوب في تحريك معاني القرآن في واقع الحياة.

ولقد تحدَّث جماعة من أهل العلم عن حقيقة التدبر، منهم الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «والله ما تدبره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قرأت القرآن كله فما أسقطت منه حرفًا، وقد والله أسقطه كله، ما يُرى للقرآن عليه أثر في خلق ولا عمل، حتى إن أحدهم ليقول: إني لأقرأ السورة في

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٥٩٤ بتصرف.

نفس؛ والله ما هؤلاء بالقراء ولا العلماء ولا الحكماء ولا الوزعة، لا كثَّر الله في الناس مثل هؤلاء»[١].

وهذا نص صريح عظيم؛ يتبيَّن منه أنَّ سلفنا الصالح ما فهموا أنَّ التدبر للقرآن مجرد إقامة حروفه، وتضييع حدوده، لأنَّ حقَّ التلاوة للقرآن العمل بالقرآن ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [البقرة: الآية ١٢١].

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بقوله: «والذي نفسي بيده! إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله»[٢].

إنَّ القرآن الكريم وإن كان مُيسَّرًا للذكر؛ إلاّ أنَّه قول ثقيل، هو كتاب يحتاج لأولي الأحمال المُكلَّفين بحمله والقيام به، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾ [المزمل: الآية ٥]، وقد قام رسول الله ﷺ بحمل أثقال القرآن وتكاليفه، بل كان «خُلُقُه القرآن»[٣]، وكذا الصحابة رضي الله عنهم، فقد تحمَّلوا القرآن، حتَّى أنَّهم وُصفوا بأنَّهم مصاحف يمشون على ظهر المدينة؛ لقيامهم بحقِّ القرآن، تدبرًا وتعقُّلًا وتفكّرًا وتبصُّرًا، وقاموا بذلك عملًا وتطبيقًا وسلوكًا وممارسة.

ولقد جاءت الروايات والأخبار عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم منهم عثمان بن عفان وعبد الله ابن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهم أجمعين أنهم كانوا يأخذون من رسول الله ﷺ عشر آيات فلا يأخذون في العشر الأخرى، حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل قالوا: فتعلمنا العلم والعمل[٤].

(١) الزهد والرقائق لابن المبارك، ت أحمد فريد ج ٦/ ٦١٠ رقم ٧٤٢ .

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان ٢/ ٥٦٧، وأورده ابن كثير في التفسير ١/ ٤٠٣، وينظر الدر المنثور ١/ ٢٧٣ .

(٣) أخرجه الإمام مسلم كتاب المسافرين، باب جامع صلاة الليل ٧٤٦ ١٣٩، وغيره.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٦/ ١١٧، والإمام أحمد في مسنده ٣٨/ =

إنه أمر عام في أفاضل الصحابة كما يحكيه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «كان الفاضل من أصحاب النبي ﷺ في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة أو نحوها، ورزقوا العمل بالقرآن، وإن آخر هذه الأمة يقرءون القرآن منهم الصبي والأعمى، ولا يرزقون العمل به»(١).

لقد قال تعالى: ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٢ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [الحجر: ١ - ٣].

ولعلَّ ما يُمكن استنباطه من هذه الآية، العلم بأنَّ العمل بالقرآن ليس مُجرَّد أمنيات وتمنِّيات، بل هو القيام بالعمل بكتاب الله ليتحرك به الناس في حياتهم، ويعلموا أنَّه حاكم بينهم ومرجع لهم في واقعهم الدنيوي، فإنَّ أكبر مُعضلة في واقعنا أنَّ بعضهم يظن أن كتاب الله يتحدَّث عن أزمنة سابقة - حياة الرسول والصحابة - أو أزمنة قادمة - يوم القيامة والوعد والوعيد والمعاد - ولا يعلمون أنَّ هذا الكتاب أتى لإصلاح واقع البشريَّة، وأنَّه منهاج حياة ونظام مُتكامل، يحتاج إلى الأعين المبصرة والقلوب البصيرة؛ ليدركوا أنَّ كتاب الله عزَّ وجل يناقش كُلَّ مشكلاتهم، وصدق الله ومن أصدق من الله حديثًا إذ يقول: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: الآية ٨٩].

يقول الإمام ابن كثير: «فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وحكم كل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم

= ٤٦٦ وصحَّحه محققو المسند، والطبري في جامع البيان ١/ ٧٤، قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٧/٤٠٨: وهذا أمر مشهور رواه الناس عن عامة أهل الحديث والتفسير، وله إسناد معروف.

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١/ ٥١ .

ودينهم، ومعاشهم ومعادهم»[١].

ولقد قال كثير مِمَّن لم يدخلوا الإسلام الكثير عن القرآن، فإذا تصفَّحنا كتاب (قالوا عن الإسلام)[٢] ونقولاته الرائعة -جزاه الله خيرًا- عن عدد من مُفكري وخبراء وعلماء غير المسلمين عن كتاب الله، وشهادتهم أنَّه كتاب حياة وعلم، مع أنَّهم ما أدركوا معنى وطعم آيات هذا الكتاب، وقالوا كلامًا تظنُّ أنَّه قد خرج من مسلم لانبهارهم بالقرآن الكريم، فوجب على المسلمين العمل بكتاب الله وتطبيق أوامره، واجتناب نواهيه، فهو وإن كان نبأ ما قبلنا وخبر ما بعدنا فهو حكم وفصل القضاء فيما بيننا، ومن تفهَّم القرآن على حقيقته واتبَّعه حقَّ اتِّباعه، فسيرى بأمِّ عينيه كيف يُوجّه كتاب الله دفَّة الحياة إلى كل خير، وإن تعجب فاعجب من بعض العقول فإنَّ «أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته - أي القرآن - وتضمنه له، ويظنونه في نوع وفي قوم قد خلوا من قبل، ولم يعقبوا وارثًا، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن، كما يقول الإمام ابن قيم الجوزية»[٣].

خامسًا: يحقق إنابة النفس لربها وتوبتها من معاصيها:

إن التدبر لآيات القرآن يفيد في إيقاظ الغافلين واللاهين عن الطريق السوي، ويردّهم إلى جادة الصواب، واتباع منهج الحق، ومن ذلك ما رُوي من توبة الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ، قال ابن قدامة المقدسي: «كان الفضيل يقطع الطريق وحده، فخرج ذات ليلة ليقطع الطريق، فإذا هو بقافلة قد انتهت إليه ليلًا، فقال بعضهم لبعض: اعدلوا بنا إلى هذه القرية فإن أمامنا رجلًا يقطع الطريق يقال له:

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤ / ٥٩٤ - ٥٩٥ .

(٢) قالوا عن الإسلام، د. عماد الدين خليل، مكتبة صيد الفوائد، قسم: ردود وتعقيبات: http//:www.saaid.net/book/open.

(٣) مدارج السالكين، ابن القيم: ١/ ٣٤٣ .

الفضيل، قال: فسمع الفضيل، فأرعد، فقال: يا قوم أنا الفضيل جوزوا[1]، والله لأجتهدن أن لا أعصي الله أبدًا، فرجع عمَّا كان عليه. وروي من طريق أخرى: أنه أضافهم تلك الليلة، وقال: أنتم آمنون من الفضيل، وخرج يرتاد لهم علفًا، ثم رجع فسمع قارئًا يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: الآية ١٦]، قال: بلى والله قد آن، فكان هذا مبتدأ توبته»[2].

سادسا: تحصيل الهداية وتوابعها:

من عظيم الغايات والثمار التي يجنيها المتدبر من تدبره: تحصيل الهداية وتوابعها من الرحمة والبركة. . . ، وأي شيء يرجوه المسلم ويتمنى أن يُحقق له في الدنيا والآخرة إلا ذلك.

فلا تتحقق هداية القرآن ولا يمكن معرفة مقدار عظمته إلا بتدبُّره ومعرفة معانيه؛ ولهذا ندب ﷻ إلى تدبُّر القرآن والوقوف على معانيه والاتعاظ بوعْظه، فقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: الآية ٢٤]، وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: الآية ٨٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: الآية ٣٧].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا شَرع في القراءة فليكن شأنه الخشوع والتدبر عند القراءة، والدلائل عليه أكثر من أن تُحصر، وأشهر وأظهر من أن تُذكر، فهو المقصود والمطلوب، وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب»[3].

---

(١) جوزوا: جُزْتُ الطريقَ وجازَ الموضعَ: سار فيه وسلكه، وأجازَه: خَلَّفه وقطعه. لسان العرب ٥/٣٢٦ .

(٢) كتاب التوابين، لابن قدامة المقدسي ص ٢٠٧-٢٠٨ .

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن ص ٨١ .

الغرض من إنزال القرآن: هداية البشرية، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦]، ولا تتحقق الهداية بالقرآن والاستفادة من نوره إلا بالوقوف على معانيه، وفهْم آياته، وتمكُّنه من القلوب، ومن ثَمَّ العمل به.

فتدبر القرآن مقصد أساس من مقاصد نزول القرآن الكريم، فهو السبيل لفهم أحكامه، وهو الطريق لبيان غاياته ومقاصده؛ فلا يُفهم القرآن حق الفهم، ولا تُعرف مقاصده وغاياته حق المعرفة، إلا بالوقوف عند آياته وتدبرها حق التدبر، لكشف ما وراءها من حكم ومعانٍ.

فالتدبر يفضي إلى رسوخ الإيمان في القلب، ويجعل الإنسان راغبًا راهبًا، يتخلص من العجب والغرور بالنفس المفضي إلى الهلاك، كما حصل مع الجبابرة الذين تحدث عنهم القرآن كفرعون وقارون وهامان.

فأما الهداية: ففي مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه: الآية ١٢٣]. يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب، فضمن الله لمن اتبع القرآن ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة»[١].

وأما الرحمة: ففي مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٤]، فقوله: ﴿وَأَنصِتُوا۟﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٤] أي: إليه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٩ .

لتعقلوه وتتدبروه، ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه، ليرحمكم ربكم باتعاظكم بمواعظه، واعتباركم بعبره، واستعمالكم ما بيّنه لكم ربكم من فرائضه في آيِهِ.

وفي قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: الآية ١٥٥] دلالة على الطريقة الموصلة لنيل الرحمة بالقرآن، والحصانة من نزغ الشيطان، وهي الاستماع له إذا قرئ، والإنصات مدة القراءة، فمن استمع وأنصت كان جديرًا بأن يفهم ويتدبر، وهو الذي يُرجى أن يُرحم[1].

وأما البركة: فآياتها كثيرة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٥٠]، ووصْف القرآن بالبركة يقتضي كثرة خيراته ونمائها وزيادتها، ولا شيء أعظم بركة من هذا القرآن، فإن كل خير ونعمة، وزيادة دينية أو دنيوية أو أخروية، فإنها بسببه، وأثر عن العمل به، فإذا كان ذكرًا مباركًا، وجب تلقيه بالقبول والانقياد والتسليم، وشكر الله على هذه المنحة الجليلة والقيام بها، واستخراج بركته، بتعلّم ألفاظه وتدبر معانيه، وأما مقابلته بضد هذه الحالة من الإعراض عنه، والإضراب عنه صفحًا، وإنكاره وعدم الإيمان به، فهذا من أعظم الكفر، وأشد الجهل والظلم[2]، ومن ثم ختم الله تعالى الآية بالإنكار على من أنكره فقال: ﴿أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [الأنبياء: الآية ٥٠].

فالتدبر يحقق الحزم والفطنة والحكمة من خلال التأمل في معاني القرآن الكريم وأسراره.

سابعًا: الشفاء لما في الصدور:

فالقرآن شفاء ودواء بلا شك ولا مراء، وهذا أمر محقق ومؤكد، فمن تدبره

(١) جامع البيان ١٣/ ٣٤٥، والمنار ٩/ ٤٦١ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن١/ ٥٢٥ .

وعاش معه نال المراد، قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ [فُصِّلَت: الآية ٤٤]. وقال سبحانه: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ﴾ [الإسراء: الآية ٨٢]، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الجاثية: الآية ٢٠]، فمن تدبر القرآن تفتحت بصيرته، واهتدى الى الحق، وتنزلت عليه الرحمة والسكينة، كما جاء في حديث النبي ﷺ: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**»(١).

فتدبر القرآن من ثمرته حصول اليقين التام بتلك المعاني، والقرآن كالماء العذب، والقلب كالشجرة لا تستطيع أن تعيش وتنمو إلا بسقي الماء، فالقلب كلما تفكر وتدبر في معاني كلام الله حصل له الري والشبع والنمو والاستقرار والهدوء والسكينة والثبات والسمو، ولما علم الله تعالى حاجة القلب إلى هذه المعاني جاء بهذا القرآن فيه القصص والأخبار والفرائض والأحكام، والوعد والوعيد والغيب والشهادة حتى يعيش القلب المتدبر حياة لا تموت(٢).

فإذا تدبّر المؤمن القرآن زالت عنه الشبهات والشهوات التي تَرِدُ على الإنسان فتصرفه عن الطاعات، أو تهوي به في المعاصي والظلمات، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: الآية ٥٧].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ٢٦٩٩ .

(٢) ينظر: مفاتح تدبر القرآن، خالد اللاحم ص ٢١ .

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾: «أي: من الشُّبَه والشكوك، وهو إزالة ما فيها من رجس ودَنَس، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأنعام: الآية ١٥٤] أي: محصلٌ لها الهداية والرحمة من الله تعالى، وإنما ذلك للمؤمنين به والمصدقين الموقنين بما فيه»(١). وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۝٨٢﴾ [الإسراء: الآية ٨٢]، قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: وننزل عليك يا محمد من القرآن ما هو شفاء يُستشفى به من الجهل، من الضلالة، ويُبصر به من العمى للمؤمنين ورحمة لهم دون الكافرين به؛ لأن المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله، ويُحلون حلاله ويحرّمون حرامه، فيدخلهم بذلك الجنة، ويُنجيهم من عذابه، فهو لهم رحمة ونعمة من الله، أنعم بها عليهم»(٢).

إنَّ كتاب الله تعالى مصدر سعادة لأرواح المؤمنين؛ فقد وصفه الله تعالى بقوله: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه: الآية ٢]، والكتب التي تناقضه لن يعيش أصحابها إلَّا في شقاء وضيق في صدورهم، كما بيَّن تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٦].

إنَّ كتاب الله تعالى هداية للأفئدة، وطمأنينة للنفوس، وراحة للقلوب، وهو الذي يزيل الأحزان، ويذهب الهموم والغموم، ويرزق الله به الناس من الخيرات ما لا يتوقَّعونه، فهو القائل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ۝٦٦﴾ [المائدة: الآية ٦٦].

وحين يستقيم الناس على الطريقة التي يدعو إليها القرآن، سيلحظون بركات

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٢٧٤ .

(٢) جامع البيان ١٧/ ٥٣٨ .

الرحمن تتنزَّل عليهم، ومن يُعرض عن تطبيقها فإنَّه سينال العذاب والثبور، وعظائم الأمور، فالله تعالى يقول: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن: ١٦ - ١٧].

وحين يستشعر المؤمن معنى طمأنينة القلب، وراحته وأفراح روحه وزوال قلقه، فإنَّ الأنفس المؤمنة تعلم أنَّه لا يحقُّ لها أن تطمئن لشيء إلَّا لذكر الله، فهو القائل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: الآية ٢٨]. فتطمئن القلوب، وتبتهج الأنفس، ويزوال الداء عن الفؤاد الصادي، ففي ذكر الله الدواء الشافي، والهدى الوافي، كما قال تعالى عن القرآن: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: الآية ٤٤].

وإنَّ مِمَّا يؤسف له أن نجد كثيرًا من الناس قلبوا القرآن من كتاب سعادة إلى مُهيِّج للأحزان؛ فلا يتعرَّفون على كتاب الله تعالى إلَّا وقت العزاء أو المناسبات المؤلمة، ولا يحصل تدبر ولا تأمل.

يقول الإمام ابن مفلح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من المعلوم أنه يشرع في أوقات الشدائد والمصائب قراءة شيء يسكنها بذكر ما جرى على الأئمة؛ ليتأسى بهم صاحب المصيبة، وما وعد الله الصابرين من الأجر والثواب الجزيل. فأما قراءة شيء يهيج الحزن ويحمل على الجزع فينبغي أن يكره، وفي كلام ابن عقيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما يقتضي ذلك، فإنه لما توفي ابنه عقيل سنة عشر وخمسمائة - وعمره سبع وعشرون سنة، وكان تفقه وناظر في الأصول والفروع، وظهر منه أشياء تدل على دينه وخيره - حزن عليه وصبر صبرًا جميلًا، فلما دفن جعل يتشكر للناس فقرأ قارئ: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [يوسف: الآية ٧٨] فبكى ابن عقيل وبكى الناس وضج الموضع بالبكاء، فقال ابن عقيل للقارئ

يا هذا: إن كان يهيج الحزن فهو نياحة، والقرآن لم ينزل للنوح بل لتسكين الأحزان»[١].

ثامنًا: القناعة في الدنيا والتعلق بالآخرة والشوق إليها:

فمتدبر القرآن يشتاق إلى الله، ويتوق إلى لقائه، والفوز بنعيمه ورضوانه، فهو زاهد في هذه الحياة - وإن ملك من متاعها ما ملك - لأنها زائلةٌ، ومتاع الآخرة خير وأبقى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: الآية ١٣١].

قال الحسن البصري رضي الله عنه: «يا بن آدم، والله إن قرأت القرآن ثم آمنت به ليطولن في الدنيا حزنك، وليشتدن في الدنيا خوفك، وليكثرنَّ في الدنيا بكاؤك»[٢].

قال ابن الجوزي رحمه الله: «همَّة المؤمن متعلقة بالآخرة، فكلُّ ما في الدنيا يحركه ذكر الآخرة، فإذا رأى ظلمة الليل ذكر ظلمة القبر، وإن رأى مؤلمًا ذكر العقاب، وإن سمع صوتًا فظيعًا ذكر نفخة الصور، وإن رأي الناس نيامًا ذكر الموت في القبور، وإن ذاق لذةً ذكر الجنة، فهِمَّتُه متعلقة بما ثَمّ، وذلك يشغله عن كل ما ثَمَّ»[٣].

والرضا منحة وهبة إلهية للعبد المتدبر لكلامه، وهي منزلة من المنازل كما يقول ابن القيم في «المدارج»، وكذا القناعة، ويكون الرضا بالله وبدينه ورسوله أولًا، ثم الرضا والقناعة بما قسم الله تعالى للعبد من رزق ومتاع في هذه الحياة؛ ليلقى رضا الله عنه في الآخرة[٤].

---

(١) الآداب الشرعية، ابن مفلح: ٢/ ٢٩٤ .
(٢) الزهد لابن المبارك ص ٢٣٢ .
(٣) صيد الخاطر، لابن الجوزي ص ٣١٥ .
(٤) ينظر: تهذيب مدارج السلكين ص ٣٦٣ .

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ١٧ - ٢٠].

وقال ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولًا**»[١].

تاسعًا: الثبات على الحق واليقين:

حيث يدرك من يعيش مع كتاب الله عُمق الخطر في دعاوى الذين يتّبعون أهواءهم، باتباع مناهج وثقافات علمانية وغربية، تتعارض مع أصول ثقافتنا العربية والإسلامية، تلك الدعاوى التي تريد أن تقطع صلة الأمّة بكتاب ربّها ﷻ، فتنسلخ عن مصدر الهداية لتغرق في التيه والضياع[٢]، قال الله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٧٥].

فمن تدبر القرآن أوجب له تدبره علمًا ضروريًّا ويقينًا جازمًا، أنه حق وصدق، بل أحقّ كلّ حق، وأصدق كل صدق، وأن الذي جاء به أصدق خلق الله وأبرهم وأكملهم علمًا وعملًا ومعرفة.

والعبد بذلك يصل إلى درجة اليقين والعلم بأنه كلام الله؛ لأنه يراه يُصدِّق بعضه بعضًا، ويوافق بعضه بعضًا. فترى الحِكَم والقصة والأخبار تعاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضًا، فبذلك يُعلم كمال القرآن، وأنه مِنْ عند مَنْ أحاط علمه بجميع الأمور، فلذلك قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: الآية ٨٢] أي: فلما كان من عند الله لم يكن فيه اختلاف أصلًا[٣].

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب ذاق طعم الإيمان ح ١٢ .

(٢) مقدمة تحقيق تفسير البغوي = معالم التنزيل ١/ ٥ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص١٨٩ بتصرف.



عاشرًا: التدبر يشحذ الهمم ويشحن النفوس نحو الخير، ويبعدها عن الشر:

فقد رُويَ عن النبي ﷺ أنه يكرر الآية الواحدة عشرات المرات، فقد روي أنه ﷺ قام الليل وهو يكرر قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: الآية ١١٨]. وعن ابن أبي مليكة رحمه الله قال: «صحبت ابن عباس رضي الله عنهما من مكة إلى المدينة فكان إذا نزل قام شطر الليل، فسُئل كيف كانت قراءته؟ قال: قرأ: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق: الآية ١٩] فجعل يرتل ويكبر في ذلك النشيج[١].

والنشيج: شدّة البكاء إذا هاج على صاحبه فبكى بصوت مخنوق في صدره[٢] فصار له أزيز كأزيز القدر.

وما معنى هذا التكرار في الآية إذا لم يكن فيها تقليب الآية، والتفكر فيها، وتكمن ثمرة هذا كله في تهييج النفس على العمل وتنشيط القلب على السير وتوثيق إرادة النفس على عزائم الأعمال، فهذا هو التدبر الحق وهذا هو السر في تكرار الآيات والتفكر فيها والنظر إليها والعبرة منها.

يقول أبو حامد الغزاليّ: «كثر الحثّ في كتاب الله تعالى على التّدبّر والاعتبار والنّظر والافتكار، ولا يخفى أنّ الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم، وأكثر النّاس قد عرفوا فضله ورتبته لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره»[٣].

(١) ينظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي ص٢٠٧ .
(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي٣/ ٣٤٢ .
(٣) إحياء علوم الدين: محمد بن محمد أبو حامد الغزالي ٤/ ٤٢٣ .

حادي عشر: العلم والمعرفة:

فالتدبر فيه الحث على العلم والمعرفة التي تقود الإنسان في حياته العملية إلى الإبداع والكشف عن سنن وقوانين الكون، وتسخيرها لتنمية الحياة وإعمار الأرض؛ إذ أثنى الله على العلماء ورفع مقامهم، فقرنهم ﷻ بذكره حينما قال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٨].

وقال سبحانه: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: الآية ١١].

وكذلك يؤدي إلى ظهور مجتهدين في مختلف العلوم الشرعية المختلفة، ودليل ذلك ما أنتجوه من مؤلفات وموسوعات علمية هائلة قدّموها للأمة، ينمّ عن تفاعل إيجابي بين فهمهم لكتاب الله وإدراكهم لطبيعة الواقع الذي يعيشون فيه، مما جعل العالم الإسلامي آنذاك مصدرًا لمختلف القيم الحضارية، كما ظهر علماء مسلمون في مختلف العلوم والفنون، كالكيمياء، والرياضيات، والطب، والفلك، والحساب، وغيرها من العلوم الكونية، والتي أسهمت إسهامًا فاعلًا في خدمة البشرية ورقيها، والمؤمن المتدبر لكتاب الله أقدر من غيره على النظر العقلي في هذا الكون والتعرُّف على أسراره، وتوظيف ذلك في خدمة الإنسانية جمعاء، وتوفير سبل أفضل للحياة الهانئة الكريمة[١].

ويؤدي تدبر القرآن إلى تحريك العقل واستثارة طاقاته في كل وقت، وتنمية مهارات البحث التجريبي، وتأسيس العقلية المسلمة التي ترى أن التفكر في الكون والأنفس فريضة وعبادة يتقرب بها إلى الله ﷻ، فكثير من آيات القرآن دعت إلى

---

(١) تدبر القرآن بين النظرية والتطبيق، د. رقية العلواني ص ١٩-٢٤ بتصرف.

النظر في حقيقة الوجود والكون وآفاق النفس، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ [يونس: الآية ١٠١]. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ﴾ [الروم: الآية ٨]. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٖ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ١٨٥﴾ [الأعراف: الآية ١٨٥] (١).

والتدبر تنبيهٌ للنفوس على ضرورة الخروج من فكر التبريرات، وإلقاء اللوم على الآخرين، إلى فكر النقد الذاتي، الذي يجول في أرجاء النفس باحثًا عن أسباب التأخر، محاولًا الخروج منها، وعلاجها، عوضًا عن غَضِّ الطرف عنها، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٤١﴾ [الروم: الآية ٤١].

ثاني عشر: التدبر قيمة عقليّة كبرى تؤدّي إلى يقظة الأفراد ونهضة الأمم:

التدبر في القرآن كان سببًا في تغيير حياة كثير من الناس وأولهم الصحابة الكرام، الذين كانوا يسمعون القرآن فيقولون: والله إنه ليس بقول بشر، وما هي إلا لحظات تفكر وتدبر قليلة حتى يدخل ذلك الرجل في الإسلام، ويصبح من الصحابة الكرام انظر إلى قصة إسلام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

لذلك يقول ابن القيم رحمه الله: «فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبّر القرآن، وإطالة التّأمّل وجمع الفكر على معاني آياته، فإنّها تطلع العبد على معالم الخير والشّرّ بحذافيرها، وتضع في يده مفاتيح كنوز السّعادة والعلوم النّافعة، وتثبّت قواعد الإيمان في قلبه، وتريه صورة الدّنيا والآخرة والجنّة والنّار في قلبه، وتحضره بين الأمم وتريه أيّام اللّه فيهم، وتبصّره مواقع العبر،

---

(١) تدبر القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، د رقية العلواني ص ١٨ بتصرف يسير.

وتشهده عدل اللّه وفضله، وتعرّفه طريق أهل الجنّة وأهل النّار وأعمالهم، ومراتب أهل السّعادة وأهل الشّقاوة، وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه، وافتراقهم فيما يفترقون فيه، وتعرّفه ما يدعو إليه الشّيطان، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه، فهذه أمور ضروريّ للعبد معرفتها ومشاهدتها ومطالعتها، فتشهده الآخرة حتّى كأنّه فيها، وتغيّبه عن الدّنيا حتّى كأنّه ليس فيها، وتعطيه فرقانا ونورا يفرّق به بين الهدى والضّلال، والغيّ والرّشاد، وتعطيه قوّة في قلبه، وحياة واسعة وانشراحا وبهجة وسرورا، فيصير في شأن والنّاس في شأن آخر»[١].

«إن المتأمل في حال المسلمين مع كتاب الله اليوم لا تخطئ عينه ما يرى من إقبال أعداد كبيرة منهم - رجالًا ونساءً، صغارًا وكبارًا - على كتاب الله ﷻ بالتلاوة والحفظ؛ فدور وحلقات التحفيظ منتشرة في طول البلاد وعرضها، والمساجد تمتلئ بمجالس التلاوة والتحفيظ، ودورات التحفيظ تخرج كل عام العشرات والمئات من الحفاظ، حتى قيل: إن هذا العصر هو العصر الذهبي لحفظ القرآن الكريم. وهذا بكل تأكيد مما يثلج الصدور، لأنه يدل على حرص الأمة بمجموعها على كتاب ربها ﷻ، وحرصها على تحصيل الأجر العظيم الذي وعد الله به عباده التالين لكتابه والحافظين؛ إلا أن المؤسف أن هذا الإقبال على التلاوة والحفظ لا يصحبه إقبال يماثله أو يقرب منه في باب التدبر والفهم، حتى صرنا نرى من يتم حفظ كتاب الله ﷻ، ولا يعرف معنى كلمات من أوائل السور التي يحفظها صغار الطلاب»[٢].

---

(١) ينظر: مدارج السالكين لابن القيم ١/ ٤٨٥-٤٨٦، بتصرف.

(٢) تدبر القرآن فريضة الأمة، مقال على موقع طريق الإسلام. بتصرف، ينظر:
http//:ar.islamway.net/article/

إن هذه الحال مخالفة للحال التي أمر الله ﷻ بقراءة القرآن عليها، فقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، أي: بتمهل وترسل. قال ابن كثير: «فإنه يكون عونًا على فهم القرآن وتدبره»[١]، فجعل الفهم والتدبر علة للأمر بقراءته مرتلًا.

وقال الشوكاني: «أي: اقرأه على مهل مع تدبر»[٢]، فجعل التدبر داخلًا في معنى الترتيل.

إلى غير ذلك من الثمرات التي لايمكن إحصاؤها، ولكل قومٍ من هذا الكتاب نصيبٌ.

المعيار السابع: مقاصد التدبر:

ويمكن تلخيصها في ستة مقاصد:

المقصد الأول: العمل بالقرآن:

لقد بيّن المولى ﷻ أن الغاية والقصد من نزول القرآن هو العمل به، والالتزام بتعاليمه، وتحصيل هذه الأمور بتدبر القرآن والتفكر في معانيه؛ ولذلك فإن قراءة سورة بتدبر خير من قراءة عدد من السور بدون ذلك.

قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: الآية ٢٩]. قال الطبري: «أي: ليتدبروا حجج الله التي فيه، وما شرع فيه من شرائعه، فيتعظوا ويعملوا به»[٣].

فالمقصود أن يكون هذا القرآن منهاجًا للعمل وهاديًا للسلوك؛ لأن من تدبَّر كلام الله كان ذلك دافعًا له للعمل، ومَنْ أحسن العمل نال المنازل العالية في الدنيا

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/ ٢٥٠ .

(٢) فتح القدير ٧/ ٣٣٦ .

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١/ ١٩٠ .

والآخرة، ففي الدنيا يحبه الله ويحبه الناس، وترتفع منزلته عندهم، قال ﷺ: **«إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع آخرين»**(١).

وفي الآخرة له الدرجات العلى، قال ﷺ: **«يُؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمه سورة البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق(٢)، أو كأنهما حزقان(٣)من طير صواف تحاجان عن صاحبهما»**(٤).

وبدون العمل يصبح العلم وبالًا على صاحبه، فما وقر في القلب، وما استوعبه الذهن، يزداد رسوخًا إذا صدّقته الأفعال.

قال الزرقاني: «وما من شك أن العمل بالعلم يقرّره في النفس أبلغ تقرير، وينقشه في صحيفة الفكر أثبت نقْش، على نحو ما هو معروف في فن التربية وعلم النفس، من أن التطبيق يؤيد المعارف والأمثلة تقيد القواعد، ولا تطبيق أبلغ من العمل، ولا مثال أمثل من الاتباع، خصوصًا المعارف الدينية فإنها تزكو بتنفيذها وتزيد باتباعها، قال تعالى: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ [الأنفال: الآية ٢٩]، أي: هداية ونورًا تُفرِّقون به بين الحق والباطل وبين الرشد والغي»(٥)، لذلك ينبغي

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها ٨١٧ .

(٢) شرق: الضَّوءُ وهو الشمس، النهاية في غريب الحديث ٢/ ١١٤٣ .

(٣) حِزقان: الحِزْق والحَزِيقَة: الجماعة من كل شيء، النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٩٤٨ .

(٤) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصررها، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة ٨٠٥ .

(٥) مناهل العرفان ١/ ٣١١ .

أن يكون التدبر دافعًا للعمل المثمر الذي يكسب صاحبه السعادة في الدارين.

ولقد أشار النبي ﷺ إلى تعلم القرآن الكريم، وبيّن ثماره، إذ التعلم آلة ووسيلة لتدبر القرآن، فقال ﷺ: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**»(١).

وعن عقبة بن عامر قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال: «**أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان(٢) أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين(٣) في غير إثم ولا قطع رحم**» فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك. قال: «**أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله ﷻ خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل؟**»(٤).

والحاصل: أنه ﷺ أراد ترغيبهم في الباقيات وتزهيدهم عن الفانيات، فذِكرُه هذا على سبيل التمثيل والتقريب إلى فهم العليل، وإلا فجميع الدنيا أحقر من أن يقابل بمعرفة آية من كتاب الله تعالى، أو بثوابها من الدرجات العلى(٥).

وكان الصحابة ﷺ من شدة اعتنائهم بالفهم والتدبر إذا تعلَّم الواحد منهم عَشْر

(١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ٢٦٩٩ .

(٢) بُطحان: هو وَادٍ من أودية المدينة مَسِيلٌ للماء. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير٣/ ٥٣٣ .

(٣) كوماوين: تثنية كوماء، وهي من الإبل العظيمة السنام. كشف المشكل من حديث الصحيحين ١/ ١١١٢ .

(٤) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه ٨٠٣ .

(٥) ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، ٤/ ٢٣١ .

آياتٍ لم يجاوزهُنّ حتى يعرف معانيهُنَّ، والعملَ بهنَّ، كما روي ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه[١].

ولأهمية التَّدبر وعظم شأنه فقد نهى رسول الله ﷺ عن ختم القرآن في أقل من ثلاث ليالٍ، كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يفقه من قرأ القرآن في أقلّ من ثلاث**»[٢].

فيُخشى على من قرأ القرآن ولم يتدبره ويتأثر به ويعمل به أن يلحقه شيء من ذلك، ومَنْ تدبر القرآن الكريم حق التدبر حصّل من المنافع والمصالح الدنيوية والأخروية ما لا يعلمه إلا الله.

وبدون تدبُّر القرآن والعمل به يكون حال المسلمين كحال اليهود الذي آتاهم الله التوراة فلم يعملوا بها ونبذوها وراء ظهورهم، فضرب لهم الرحمن مثلًا بالحمار الذي يحمل فوق ظهره كتبًا عظيمة لا يستفيد منها، كما في قوله سبحانه: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الجُمُعَة: الآية ٥].

أو مثل ذلك الرجل الذي أعرض عن آيات الله وآثر الهوى على الهدى، فضرب الله ﷻ له مثلا في أبشع صورة وأقبحها، صورة الكلب، قال سبحانه: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

---

(١) ينظر: جامع البيان ١/ ٨٠ .

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في كم يستحب يختم القرآن ١٣٤٧ . والترمذي في الجامع، كتاب القراءات، باب في كم يختم القرآن رقم ٢٩٤٧، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ولذلك يجب على المسلمين إدراك أهمية تدبّر القرآن الكريم، والبحث عن الأسباب والوسائل المعينة على فهمه وتدبره؛ لكي يحقِّق الهدف من نزول القرآن وهو: الهداية، والذكرى، والاتعاظ بالقرآن الكريم.

المقصد الثاني: إظهار ما في القرآن من بركات والاستفادة منها:

قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: الآية ٢٩]. قال الشوكاني: «والمعنى: كتاب أنزلناه إليك يا محمد كثير الخير والبركة»(١).

ولا شك أن القرآن تكمن بركته في أمور كثيرة منها: كثرة أوامره ونواهيه، وتنوّع مواعظه وزواجره، والاعتبار بما فيه من القصص والأخبار، وتعقّل أمثاله المضروبة وما اشتمل عليه من الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، من أجل أن يرعوي العبد فيستدرك ما وقع له من تقصير، ويزداد من الإقبال والتشمير في طاعة الله تعالى لتحصل له السعادة في الدارين.

قال السيوطي: «وتُسنّ القراءة بالتدبر والتفهم، فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب»(٢).

فالقرآن بحرٌ زاخر من الخيرات، وهِبَةٌ من الرحمن للعالمين، فهو يعطيك معان غير محدودة في كلمات محدودة، وهذا البحر الزاخر المملوء بالمعاني غير المحدودة لا ولن نستطيع أن نخرج دره إلا بالتدبر، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: الآية ١٠٩].

---

(١) فتح القدير ٤/ ٤٣٠ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن ١/ ١٤٠ .

المقصد الثالث: بيان عالمية المنهج القرآني وواقعيته:

بيّن الله تعالى عالمية كتابه بقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: الآية ١] قال ابن كثير: «إنما خصه به - أي بالقرآن - ليخصه بالرسالة إلى من يستظل بالخضراء، ويستقل على الغبراء، كما قال صلوات الله وسلامه عليه: «**بعثت إلى كل أحمر وأسود**»[(١)][(٢)] فرسالة القرآن عالمية، ومنذ نزل القرآن على النبي ﷺ في أول آية منه نزل عالميًّا، وأصبح بلوغ القرآن لمجموع الخلق أو آحادهم حجةً عليهم وداعيًا لهم ومبشرًا ونذيرًا.

وسئل الليث بن سعد: هل بقي أحد لم تبلغه الدعوة؟ قال: كان مجاهد يقول: «حيثما يأتي القرآن فهو داع وهو نذير، ثم قرأ: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: الآية ١٩][(٣)].

وهذه العالمية لا يكون لها هذا التأثير الممتد امتداد الزمان إلا لما يتضمن من المعاني الواقعية، التي تصوّر الحياة في أعدل أحوالها، وتعالج النفس البشرية على اختلاف طبائعها وأصنافها بعيدًا عن نظريات يتشدق الناس بها ولا يحققونها، ويتصورونها ولا يتعاملون بها. فلا يشعر معها المتلقي بمثاليات أو تصورات ذهنية لا حقيقة لها على الواقع ولا إدراك لها في الحقيقة، ولا تزال تتكشف له من المعاني ما تطمئن إليه النفس ولا يكون ذلك إلا عن طريق التدبر.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة فيها، باب جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا ٥٢١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٩٢ .

(٣) جامع البيان ٩/ ١٨٣ .

المقصد الرابع: إحياء الفهم السليم للقرآن:

فإحياء منهج السلف ومن تبعهم بإحسان في تلقي الإسلام وفهمه وتطبيقه والعناية بتوثيق المنقول عنهم في هذا الباب، من أهم مجالات تطبيق العلوم الإسلامية[(١)].

ولا بد في التدبر أن نقرأ ما كتبه سلفُنا قراءة واعية لنصل الحاضر بالماضي وننتقل إلى مجالات رحبة وواسعة ونحن نقف على أساس راسخ وقاعدة صلبة.

وهذه مسألة مهمة كثر التشغيب عليها في الآونة الأخيرة ووصف هذا التراث العظيم في تدبر النصوص بأنه عتاد قديم، فأي تدبر ننتظره بعد ذلك من جيل يزدري معارفه ورجاله؟

إن الشرط الأساسي في أن يؤتي هذا التدبر ثمرته في مستقبل الأمة تقدمًا وحضارة وازدهارًا هو التمثل الناضج المستنير للتجارب الفكرية الرائعة وكفاح العقول الفذة في تاريخ الأمة، واستلهام نفحات الإبداع في تراث القمم، ثم يمضي الأفذاذ الموهوبون من أبناء الأجيال السابقة، يستلون من تحت الغيم خيوطًا كسَنَا الفجر يضيئون بها دروب المجهول التي تتعشق عقولهم القدح على أبوابه[(٢)].

هذه نقطة مهمة، بل هي قاعدة عظيمة يجب استصحابها دائمًا في التدبر في معاني القرآن حتى تفضي بنا إلى أفكار جديدة نبسط بها ميادين المعرفة بسطًا في فهم كلام الله تعالى.

---

(١) التجديد في العلوم الإسلامية ودوره في حل مشكلات الواقع المعاصر، ابن صغير محفوظ ص٣١٨ .

(٢) ينظر: دلالات التراكيب. د. محمد محمد أبو موسى ص ٤ .

المقصد الخامس: تفويت الفرصة على من يريد تحريف كلام الله أو تأويله:

فإن تدبر كلام الله والعيش معه والنظر في المعاني المتجددة التي تجود بها الآيات القرآنية فيما يصلح حياة الناس ضمن القواعد والضوابط الشرعية التي يفهم بها كلام الله ﷻ، يقطع الطريق أمام كل من يريد أن يحمّل النصوص ما لا تحتمل بحجة التجديد، وهم بذلك يستخدمون مصطلحًا شرعيًّا لترويج منهج فاسد، ولذلك ظهرت باسم «تجديد الخطاب الديني» مناهج محدثة وأفكار حداثية تدعو إلى إعادة قراءة النص، أو القراءة المعاصرة للنصوص دون مرجعية علمية، بل ولا نزعة إيمانية دينية.

فإحياء التدبر بين الناس بنقائه وصفائه، على منهج أصيل يقف بإذن الله أمام من يريد تمييع ثوابت الدين تحت هذا المسمى.

المقصد السادس: شمولية الإصلاح:

من منطلقات حقائق تدبّر القرآن استقرأ المفسّرون المقاصد الأصلية والأبعاد، المتعلِّقة بمجالات الإصلاح التي تحدّث عنها القرآن الكريم، وقد لخّصها العلاّمة ابن عاشور في مقدمة تفسيره[1]، في ثمانية أمور:

١- **إصلاح الاعتقاد، وتعليم المعتقد الصحيح:** وهو أعظم سبب لإصلاح الخلق؛ لأنّ إصلاح الاعتقاد هو أصل الإصلاح، ومفتاح باب الصلاح في العاجل، والفلاح في الآجل:

- لأنه يزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل.

- ويطهر القلب من الأوهام الناشئة عن الشرك والشركيات، وقد أشار إلى هذا

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ١/ ٤١، بتصرّف.

المعنى قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ﴾ [هود: الآية ١٠١] فأسند لآلهتهم زيادة تتبيبهم، وليس هو من فعل الآلهة، ولكنه من آثار الاعتقاد بالآلهة، فسبب هلاكهم ودَمَارهم، إنما كان باتِّباعهم تلك الآلهة وعبادتهم إيّاها.

٢- **إصلاح الأخلاق وتهذيبها**: ولا يكون ذلك إلا بالتعليم الصحيح والتزام الآداب الإسلامية، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤﴾ [القلم: الآية ٤]، وفسّرت عائشة رضي الله تعالى عنها لما سئلت عن خُلقه ﷺ فقالت: «**كان خُلقه القرآن**»[١]، وفي الحديث الذي رواه مالك في «الموطأ» بلاغًا أن رسول الله ﷺ قال: «**بُعثت لأتمم صالح الأخلاق**»[٢].

٣- **إصلاح التشريع**: والأعراف والقوانين المسيّرة للمؤسسات القضائية، الاقتصادية، التعليمية، الصحّية... بما يتماشى والشريعة الإسلامية.

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ۝١٠٥﴾ [النساء: الآية ١٠٥]. وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [المائدة: الآية ٤٨].

ولقد جمع القرآن جميع الأحكام جمعًا كليًا في الغالب، وجزئيًا في المهم، فقوله تعالى: ﴿تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النحل: الآية ٨٩]، وقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ٥٠/١١٦ ح ٢٣٤٦٠، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ، باب ماجاء في حسن الخلق ٥/٣٨٦ ح ١٧٤٢ . وأحمد في المسند ١٤/٥١٣ ح ٨٩٥٢، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح، وهذا إسناد قوي. والحديث روي بألفاظ أخرى.

دِينَكُمْ﴾ [المائدة: الآية ٣]، المراد بهما إكمال الكليات التي منها الأمر بالاستنباط والقياس[١].

٤- **إصلاح سياسة الأمّة، وتدبير شؤونها العامّة والخاصّة**، في جميع المجالات الحيوية، وعلى جميع المستويات، وهو في حقيقة الأمر باب عظيم في القرآن الكريم، والقصد منه صلاح الأمّة أفرادًا وجماعات، وحفظ نظامها، بإصلاح عقائدهم وأخلاقهم، وبإصلاح أمزجتهم بالمحافظة عليهم من المهلكات والأخطار والأمراض، وبمداواتهم ودفع الأضرار عنهم، وبكفاية مؤنهم من الطعام واللباس والمسكن بالمعروف دون تقتير ولا سرف، وكذا بإصلاح أموالهم، بتنميتها وتعهدها وحفظها، وتربيتهم على المحافظة على وحدة الأمة وتماسكها، وعلى الوسطية والاعتدال في كل أمر، والبعد عن الشقاق والغلو والتطرّف.

وذلك بتدبّر الآيات الخاصّة بهذا الشأن؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٠٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام: الآية ١٥٩]. وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: الآية ٤٦][٢].

٥- **الإصلاح بالقصص وأخبار الأمم السالفة:**

- **للتأسّي بصالح أحوالهم**؛ وذلك بتدبّر الآيات الخاصّة بهذا الشأن، كما جاء

---

(١) التحرير والتنوير ١/ ٤١ بتصرّف.

(٢) المصدر السابق.

في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾ [يوسف: الآية ٣] وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ۝٩٠﴾ [الأنعام: الآية ٩٠].

- **وللتحذير من مساوئهم**، قال تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ۝٤٥﴾ [إبراهيم: الآية ٤٥].

٦- **الإصلاح بالتربية والتعليم**: مناهجها وطرقها وبرامجها، بما يناسب حالة عصر المخاطبين، وما يؤهّلهم إلى تلقّي الشريعة ونشرها، وذلك علم الشرائع وعلم الأخبار، وكان ذلك مبلغ علم مخالطي العرب من أهل الكتاب.

وقد زاد القرآن على ذلك تعليم **حكمة ميزان العقول وصحة الاستدلال** في أفانين مجادلاته للضالين، وفي دعوته إلى النظر، ثم نوّه بشأن الحكمة، فقال تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٦٩﴾ [البقرة: الآية ٢٦٩]. وهذا أوسع باب انبجست منه عيون المعارف، وانفتحت به عيون الأميين إلى العلم.

وقد لحق به التنبيه المتكرّر على فائدة العلم، وذلك شيء لم يطرق أسماع العرب من قبل، إنما قصارى علومهم أمور تجريبية، وكان حكماؤهم أفرادًا اختصوا بفرط ذكاء تُضم إليه تجربة، وهم العرفاء، فجاء القرآن بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: الآية ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: الآية ٩]، وقوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ [القلم: الآية ١]، فنبّه إلى مزية القراءة والكتابة[١].

(١) التحرير والتنوير ١/٤١، بتصرّف.

٧- **الإصلاح بتدبّر آيات الوعد والوعيد**، المتضمِّنة المواعظ والإنذار والتبشير، وكذلك المحاجّة والمجادلة للمعاندين، وهذا باب الترغيب والترهيب.

٨- **الإصلاح بتدبّر الآيات** الخاصّة ببيان وجوه الإعجاز في القرآن؛ ليكون آية دالّة على صِدْق الرسول ﷺ؛ إذ التصديق يتوقف على دلالة المعجزة بعد التحدّي، والقرآن جمع كونه معجزة بلفظه، ومتحدّيًا لأجله بمعناه، والتحدّي وقع فيه، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: الآية ٣٨][1].

المعيار الثامن: آثار تدبر القرآن:

لا شكّ ولا ريب أن الله شرع التدبر لصلاح العباد في دينهم ودنياهم، ونحاول الإشارة لشيءٍ يسير من أثر ذلك - من باب التنبيه - وليكون بابًا للنظر والاعتبار؛ إذ الاستقصاء والتتبع هنا يتعذر، فنشير إلى أثره على القلب والعمل والإيمان، والحضارة في المجتمع والأخلاق والمعرفة، وضبط السلوك وبناء الشخصية.

أولًا: الآثار القلبية العامة لتدبر القرآن:

إن للتدبر آثارًا كبيرة على الإنسان المسلم، وهو من أهم الوسائل للارتقاء بالفرد روحيًّا وسلوكيًّا، ونفسيًّا، وخُلقيًّا. والتدبر لكلام الله تعالى أهم الركائز وأسبق الوسائل في صياغة الشخصية المسلمة المستقيمة؛ إذ إن المتدبر يعتبر بالقصص القرآني، ويوقن بالخبر الغيبي، وينصاع لحكم الله في حياته وواقعه، بعكس من لا يتدبر، نسأل الله العفو والعافية.

❑ **ومن تلك الآثار العامة التي تتعلق بقلب المتدبر:**

١- **التأثر والبكاء من خشية الله**، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ

---

(١) التحرير والتنوير ١/ ٤١، بتصرّف.

مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم: الآية ٥٨]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٨]. وقال عن مؤمني أهل الكتاب: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة: الآية ٨٣].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٢]، أي: خافت وحذرت مخالفته، فوصفهم بالخوف والوجل عند ذكره وذلك لقوة يقينهم ومراعاتهم لربهم وكأنهم بين يديه[١]، وذلك أثر من آثار تدبر القرآن الكريم.

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: الآية ٢٣]، ففي الآية بيان لما يحصل عند سماع القرآن الكريم من التأثر لسامعيه. والاقشعرار: التقبض، يقال: اقشعر جلده: إذا تقبض وتجمع من الخوف، والمعنى: أنها تأخذهم منه قشعريرة[٢].

وقالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: «كان أصحاب الرسول ﷺ تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم عند سماع القرآن»[٣].

وعن عبد الرحمن بن السائب قال: قدم علينا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وقد كف بصره، فسلمت عليه، فقال: من أنت؟ فأخبرته، فقال: مرحبًا بابن أخي، بلغني أنك حسن الصوت بالقرآن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن هذا القرآن نزل**

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٢/٥٨ .

(٢) فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني ٤/٦٥٢ .

(٣) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي ٤/٥٥ .

بحزن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به، فمن لم يتغن به فليس منا»[١]، أي: نزل مصحوبًا بما يجعل القلب حزينًا والعين باكية؛ إذا تأمل القارئ فيه وتدبر. يقول أبو بكر الآجري: «أحب لمن يقرأ القرآن أن يتحزن عند قراءته ويتباكى، ويُخْشِع قلبه، ويتفكَّر في الوعد والوعيد؛ ليستجلب بذلك الحزن»[٢].

٢- **حضور القلب والعقل والوقوف عند المعاني**، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان: ٧٣]. وقال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزُّمَر: ٢٣].

٣- **الفرح والاستبشار** عند آيات الوعد والنعيم والرضوان رجاءً لما عند الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة: الآية ١٢٤].

٤- **الخوف والمهابة** عند آيات الوعيد والعذاب المهين والخسران؛ لأن المؤمن الصادق يعيش دائمًا بين الخوف والرجاء، فلا ييأس من الرحمة وإن قصّر، ولا يغتر بعمله وإن أحسن؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في حسن الصوت بالقرآن ح ١٣٣٧، وإسناده ضعيف؛ فيه إسماعيل بن رافع الأنصاري: ضعيف الحفظ، ينظر: تقريب التهذيب ص ١٠٧.
وقوله: «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**» أخرجه البخاري كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ...﴾ ٧٥٢٧.

(٢) أخلاق أهل القرآن، محمد بن الحسين بن عبد الله أبي بكر الآجري ص١٦٧.

ثانيًا: الآثار العملية لتدبر القرآن:

فالمؤمن لا يقفُ عند مجرد السماع والتأثر، بل يتعدى ذلك إلى العمل والاستجابة لله ورسوله ﷺ، وهذا أصلٌ عظيم من أصول التدبر، وإلا فقد ذمَّ الله اليهود الذين يزعمون أنهم آمنوا بالكتاب، والحال أنهم لا يعملون به، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البقرة: الآية ٩١].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة: الآية ١٠١]، أي: لما جاءهم هذا الرسول الكريم بالكتاب العظيم بالحق الموافق لما معهم، وكانوا يزعمون أنهم متمسكون بكتابهم، فلما كفروا بهذا الرسول وبما جاء به ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ الذي أنزل إليهم أي: طرحوه رغبة عنه ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾، وهذا أبلغ في الإعراض كأنهم في فعلهم هذا من الجاهلين وهم يعلمون صدقه وحقيقة ما جاء به[١].

❑ ومن تلك الآثار العمليّة لامتثال ما في القرآن والعمل به:

١ - **زيادة الإيمان والطمأنينة**، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: الآية ٢].

ويظهر أثر التدبر في سلوك الصحابة ﷺ بحسب ما نزل فيهم من الآيات الكريمات التي تصف لنا حالهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٠ .

ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: الآية ٢]. «وصف الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره وذلك لقوة إيمانهم، ومراعاتهم لربهم وكأنهم بين يديه. ونظير هذه الآية: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٣٤ - ٣٥]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: الآية ٢٨] فهذا يرجع إلى كمال المعرفة وثقة القلب، والوجل: الفزع من عذاب الله، فلا تناقض، وقد جمع الله بين المعنيين في قوله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: الآية ٢٣]، أي: تسكن نفوسهم من حيث اليقين إلى الله، وإن كانوا يخافون الله. فهذه حالة العارفين بالله، الخائفين من سطوته وعقوبته[١].

قال ابن كثير: «وقد استدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ وأشباهها على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب، كما هو مذهب جمهور الأمة»[٢].

وفي الآية دليل على أن تدبر القرآن الكريم يزيد في الإيمان، ورُوي أن هذه الآية قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾، نزلت في أبي بكر وعمر وعلي رضوان الله عليهم[٣].

و﴿ٱلْمُخْبِتِينَ﴾: المتواضعين الخاشعين من المؤمنين، والخبت: ما انخفض من الأرض. والمخبت: المتواضع الذي مشيه متطامن كأنه في حدود من الأرض، وقيل: المخبتون: الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا. وهذا مثال شريف من خلق المؤمن الهين اللين، وقد انعكس ذلك على أخلاق وسلوك

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٣٢١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٣٧٩ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٥٨ . والخبر: ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ١٢٢ .

أصحاب النبي ﷺ[(١)].

٢- **السجود والخضوع** والذلة تَهَيُّبًا لعظمة الله وإجلالًا لشأنه جلّ وعلا، فإن من لم يعظم الله ويسجد له هنا فلن يستطيع السجود له يوم القيامة. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [القلم: الآية ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩]. وقوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: الآية ٥٨].

٣- **العمل به**: قال تعالى: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [القصص: الآية ٥٣]. والسلف الصالح امتثلوا لأوامر القرآن واجتنبوا نواهيه؛ اقتداءً بالنبي ﷺ الذي تحلّى بأخلاق القرآن.

فعن سعد بن هشام بن عامر قال: «سألت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقلت: يا أم المؤمنين، أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ. قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن. قال: فهممتُ أن أقوم ولا أسأل أحدًا عن شيء حتى أموت، ثم بدا لي فقلت: أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ. فقالت: ألست تقرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾﴾ [المزمل: الآية ١]؟، قلت: بلى، قالت: فإن الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام نبي الله ﷺ وأصحابه حولًا وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهرًا في السماء، حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعًا بعد فريضة...»[(٢)]، فهذا الحديث دليل

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤/ ١٢٢ .

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض ٧٤٦ .

على منهج النبي ﷺ في التعامل مع القرآن، وهو التخلق بأخلاقه والعمل بأوامره.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن»(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة أو نحوها، ورُزقوا العمل بالقرآن، وإن آخر هذه الأمة يقرؤون القرآن، منهم الصبي والأعمى ولا يرزقون العمل به»(٢).

وفي هذا المعنى قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إنا صعب علينا حفظ ألفاظ القرآن وسهل علينا العمل به، وإن مَنْ بعدنا: يسهل عليهم حفظ القرآن، ويصعب عليهم العمل به»(٣).

فهكذا كان منهج النبي ﷺ في تعليم الصحابة القرآن: تلازم العلم والمعنى والعمل، فلا علم إلا بعد الفهم والعمل به.

ثالثًا: آثار تدبّر القرآن في بناء الإيمان:

من خلال تدبّر الآيات القرآنية الواردة في تقرير العقائد الإيمانيّة وإثباتها؛ يتبيّن أنّ منهج القرآن الكريم في هذا الجانب قائم على:

١- **بناء المعرفة والهداية**: أشار الإمام ابن القيم إلى أن أهمية التفكير تكمن في

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ٢/ ١٢٢، وإسناده صحيح، وأخرجه الحاكم في مستدركه ١/ ٧٤٣ ح ٢٠٤٧، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ١١٩ ح ٥٠٧٢ بلفظ: «كنا إذا تعلمنا من النبي ﷺ عشر آيات من القرآن لم نتعلم من العشر الذي نزلت بعدها حتى نعلم ما فيه، قيل لشريك: من العمل؟ قال: نعم». وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه أبو بكر الأنباري بسنده، كما ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤٠ .

(٣) أخرجه أبو بكر الأنباري بسنده، كما ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤٠ .

أنه يهدي الإنسان إلى معرفة الله والإيمان به من خلال مشاهدة آياته المشهودة، يقول: «بيان بالآيات المسموعة المتلوة، وبيان بالآيات المشهودة المرئية، وكلاهما أدلة وآيات على توحيد الله وأسمائه وصفاته وكماله، وصدق ما أخبرت به رسله عنه. ولهذا يدعو عباده بآياته المتلوة إلى التفكر في آياته المشهودة ويحُضّهم على التفكير في هذه وهذه، وهذا البيان هو الذي بعثت به الرسل وجعل إليهم وإلى العلماء بعدهم، وبعد ذلك يضل الله من يشاء، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾ [إبراهيم: الآية ٤]، فالرسل تُبيِّن، والله هو الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء بعزته وحكمته»[(١)].

٢- **توجيه الإنسان إلى التفكّر** بعجائب مخلوقاته ﷻ الواقعة تحت إدراك الحسّ، بادئًا بأبسطها وأقربها بالنسبة لبيئة الإنسان ومحيطه. فتجده - مثلًا - أول ما يوجه ساكن الصحراء التي تحيطها الجبال وتكثر فيها الإبل، إلى النظر والتفكّر في عظمة هذه الأمور وإتقان خلقها، بادئًا بأقرب الأشياء لإنسان تلك البيئة وهي الإبل، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢١].

والإنسان بذكائه وصفاء قريحته يُدرك هذه الخاصيّة في سهولة تلقي حقائق العقيدة الإسلامية، فيسارع في الإيمان بها والتدليل على حقيّتها، يُفهم هذا من قول ذلك العربي عن إثبات أنّ الكون مخلوق لله تعالى: «البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام على المسير، أفسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحر ذات أمواج، لا تدل على اللطيف الخبير؟!»[(٢)].

---

(١) مدارج السالكين ١/٦٦ .

(٢) المواقف، للإيجي ١/١٥١ .

٣- **إمعان النظر وترديد الفكر** مع وضوح الدلالة: وسنكتفي - اختصارًا - بذكر مثال واحد، يبيّن أثر تدبر القرآن الكريم في بعض المسائل المتعلقة بالإيمان بالله تعالى، ففيما يتعلّق بإثبات اسم (الخالق) لله تعالى. فإذا تلا الإنسانُ أو سمع قول الله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور: ٣٤-٣٦]. ثمّ أمعنَ النظر وردّد الفكر في معاني هذه الآيات ودلالاتها القاطعة على أنّ الله تعالى هو خالقُ كلّ شيءٍ، وأنّ كلّ نظريّة أو عقيدة أو فكرٍ لا يقرُّ بهذه الحقيقة الدامغة فهو باطل. قالَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور: ٣٥-٣٧] كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ»[١].

قال ابن تيمية: هذا تقسيم حاصر، يقول: أخُلقوا من غير خالق خلقهم؟! فهذا ممتنع في بدائه العقول، أم هم خَلقوا أنفسهم؟! فهذا أشدّ امتناعًا، فعُلم أنّ لهم خالقًا خلقهم وهو الله سبحانه، وإنّما ذكر الدليل بصيغة استفهام الإنكار ليتبين أنّ هذه القضية التي استدل بها فطرية بديهية مستقرة في النفوس لا يمكن إنكارها، فلا يمكن لصحيح الفطرة أن يدّعي وجود حادث بدون محدث أحدثه، ولا يمكنه أن يقول: هو أحدث نفسه»[٢].

٤- بيان ما يتعلّق بمنهج التعامل مع الغيب وحقيقة البعث، وغير ذلك من الأمور العقدية. فـ«ما من قضيَّة عقَديَّة ساقها القرآنُ الكريم إلَّا قرَنَها بدليل صِدْقها وبرهان يقينها القَطعي في دلالته، فيجب على كلِّ باحث ألَّا يغفل عن التَّنبيه إلى ما يحتويه النصُّ القرآني من برهان عقْلي يتَّصل بالموضوع الذي يتحدَّث عنه»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، سورة الطور. ح ٤٨٥٤ .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية، ٩/ ٢١٢ .

(٣) تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين، محمد السيد الجليند ص ٧ .

وهكذا في جميع أركان الإيمان.

رابعًا: أثر تدبر القرآن الكريم في بناء شخصية المسلم:

□ أما الفرد فتجلى أثر تدبر القرآن على الفرد المسلم في مجتمع السلف من خلال ما يلي:

١- زيادة الإيمان:

تدبر القرآن من أهم وسائل زيادة الإيمان، وذلك من خلال مواعظه البليغة التي تستثير المشاعر وتؤجّجها، فيحدث بذلك التجاوب بين الفكر والعاطفة. فالقرآن منبع عظيم من منابع الإيمان يفيض على كل من يرده، قال محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران: الآية ١٩٣]: «هو القرآن، ليس كلهم رأى النبي ﷺ»[١].

ومن السمات التي سجّلها القرآن الكريم للمؤمنين عمومًا والصحابة خصوصًا - أن إيمانهم يزيد ولا ينقص، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [الأنفال: الآية ٢].

ووجه زيادة إيمانهم عند سماع القرآن: «أنهم ألْقوا السمع للقرآن، وأحضروا قلوبهم لتدبّره؛ فعند ذلك ازداد إيمانهم ويقينهم. فالتدبر يُحدث في قلوبهم رغبة في الخير، واشتياقًا إلى كرامة الله لهم، ووجَلًا من العقوبات، وازدجارًا عن المعاصي وكل هذا مما يزداد به الإيمان»[٢].

وبهذا ندرك أن سبب وصول الجيل الأول لهذا المستوى الإيماني هو تدبر القرآن وتنفيذ أحكامه، هذا الإيمان كان في قلوبهم أمثال الجبال.

---

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد ص٥٨ .

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص٣١٥ بتصرف.

٢- إيجاد الشخصية الإسلامية المتوازنة:

من يترك نفسه للقرآن سيجد - بلا شك - أن شخصيته قد تشكّلت بصورة متوازنة بدون إفراط أو تفريط، ويعطي كل ذي حق حقه، «فالفهم الصحيح للقرآن هو الذي يبعث صاحبه على استثمار الدنيا والآخرة معًا، فلا يضيّع العاقل الدنيا بدعوى طلب الآخرة، ولا الآخرة لانشغاله بالدنيا، بل يكون من خيار الأمة الذين يجمعون بين سعادتي الدنيا والآخرة، ويحقّقون الموازنة بين عملي الدنيا والآخرة»(١).

وسلفنا الصالح - خاصة جيل الصحابة - أكثر الأجيال تحقيقًا للشخصية الإسلامية المتوازنة، فقد كانوا يضحكون ويلعبون ويمارسون حياتهم بصورة متوازنة: قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: «لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ منحرفين ولا متماوتين، وكانوا يتناشدون الأشعار في مجالسهم، ويذكرون أمر جاهليتهم، فإذا أُريد أحد منهم على شيء من أمر دينه دارت حماليق عينيه كأنه مجنون»(٢).

٣- صقْل المواهب وتنمية القدرات العقلية:

إن من يعيش مع القرآن ويتدبره يؤثّر القرآن فيه من كل النواحي، ومن ذلك: أن تنمو فيه قوة الملاحظة وملكة التفكير، وترتفع قدرته على معالجة الأمور، ويصبح حكَمًا عاقلًا عند اختلاف الآراء والأفكار كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمَر: الآية ٩](٣).

ولعل مما يشهد لهذا الأمر من حياة الصحابة، ما ورد عن مسروق قال: «ما

---

(١) أثر القرآن في سلوك المجتمع المسلم، د. عبد القدوس السامرائي ص٥١ .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٥/ ٢٧٨ ح ٢٦٠٥٨، قال ابن حجر في فتح الباري ١٠/ ٥٤٠: «بسند حسن»، وانظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٢٥٨ .

(٣) دعوة إلى تدبر القرآن الكريم، مختار شاكر كمال ص١٩٧ .

نسأل أصحاب النبي ﷺ عن شيء إلا وعلمه في القرآن، ولكن قصر علمنا عنه»[١].
ويؤيده قول ابن عباس رضي الله عنهما: «لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله تعالى»[٢]، فهذا يدل على أن تدبر القرآن صقل مواهبهم ونمّى قدراتهم العقلية.

خامسًا: أثر تدبّر القرآن الكريم في ضبط السلوك وتنظيمه:

تجدر الإشارة إلى أنّ القرآن الكريم بنى وضبط المقوّم السلوكي لدى الشخصيّة المسلمة؛ بمجموعة الأحكام الشرعية الناظمة لعلاقات الإنسان الرئيسية الثلاث: مع ربه، ومع نفسه، ومع غيره، حيث جاءت تلك الأحكام:

إمّا على شكل قواعد وضوابط كليّة، تندرج تحتها أحكامٌ لجزئياتٍ سلوكيّة كثيرة، نحو قاعدة: لا ضرر ولا ضرار، وقاعدة: درء المفاسد أولى من جلب المصالح.

وإمّا على شكل أحكام جزئيّة تفصيليّة، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ [الأنعام: الآية ١٥٢]. والتي قنّن الفقهاء بموجبها مجموعة النُّظُم الإسلامية، التي تعالج كافة شؤون الإنسان وتنظِّم علاقاته، وهي: نظام العبادات، ونظام الحكم، والنظام الاجتماعي، والنظام الاقتصادي، ونظام الإعلام والتعليم، ونظام العقوبات.

والمتدبّر للآيات القرآنيّة المتعلقة بالتأصيل والتقعيد لهذه القواعد والأحكام الناظمة للسلوك؛ سيرى مدى أحقيّتها ونجاعتها وكمالها في تنظيم علاقات الإنسان وتدبير شؤونه، وتفوقها على الأنظمة الوضعية في هذا الجانب، ممّا يدفَعه وعن

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٣/ ٥٤٢ ٢٠٨٧ .
(٢) ذكره السيوطي في معترك الأقران ص١٥، وفي الحاوي ٢/ ١٩٤ نقلًا عن المرسي في تفسيره، ونقله الآلوسي في روح المعاني ٣/ ٣٥٧ .

رغبة ورضا لتطبيق تلك الأحكام، وضبط سلوكه بموجبها.

إنّ الجانب السلوكي يعدّ ركنًا مهمًّا في تكوين النفسيّة المسلمة؛ لذا فإنّ القرآن الكريم جعل النفسيّة معيارًا لقياس درجة انضباط الشخصيّة ومقدرتها على التغيير، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنفال: الآية ٥٣]. ولهذه الأهميّة العظيمة للسلوك في حياة الإنسان؛ فإنّ القرآن الكريم وضع مجموعة من الضوابط والمحددات التي تجعل سلوك المسلم في حال مراعاتها والتقيد بأحكامها سلوكًا راقيًا منظمًا، بعيدًا عن الانحراف والتطرّف، مُرضيًا لله ﷻ.

ومن خلال التدبّر لبعض الآيات القرآنية؛ نستطيع أن نجمل أهم القواعد الضابطة للسلوك بالآتي:

❑ ١ - تحديد الغاية الحقيقية للسلوك:

إذا أردنا أن نفسّر الغاية من السلوك بحسب الفهم البشري لدوافع السلوك في نظريات علم النفس الغربي الحديث؛ سنضطر لوضع حدٍّ لغايات السلوك الإنساني، ينتهي سقف هذا الحدّ عند تحصيل إشباع جوعات الغرائز والحاجات العضويّة فقط. وهذا فهمٌ قاصر.

إنّ غايات السلوك في منهج القرآن لا تقف عند حدّ إشباع جوعات الغرائز والحاجات فقط، وإنّما تتعدّى إلى تحقيق مرضاة الله ﷻ. وذلك بتجاوز حدود الحياة الدنيا وربط غاية السلوك الحقيقيّة بالمآل المترتب عليه في الآخرة، ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: الآية ١٨٥].

وقد بيّن القرآن الكريم أنّ قَصْرَ غايات السلوك على حدود الحياة الدنيا فقط يُعدّ سببًا للخسران ودخول النار في الآخرة، ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: الآية ٢٠].

ولذلك زكت نفوس الصحابة ﷺ وصقلها الوحي وتعلقت بربها، ونسيت في سبيله الأهل والديار، واسترخصت كل نفيس وغالٍ، فكانوا ﷺ يعرضون أعمالهم وأخلاقهم وسلوكهم على كتاب الله ليروا أين هم منه، وفي ذلك يقول الحسن البصري: «الزموا كتاب الله وتتبعوا ما فيه من الأمثال، وكونوا فيه من أهل البصر، ثم قال: رحم الله عبدًا عرض نفسه وعمله على كتاب الله، فإن وافق كتاب الله حمد الله وسأله الزيادة، وإن خالف كتاب الله أعتب نفسه ورجع من قريب»(١).

❐ ٢ - تقييد السلوك بمفهوم الحلال والحرام:

جوعات الغرائز والحاجات العضويّة تعدّ دوافع معتبرة للسلوك من منظور قرآني؛ لذا فإنّ الشارع الحكيم أوجب إشباع دوافع السلوك الناتجة عن جوعات الحاجات العضوية، وجعلها من درجة المقاصد الضرورية لتعلقها بالحفاظ على الحياة، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾ [البقرة: الآية ١٧٢] بل إنّه سبحانه أباح تناول المحظور لسدّ تلك الحاجة بقدر الضرورة، وذلك دَرءًا للوقوع في مفسدة هلاك النفس؛ قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: الآية ١٧٣]. أمّا بالنسبة لإشباع دوافع السلوك الناتجة عن جوعات الغرائز فقد جعله الله مباحًا، لنزوله عن مرتبة الضروري إلى الحاجي.

والجدير بالإشارة هنا، هو أنّ الله تعالى لم يترك طريقة إشباع دوافع السلوك بدون ضبط وتنظيم، وكذلك لم يُسند طريقة ضبطها وتنظيمها إلى الإنسان نفسه، بل أسندها إلى الوحي المعصوم، فجعل الالتزام بطاعة الوحي هو ميزان اعتبار الأعمال شرعًا أو ردّها، قال تعالى: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [محمّد: الآية ٣٣]. فالله سبحانه أراد من الإنسان - بخلاف الحيوان - أن يسلك في إشباعه لهذه الجوعات سلوكًا راقيًا مُنظّمًا يليق بإنسانيته وموافقًا

(١) أخرجه الآجري في أخلاق أهل القرآن ص٣٩ ح ٢ .

لتكريم الخالق له ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: الآية ٧٠].

فأوجب الله على الإنسان أن يجعل أوامر الشرع في الحلال والحرام مقياسًا معياريًّا لتصرفاته عند إشباع جوعات الغرائز والحاجات.

فمثلًا: أباح الزواج كطريقة لإشباع دافع الميل الجنسي الناتج عن غريزة حفظ النوع، ثمّ ضبطه ونظّمه بالأحكام الشرعيّة، فأوجب الالتزام بالحلال ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: الآية ٣]، ونهى عن الإشباع غير المشروع ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: الآية ٣٢]. ووجه إلى الصبر والتعفّف إلى حين الاستطاعة؛ لقول النبي ﷺ: **«من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنّه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنّه له وجاء»**[(١)].

وبهذه الطريقة يتبيّن أنّ القرآن الكريم جعل مفهوم الحلال والحرام؛ معيارًا لقياس النشاط السلوكي وضبطه لدى الشخصيّة المسلمة.

أمّا إذا ترك الإنسان لنفسه الحبل على الغارب، ولم يلتزم بمفهوم الحلال والحرام كمقياس لسلوكه، فعندئذٍ لا فرق بينه وبين البهائم التي لا همّ لها سوى إشباع دوافع الغرائز والحاجات فقط، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمّد: الآية ١٢]. وكذلك فإنّ المتردد في سلوكه بين الالتزام وعدمه ينطبق عليه الوصف النبوي لموقف المنافقين الوارد في قوله ﷺ: **«مَثَلُ المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة»**[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة، ح ١٩٠٥، ومسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم ح ١٤٠٠ .

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ح ٢٧٨٤ .

❑ ٣ - علاج ثغرات السلوك بالتوبة والتعزيز:

«لا ينبغي أن نتصور الشخصيّة الإسلامية ملائكية في ديمومة العبادة وبلا أخطاء، فقد تقع ثغرات في سلوكها بتقصير أو غفلة أو خطأ، وكلّ ذلك لا يمسّ الاتصاف بهذه الشخصيّة طالما أنّ صاحبها يتخذُ العقيدة الإسلاميّة أساسًا لتفكيره وميله؛ لأنّ ارتباط مفاهيم الإنسان بالعقيدة ليس ارتباطًا آليًّا، بحيث لا يتحرّك المفهوم إلا بحسب العقيدة، بل هو ارتباط اجتماعي فيه قابلية الانفصال وقابلية الرجوع بمعززات الإيمان من التوبة والندم وإدراك الخطأ والرجوع عن المخالفة»[١].

لذا فإنّ الإسلام مراعاةً للطبيعة الإنسانيّة العامّة المتصفة بالضعف خلقةً ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: الآية ٢٨]، ومراعاةً لطبيعة النفس الإنسانيّة المجبولة على الميل إلى الشهوات والمغريات، ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ﴾ [يوسف: الآية ٥٣].

❍ قد عالج مسألة ثغرات السلوك في الشخصية المسلمة بأمرين:

أ - فتح باب التوبة: وهذا بابٌ واسع تظهر فيه رحمة الله ورأفته بالعباد، ويشكّل فرصةً ذهبيّة لتعديل السلوك، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [التحريم: الآية ٨]. فالتوبة في الإسلام تجبّ ما قبلها، وتنهي مطالبة المذنب بتبعات ذنبه أمام الله تعالى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لا ذَنْبَ لَهُ**»[٢]. وبهذا يعدّ باب التوبة من أهم المعززات الإيجابية للإقلاع عن السلوك السيئ وتعديله إلى الحسن.

---

(١) ينظر: الشخصيّة الإسلاميّة، تقي الدين النبهاني، ص ١٦-١٨، بتصرّف.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، ح ٤٢٥٠، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ٢/ ٨٢ ٦١٥ .

وعليه؛ لا يعد العاصي أو الفاسق مرتدًا أو خارجًا من دائرة الإيمان. قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النّساء: الآية ١١٠]. وقال النبي ﷺ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»(١).

ب - **التعزيز السلوكي عن طريق العقاب والثواب**: يُعرّف التعزيز على أنّه: «الإجراء الذي يؤدي فيه حدوث السلوك إلى توابع إيجابية أو إلى إزالة توابع سلبية، الشيء الذي يترتب عليه زيادة احتمال حدوث ذلك السلوك في المستقبل في المواقف المماثلة»(٢).

ولقد اعترف كثيرٌ من التربويين بأهميّة ونجاعة تطبيق نظريّة العقاب والثواب كمعزّز للسلوك وتعديله وضبطه. وقبل هذا الاعتراف بعقود؛ فإنّ الله تعالى في كتابه الحكيم رتّب المدح والثواب على السلوك الصالح الموافق للشريعة، ورتّب الذمّ والعقاب على السلوك المنحرف المخالف للشريعة. فهناك الكثير من الآيات القرآنية التي أشارت إلى نظرية العقاب والثواب ودورها في ضبط السلوك وتوجيهه نحو خدمة الهدف الحقيقي من وجود الإنسان، ألا وهو عبادة الله تعالى والفوز برضاه. قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: الآية ٩٧].

وهذا من باب التعزيز الإيجابي للسلوك الموافق للشريعة والتشجيع على استدامته. وبالمقابل هناك تعزيز سلبي يدفع إلى ترك السلوك المخالف للشريعة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النّساء: الآية ١٤].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المظالم، باب النُّهْبَى بغير إذن صاحبه، ح ٢٤٧٥ .
(٢) تعديل السلوك، جمال الخطيب، ص ٨٢ .

سادسًا: أثر تدبر القرآن في النهوض الحضاري:

حوى القرآن الكريم إطارًا عامًّا للمعرفة والقيم وتصورات أساسية عن المجتمع وغير ذلك، وكان للقرآن الكريم الأثر الكبير في: إعلاء قيم المسلمين، وترقية فكرهم وأخلاقهم، وضبط سلوكهم، وتوجيههم نحو التأمل والتدبر سعيًا إلى المزيد من العلم والمعرفة؛ مما أثرى الحياة الفكرية.

يرى الإمام ابن القيم أن الله ﷻ جعل بين السمع والبصر والفؤاد علاقة وارتباطًا ونفوذًا يقوم به بعضها مقام بعض؛ ولهذا يقرن سبحانه بينهما كثيرًا في كتابه؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: الآية ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً﴾ [الأحقاف: الآية ٢٦]، وقوله: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٩]، وهذا من عناية الخالق سبحانه بكمال هذه الصورة البشرية؛ لتقوم كل حاسة منها مقام الحاسة الأخرى وتفيد فائدتها في الجملة لا في كل شيء[١].

فأخبر سبحانه أن القرآن بصائر لجميع الناس، والبصائر جمع بصيرة وهي: المبينة التي تبصر، والتبصرة مصدر مثل التذكرة، وسُمي بها ما يوجب التبصرة فيقال: هذه الآية تبصرةٌ؛ لكونها آلة التبصر وموجبه، فالقرآن بصيرةٌ وتبصرةٌ وهدًى وشفاءٌ ورحمةٌ- بمعنى عام، وبمعنى خاص- ولهذا يذكر الله سبحانه هذا وهذا، فهو هدى للعالمين وموعظةٌ للمتقين، وهدى للمتقين وشفاء للعالمين، وشفاء للمؤمنين وموعظة للعالمين، فهو في نفسه: هدًى ورحمةٌ وشفاء وموعظة، فمن اهتدى به واتعظ واشتفى؛ كان بمنزلة من استعمل الدواء الذي يحصل به

---

(١) التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم ص٤٠٦ .

الشفاء، فهو دواءٌ له بالفعل، وإن لم يستعمله فهو دواء له بالقوة، وكذلك الهدى[١].

❑ **ويتجلى ذلك في ثلاثة مجالات: الاجتماعي، والأخلاقي، والمعرفي:**

❍ **١- أثر تدبر القرآن في النهوض الحضاري الاجتماعي:**

إنَّ بيان أثر تدبر القرآن في النهوض الحضاري بمجتمع السلف يتركز على جهتين: الأسرة، والمجتمع:

أما النهوض بالأسرة: فتجلى أثر تدبر القرآن فيها ظاهرًا:

فقد أمر الله عباده بالاهتمام بالأهل والأسرة، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: الآية ٦]، وقد حثّ الرسول ﷺ على أن يكون للبيوت حظٌّ من العبادة حتى يتعلّم أهل البيت حب الطاعة، فقال النبي ﷺ: «**إن البيت الذي يُقرأ فيه يكثر خيره، والبيت الذي لا يُقرأ فيه القرآن يقلّ خيره**»[٢].

وقد فقه الصحابة هذه الوصية، فكان من يمر ببيوت الصحابة ﷺ في غسق الدُّجى يسمع فيها دويًّا كدويّ النحل بالقرآن[٣]. فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**إني لأعرف أصوات رُفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا**

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن القيم ٢/ ١٧٠ .

(٢) أخرجه البزار في مسنده ح ٦٦٧٢ ١٣/ ٢٠٥، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٦٨ وعزاه للبزار. وقال الهيثمي في المجمع ٧/ ١٧١ : «فيه عمر بن نبهان: ضعيف».

(٣) ينظر: كتاب المنهج النبوي في التعليم القرآني، د. عبد السلام المجيدي ص١٣٩، ٣٣٨ فقد ذكر مجموعة من النماذج على ذلك.

بالنهار»[١].

قال وكيع: «كان الحسن وعلي ابنا صالح وأمهما جزأوا الليل ثلاثة أجزاء، يختمون فيه القرآن في بيتهم كل ليلة، فكان كلّ واحد يقوم بثلثه، فماتت أمهما، فكانا يختمانه، ثم مات علي فكان الحسن يختم كل ليلة»[٢].

فسلفنا الصالح كانوا أسعد الناس من الناحية الأسرية، وكثر الخير في بيوتهم، وقلَّت المشاكل الأسرية بينهم بسبب امتثالهم لأوامر القرآن في علاقة الزوج بزوجته وأبنائه، وعلاقة الزوجة بزوجها وأبنائها.

وأبلغ دليل على ذلك قول شريح للشعبي يومًا وقد سأله عن أهله: «من عشرين عامًا لم أر ما يُغضبني من أهلي، ولم أعقّب عليها في شيء إلا مرة، وكنت لها ظالمًا»[٣].

وقال الإمام أحمد: «أقامت أم صالح معي عشرين سنة، فما اختلفت أنا وهي في كلمة»[٤].

وأما المجتمع: فإن تدبر القرآن يحوله إلى مجتمع قرآني؛ عندما يتربى المجتمع على نصوص القرآن ويهتدي بأنواره، فيكون مجتمعًا حيًّا حياة عزيزة كريمة، وقد فهم سلفنا الصالح نصوص القرآن الداعية إلى الاعتصام وعدم التفرق، فحرصوا على تنفيذ هذه النصوص في واقعهم، فتكوّن منهم المجتمع القرآني الذي تربى على منهج القرآن وأُسُسه ومبادئه وتوجيهاته، فأرسى فيهم

(١) أخرجه البخاري كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ٤٢٣٢، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأشعريين ﷺ ٢٤٩٩ .

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٩/ ٥٣٠ .

(٣) تاريخ دمشق٢٣/ ٥٣ .

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي ١٨/ ٦٥ .

القرآن روح التراحم والتواد، ونشْر العدل والإنصاف والمساواة، فكان مجتمع السلف بحق كما وصفهم القرآن: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: الآية ٢٩].

وقد ذكر لنا القرآن كيف كانت أخوّة المجتمع المسلم في عهد الصحابة كنموذج عملي منهم لتدبر القرآن وتطبيق أحكامه في صورة مشرقة لم يسبق لها مثيل، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: الآية ٩] فقد «التقى أهل مكة بأهل المدينة، لا يجمع بينهم إلا الدين الجديد، فكان أروع منظر لسلطان الدين شهده التاريخ، وكان الأوس والخزرج لم ينفضوا عنهم غبار حرب بعاث، ولا تزال سيوفهم تقطر دمًا، فألَّف الإسلام بين قلوبهم، ولو أنفق أحد ما في الأرض جميعًا ما ألَّف بين قلوبهم، ثم آخى رسول الله ﷺ بينهم وبين المهاجرين، فكانت أخوة تزري بأخوة الأشقاء، وتبذّ كل ما رُوي في التاريخ من خلّة الأخلاء»[١].

وقد ورد إلينا في آثار الصحابة ما يشرح هذا النص القرآني عمليًا من جيل الصحابة الفريد فلما قدموا المدينة آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، فقال لعبد الرحمن: «إني أكثر الأنصار مالًا، فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمِّها لي أطلِّقها، فإذا انقضت عدتها فتزوّجْها»[٢].

وبسبب تحقيق هذا المجتمع القرآني الإيمان، وتحاكمهم إلى شريعة الرحمن،

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبي الحسن الندوي ص٧٣ بتصرف.
(٢) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار ح ٣٧٨٠ .

وجدوا ثمرة ذلك كله ألا وهو: الاستقرار والأمن التام في أموالهم وأعراضهم ودمائهم، والنصر والفتح، والاستخلاف والتمكين، والعزّ والشرف، حتى بلغ ملكهم - في فترة وجيزة في أعمار البشر - من المحيط الهندي شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا، وأصبحوا خير أمة أُخرجت للناس.

○ ٢- أثر تدبر القرآن في النهوض الحضاري الأخلاقي:

عُني القرآن عناية مميّزة بموضوع الأخلاق والسلوك، فالآيات المُبينَة عن الأخلاق بطريقة مباشرة كثيرة، ومنها الآيات في سور: الإسراء، والمؤمنون، والنور، والفرقان، والعنكبوت، والحجرات، والمعارج وغيرها. أو بطريقة غير مباشرة وهي أكثر، كما هي أخلاق الأنبياء والصالحين بما قصّه الله علينا من قصصهم مع أقوامهم.

وإن خير مَن عمل بكتاب الله وتخلّق بأخلاقه وطبّقه في ظاهره وباطنه وأصبح خُلقًا له - نبينا محمد ﷺ، الذي أثنى الله على خُلقه ونعته بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القَلَم: الآية ٤]، ولما سُئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خُلق النبي ﷺ قالت: «كان خُلقه القرآن»[١].

وقد كان سلفنا الصالح نموذجًا مشرِّفًا للتخلق بأخلاق القرآن، فاصطبغوا بأخلاقه، وتحوّلوا إلى أمة تعرف الشورى وتكره الاستبداد إلى أمة يسودها العدل الاجتماعي، ولا يُعرف فيها نظام الطبقات إلى أمة تكره التفرقة العنصرية، وتكره أخلاق الكبرياء والترفع على الشعوب، أمة تعرف العدل والإنصاف والمساواة، وتطبّق ذلك على نفسها قبل أن تطبّقه على غيرها، ثم بعد تخلّقهم بأخلاق القرآن تواصوا فيما بينهم على ذلك، فوردتنا منهم نصائح تصف أخلاق أهل القرآن، فقد

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١١٦/٥٠ رقم ٢٣٤٦٠، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مُفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخطئون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيًا، محزونًا، حليمًا، حكيمًا، سكِّيتًا»[(١)].

ولما أرد عيينة بن حصن الدخول على عمر رضي الله عنه استأذن له الحر بن قيس، فلما دخل عيينة قال: هِي يا بن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزْل ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى همّ أن يوقع به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩]، وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقّافًا عند كتاب الله[(٢)].

❍ ٣- أثر تدبر القرآن في النهوض الحضاري المعرفي التجريبي:

إن من يمتّع نظره في رياض القرآن وآياته لتزداد دهشته حين يرى كيف آخى القرآن بين الدين والعقل وألّف بينهما، وكيف جعل من عقيدة الإسلام مزيجًا من التدين الحي والارتقاء في سُلّمِ الحضارة والتقدم، والعجب من ذلك في وحي القرآن، والأغرب بالنسبة لبقية الأديان ما يراه المتدبر لآياته، كيف أن القرآن قد جعل من التفكير في الكون والتتبّع لمعرفة قوانين الحياة الطبيعية وتسخير قواها للإنسان، كيف جعل من ذلك عبادة من أَجَلِّ العبادات الإسلامية، وهذه ميزة للإسلام، لم يسبقه إليها دين من الأديان.

إن الناظر في دلالات النصوص القرآنية وإرشادات النبي ﷺ في أحاديثه، تتضح

---

(١) أخرجه أحمد في الزهد ص١٣٣ .

(٢) أخرجه البخاري كتاب تفسير القرآن باب ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩] ح ٤٦٤٢ .

له أهمية العلوم الكسبية مقرونة بعلوم الوحي كمؤهّل أساس للاستخلاف في الأرض وعمارتها، فقد رفع القرآن الكريم المسلمين إلى مستوى من الفهم والإدراك لسنن الله في الكون، حتى أضحوا يفقهون آيات الله المرئية من كتابه المنظور، كما فقهوا آياته المتلوة من كتابه المسطور، فاجتمعت لهم بذلك قراءتان: قراءة الكون، وقراءة الوحي، في تناغم وتكاملٍ بما لم تعرفه أمة من الأمم[(١)].

وكان سلفنا الصالح أكثر الأجيال فهمًا ووعيًا لقضية الاستخلاف في الأرض وعمارتها، من خلال تدبّرهم لآيات القرآن الدالة على ذلك، وأهمية التقدم العلمي كمؤهّل أساس لحمل أمانة الخلافة في الأرض، فلم يجدوا حرجًا من اقتباس العلوم الكونية من الطب، والكيمياء، والفلك، والبصريات، والرياضيات وغيرها، من أمم الحضارات القديمة مثل: اليونان والفرس والروم، وتطوير هذه العلوم بإسهامات بارزة، وكانت تلك الإسهامات على نحو غير مسبوق شمولًا وتميّزًا وتصحيحًا للمسار، حتى ليخيّل للمطلع على هذه الإسهامات الخالدة كأن لم يكن علوم حياتية أو معارف حضارية.

«ويشهد لذلك الانطلاقة الكبرى والازدهار الهائل اللذان عرفهما العالم الإسلامي على مدار عصور حضارتهم الزاهرة في مجالات العلوم المختلفة، حتى أضحت حواضر المسلمين في بغداد والقاهرة وقرطبة وغيرها قِبلة لطلاب العلم من أقاصي الدنيا ومختلف الملل»[(٢)].

ويشهد لذلك أيضًا: أن كتب العلوم والمعارف من: طب، وكيمياء، وزراعة،

---

(١) سنن الله في إحياء الأمم في ضوء الكتاب والسنة، د. حسين شرفة ص٥٥٢ .

(٢) المصدر السابق.

وفلك، وغيرها، كانت مكتوبة بلغة القرآن وبفكر أهل القرآن، وكيف كانت تُدرّس في جامعات أوروبا قرابة ستة قرون - ولا زالت لها قيمتها المعرفية والتجريبيّة.

❑ **وخلاصة القول**: إن القرآن الكريم يمتاز بمبادئ سامية وقيم رفيعة تجعله ركيزة قوية لتربية الأفراد وتنظيم المجتمعات، والتربية هي وسيلة الإنسان لتحقيق أهداف الخالق، ويتضح أن ذلك الأسلوب القرآني المعجز يهدي قارئ القرآن إلى تدبر المعاني، ويجعل الإنسان يهتدي بفكره ويتنقل بعقله في مخلوقات الله وكونه؛ ليصل بنفسه إلى ما يهديه إلى الحق وإلى الصراط القويم.

لقد جرَّب المسلمون السابقون - من جيل الصحابة وتابعيهم بإحسانٍ - التمسك بالإسلام، فوجدوه كفيلًا بسعادة الروح والبدن، وضابطًا لمصالح الدين والدنيا.

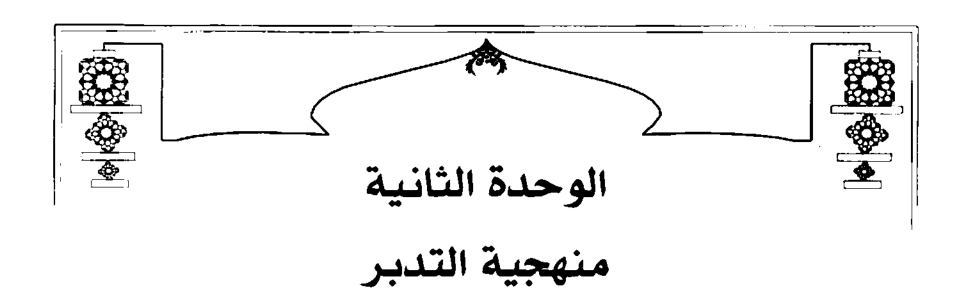
والإنسان مخلوق لله ﷻ، وقد ميزه عن غيره من المخلوقات الأخرى في تكوينه وفي منزلته الرفيعة، وفي المسئولية التي يتحملها أمام الخالق، الذي خلقه على هيئة تجمع بين المادة والروح، والحياة في هذه الدنيا مقدمة للحياة الأخرى، والحياة فيها توازن بين الدنيا والآخرة، والمسلم الحق حريص على إقامة التوازن بين زينة الدنيا ونعيم الآخرة.

وفي ختام هذه الآثار نستطيع القول: إنّ القرآن الكريم تضمّن منهجيّةً فريدة فيما يتعلّق ببناء الجانب الفكري والعقدي في الشخصية الإسلاميّة: بدءًا بجعل التفكير المستنير طريقًا موصلًا للقناعة العقليّة بحقائق الإيمان، مرورًا بالارتقاء بطرق التفكير وأنماطه، وانتهاءً بضبط مجالاته وحدوده.

وفي هذه الأيام التي يواجه فيها المسلمون أشدّ الهجمات الفكريّة الخارجية المنحرفة، هُمْ بأمسِّ الحاجة إلى النظر في آيات القرآن الكريم المتعلقة بشتى مجالات النظر والتفكير: وتدبّرها والتفكّر في مدلولاتها ومقاصدها؛ لتحصين

منظومتهم الفكريّة من الجمود والانغلاق والتقليد، والارتقاء بطرق تفكيرهم إلى المستوى الذي يؤهلهم لصناعة الشخصيّة المسلمة الفاعلة في جميع ميادين الحضارة والتمدّن؛ ليستحقوا تبوء المكانة التي أرادها الله لهم في قيادة البشرية ودلالتها على الخير، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، وذلك تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: الآية ١١٠]. وليتحقّق بهم ولهم الشهود الحضاري الذي أراد الله لهم أن يبلغوه؛ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: الآية ١٤٣].





الوحدة الثانية
منهجية التدبر

المعيار الأول: المخاطبون بالتدبر:

إن التدبر المأمور به في القرآن عامٌّ، يشمل المنافقين، والكفار، والمؤمنين.

ورد الأمر في القرآن بالتدبر في أربعة مواضع: موضعان لخطاب المنافقين في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: الآية ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: الآية ٢٤].

وموضعٌ لمخاطبة المشركين في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المؤمنون: الآية ٦٨].

والرابع لخطاب العموم في قوله تعالى: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: الآية ٢٩]. وللمؤمنين خاصّةً على قراءةٍ فيها: «لتَدبرُوا آياته» بالتاء، بمعنى: لتتدبره أنت يا محمد وأتباعك.

ومن ثَمّ نبدأ حَسَب الترتيب بالحديث عن المنافقين في آيتَيْهما، ونثني بآية خطاب المشركين، ونختم مع آية خطاب المؤمنين، فنقول وبالله التوفيق:

أولًا: المنافقون:

فقد وردت آيتان تأمرهم بالتدبر، وهما قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: الآية ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا

يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: الآية ٢٤].

وفي سياق هذه الآية يقول الطبري: «أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يعظهم بها في آي القرآن الذي أنزله على نبيه - عليه الصلاة والسلام -، ويتفكرون في حُججه التي بيّنها لهم في تنزيله، فيعلموا بها خطأ ما هم عليه مقيمون، ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: الآية ٢٤]، يقول: أم أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعبر. . . إذ والله يجدون في القرآن زاجرًا عن معصية الله لو تدبره القوم فعقلوه، ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا عند ذلك»[١].

قال أبو حيان: «وهذا استفهام معناه الإنكار، أي: أفلا يتأملون ما نزل عليك من الوحي ولا يُعْرضون عنه، فإنه في تدبره يظهر برهانه ويسطع نوره، ولا يظهر ذلك لمن أعرض عنه ولم يتأمله»[٢].

ومن يتأمل في دلالة هذا الاستفهام الإنكاري يجد أنه جاء بتوبيخهم على عدم التدبر، والتعجب من حالهم في استمرارهم على نفاقهم مع توافر أسباب الهداية وهو القرآن الذي يردّده الرسول ﷺ على مسامعهم وبين ظهرانيهم ليل نهار.

وهذا ما ذكره ابن عاشور فقال: «والاستفهام إنكاري للتوبيخ والتعجب منهم في استمرار جهلهم مع توفّر أسباب التدبر لديهم»[٣].

وقال السعدي: «أي: فهلّا يتدبر هؤلاء المعرضون لكتاب الله، ويتأملونه حق التأمل، فإنهم لو تدبروه لدلّهم على كل خير، ولحذّرهم من كل شر، ولملأ قلوبهم من الإيمان، وأفئدتهم من الإيقان، ولأوصلهم إلى المطالب العالية، والمواهب الغالية، ولبيّن لهم الطريق الموصلة إلى الله، وإلى جنته ومكملاتها ومفسداتها،

---

(١) جامع البيان ٢٢/ ١٧٩ .

(٢) البحر المحيط ٣/ ٣١٧ .

(٣) التحرير والتنوير ٥/ ١٣٧ .

والطريق الموصلة إلى العذاب، وبأي شيء تحذر، ولعرّفهم بربهم، وأسمائه وصفاته وإحسانه، ولشوّقهم إلى الثواب الجزيل، ورهّبهم من العقاب الوبيل»[١].

ونخلص من ذلك: أن الله تعالى أنكر عليهم عزوفهم عن القرآن وعن قراءته بتدبر وأناة، وأنَّ المنافقين لو أعملوا أذهانهم وأمعنوا النظر في القرآن وتدبروه بحق لوصلوا إلى نتيجة؛ إذ إن القرآن كلام الله ليس فيه اختلاف البتة؛ لأنه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا، ولكن بسبب شكّهم واضطرابهم وقلوبهم المغلّفة القاسية التي كأنها مُكبّلة بالأغلال لا ينفذ إليها نور القرآن لم يتمكّنوا من تدبره، فمن أراد منهم أن يقف على تلك الحقيقة فعليه أن يقرأ القرآن كله بتدبر وتأمل، أما القراءة السريعة التي لا تأمل فيها فلن توصل إلى تلك النتيجة.

ثانيا: الكفار:

وردت فيهم آيتان، تأمرهم بالتدبر، وهما:

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المؤمنون: الآية ٦٨]. ودخولهم في عموم قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: الآية ٢٩].

قال الطبري: «أفلم يتدبر هؤلاء المشركون تنزيل الله وكلامه، فيعلموا ما فيه من العبر، ويعرفوا حجج الله التي احتج بها عليهم فيه؟ ﴿أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: الآية ٦٨]، أم جاءهم أمر ما لم يأتِ مَن قبلهم من أسلافهم؟ فاستكبروا ذلك وأعرضوا، فقد جاءت الرسل من قبلهم، وأُنزلت معهم الكتب!»[٢].

وقال الألوسي: «﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: الآية ٦٨] الهمزة: لإنكار الواقع

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٧٨٨.
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٩/٥٦.

واستقباحه. . . أي: فعلوا ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر، فلم يتدبروا القرآن ليعلموا بما فيه من وجوه الإعجاز أنه الحق من ربهم فيؤمنوا به، و(أم) في قوله تعالى: ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ منقطعة. و(ما) فيها من معنى للإضراب، والانتقال من التوبيخ بما ذكر إلى التوبيخ بآخر، والهمزة لإنكار الوقوع لا لإنكار الواقع، أي بل أجاءهم من الكتاب مالم يأت آباءهم الأولين حتى استبعدوه فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال»[١].

وقال الشوكاني: «بيّن سبحانه أن سبب إقدامهم على الكفر هو أحد هذه الأمور الأربعة: الأوّل: عدم التدبر في القرآن، فإنهم لو تدّبروا معانيه لظهر لهم صدقه وآمنوا به وبما فيه»[٢].

وقال السعدي: «أي: أفلا يتفكرن في القرآن ويتأملونه ويتدبرونه!! فإنهم لو تدبروه لأوجب لهم الإيمان ولمنعهم من الكفر، ولكن المصيبة التي أصابتهم بسبب إعراضهم عنه»[٣].

❑ **ونخلص من هذا**: إن كفار مكة لم يكونوا من المتدبرين للقرآن، ولم يعطوا لأنفسهم فرصة النظر فيه ليتبين لهم حقيقته، بل كانوا ينهون الناس عن الاستماع للقرآن الكريم ويقولون: هذا أساطير الأولين، وإفك قديم من كلام الكهان، وإنْ هو إلا قول البشر، وإنْ هذا إلا سحر يؤثر. واستمروا في تكذيبهم به، ولو أنهم تدبروه لصَدَّقُوا بما فيه، وعلموا أنه كلام رب العالمين.

«وليس نزول الآية في سياق غير المؤمنين يعني أنَّ المؤمنين لا يُطلبُ منهم التَّدبُّر، بل هم مأمورون به، وداخلون في الخطاب من باب أولى؛ لأنَّهم أهلُ

---

(١) روح المعاني ١٨/ ٥٠ .

(٢) فتح القدير ٣/ ٤٩٢ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٥٥٤ .

الانتفاعِ بتدبُّرِ القرآن، وإنّما المرادُ هنا بيان من نزلت بشأنه الآياتُ، دون بيان صحَّةِ دخولِ المؤمنينَ في الخطاب، والله أعلمُ»[١].

ثالثًا: عموم المؤمنين:

❑ **دَلَّ على ذلك سياق الآية الكريمة** ﴿لِيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: الآية ٢٩]، **وفيها قراءتان:**

القراءة الأولى: وهي قراءة الجمهور ﴿لِيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص:الآية ٢٩] بإدغام التاء في الدال[٢]، وفيه بيان علة إنزال هذا الكتاب، وأن الهدف من إنزاله هو تلاوته وتدبره[٣]، وتوجيه الأمر إلى عموم الناس لا يفيد بأن الأمر منصرف عنه ﷺ، بل إن الأمر بالتدبر موجه إليه ﷺ ابتداءً؛ إذ هو المبلِّغ لكلام الله، فهو داخل في الأمر ابتداءً، ولقد كان عليه الصلاة والسلام في غاية التدبر والتفكر لكتاب الله تعالى[٤].

والقراءة الثانية: ﴿لتدبروا﴾ قال الطبري: «وقراءة أبي جعفر وعاصم [أي: الجحدري] ﴿لتدبروا آياته﴾بالتاء، بمعنى: لتتدبره أنت يا محمد وأتباعك»[٥].

وقال ابن عاشور: «وقرأ أبو جعفر ﴿لتدبروا﴾بتاء الخطاب وتخفيف الدال، وأصلها: لتتدبروا، فحذفت إحدى التاءين اختصارًا، والخطاب للنبي ﷺ ومن معه من المسلمين»[٦].

---

(١) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر ص١٨٦ .
(٢) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري ٢/ ٣٦١ .
(٣) البحر المحيط، لأبي حيان ٧/ ٣٧٩ .
(٤) نظم الدرر ٦/ ٣٨٢ .
(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١/ ١٩٠، المبسوط في القراءات العشر ص ٣١٩ .
(٦) التحرير والتنوير٢٣/ ٢٥٢ .

كما أن في هذه القراءة توجيه اشتراك الأمة بالتوجيه الرباني بأن تتدبر كتاب ربها ﷻ، فهي مقصودة بالتدبر مخاطبة به. فتدبُّر القرآن في حقهم واجب، وهم مأمورون به؛ لأنهم أهل الانتفاع، وكل واحد بحسب قدراته وطاقاته الإدراكية القابلة للاكتساب والزيادة، فلا يُعذر عاقلٌ بعدم التدبر مطلقًا.

قال الشوكاني: «وفي الآية دليل على أن الله إنما أنزل القرآن للتدبر والتفكر في معانيه، لا لمجرد التلاوة بدون تدبر»[١].

المعيار الثاني: أغراض تدبر القرآن الكريم:

❑ **تتنوع أغراض المتدبرين للقرآن، وكلٌّ بحسَبه، ومنها:**

❍ **النوع الأول: تدبره لاستخراج الأحكام منه:** فإنَّ تدبر القرآن الكريم يساعد على استخراج الأحكام منه، سواء كان ذلك مما يتصل بالعقائد، أو الأعمال المتعلقة بالجوارح، أو السلوك؛ إذ الأحكام تشمل ذلك كله بمفهومها الواسع.

❍ **النوع الثاني: تدبره للوقوف على ما حواه من العلوم والأخبار والقصص:** فينبغي تدبر القرآن الكريم للوقوف على ما حواه من العلوم والأخبار والقصص، وما ورد فيه من أوصاف هذه الدار، وما بعدها من الجنة أو النار، وما وصف الله تعالى فيه من أهوال القيامة ونهاية الحياة الدنيا، وأوصاف المؤمنين والكافرين بطوائفهم، وصفات أهل النفاق، فضلًا عن الأوصاف المحبوبة لله تعالى، والأوصاف التي يكرهها... إلى غير ذلك مما يلتحق بهذا المعنى.

❍ **النوع الثالث: تدبره للوقوف على وجوه فصاحته:** يساعد تدبر القرآن الكريم على الوقوف على وجوه فصاحته وبلاغته وإعجازه، وصروف خطابه، واستخراج اللطائف اللغوية التي تُستنبط من مضامين النص القرآني.

---

(١) فتح القدير ٤/ ٤٣٠.

○ **النوع الرابع: تدبره لمعرفة صدق من جاء به**: إن من يقرأ القرآن الكريم يجد التصديق الجازم واليقين الثابت والطُّمأنينة بكلام المولى ﷻ ووحيه، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت: الآية ٤٩]، وقال: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج: الآية ٥٤]، وقال: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ [سبأ: الآية ٦]، ولهذا حثَّ الله ﷻ عباده على تدبر القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: الآية ٨٢].

فعند قيام المسلم بتدبر القرآن الكريم يتضح له أمور عديدة، من أهمها:

* اتساق معانيه(١).

* ائتلاف أحكامه(٢).

* «تأييد بعضه بعضًا بالتصديق وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق فإن ذلك لو كان من عند غير الله لاختلفت أحكامه، وتناقضت معانيه، وأبان بعضه عن فساد بعض»(٣).

* قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أفلا يتدبرون القرآن فيتفكرون فيه، فيرون تصديق بعضه لبعض، وما فيه من المواعظ والذكر والأمر والنهي، وأن أحدًا من الخلائق لا

---

(١) جامع البيان ٨/ ٥٦٧ .

(٢) المرجع السابق.

(٣) ينظر: جامع البيان ٨/ ٥٦٧، والبغوي ٢/ ٢٥٤، وابن عطية ٢/ ١٦١، والرازي ١٠/ ١٩٦، والخازن ٢/ ١٣٧ .

يقدر عليه»[١].

* ما اشتمل عليه من أنواع الهدايات التي تشهد لصحتها العقول فيما للعقل مجال لإدراكه وتوافق الفطر السليمة، فهو يدعو إلى كل معروف وخير، وينهى عن كل منكر وشر، فلا تجد فيه ما يجافي الحقيقة والفضيلة، أو يسمح بارتكاب الشر والفساد، أو يصرف عن الأخلاق الفاضلة[٢].

* صدق ما تضمنه من الإخبار عن الغيوب الماضية والمستقبلة، ومن ذلك: كشف خبايا وخفايا المنافقين وإظهار ذلك، وهم يعلمون صدق ما أخبر به عنهم[٣].

* ما حواه من ألوان الأدلة والبراهين التي يخضع لها كل منصف مريد للحق متجرد من الهوى[٤].

* فصاحته وإعجازه للإنس والجن، عربهم وعجمهم. وهذه سمة لا تفارقه من أوله إلى آخره، فهو على كثرة سوره وآياته، وطول المدة التي نزل فيها - لا تجد فيه تفاوتًا ولا خللًا في موضع واحد، وهذا لا يتأتى للبشر مهما بلغت فصاحتهم[٥].

❍ **النوع الخامس: تدبره للوقوف على عظاته**: يساعد تدبر القرآن الكريم على الوقوف على عظاته والاعتبار بما فيه من القصص والأخبار، وتَعَقُّل أمثاله

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج ٢/ ٨٢، زاد المسير ٢/ ٧٢، الخازن ٢/ ١٣٧ .

(٢) ابن عاشور ١/ ٦٧ .

(٣) ينظر: البغوي ٢/ ٢٥٤، الرازي ١٠/ ١٩٦، الخازن ٢/ ١٣٧، النيسابوري ٣/ ٣٦، البقاعي ٢/ ٢٣٨، الألوسي ٤/ ١٥٠ .

(٤) المحرر الوجيز ٢/ ١٦١ .

(٥) ينظر: الرازي ١٠/ ١٩٦، الخازن ٢/ ١٣٧، النيسابوري ٣/ ٣٦، البقاعي ٢/ ٢٣٨، الألوسي ٤/ ١٥٠ .

المضروبة، وما اشتمل عليه من الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب؛ من أجل أن يرعوي العبد فيستدرك ما وقع له من تقصير، ويزداد من الإقبال والتشمير في طاعة الله تعالى(١).

○ **النوع السادس: تدبره للتعرف على ضروب المحاجّة والجدال للمخالفين:** يساعد تدبر القرآن الكريم على التعرف على ضروب المحاجة والجدال للمخالفين، وأساليب الدعوة للناس على اختلاف أحوالهم، وطرق التأثير على المخاطبين، وسُبل الإقناع التي تضمنها القرآن الكريم.

○ **النوع السابع: تدبره من أجل الاستغناء به عن غيره سوى السنة فإنها شارحة له:** قال ابن تيمية في باب فهم القرآن: قارئ القرآن دائم التفكر والتدبر لألفاظه، واستغنائه بمعاني القرآن وحِكَمِه عن غيره من كلام الناس، وإذا سمع شيئًا من كلام الناس وعلومهم عرضه على القرآن؛ فإن شهد له بالتزكية قبله وإلّا رده»(٢).

○ **النوع الثامن: تدبره من أجل تليين القلب به وترقيقه، وتحصيل الخشوع:** يساعد تدبر القرآن الكريم على تليين القلب وترقيقه، وتحصيل الخشوع. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ۝٢٣﴾ [الزُّمَر: الآية ٢٣]. وقال تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١﴾ [الحشر: الآية ٢١]. وقال تعالى: ﴿۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري ٢٢/ ١٧٩، الواحدي ١/ ٩١٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦/ ٢٤٦، الألوسي ١٩/ ١٥٤، ابن عاشور ٣/ ٤٨٣.

(٢) مجموع الفتاوى ١٦/ ٥٠.

مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحديد: الآية ١٦]. وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩].

○ **النوع التاسع: تدبره من أجل الامتثال والعمل بما فيه من الأوامر، واجتناب النواهي**: يساعد تدبر القرآن الكريم على الامتثال والعمل بما فيه من الأوامر.

فعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بيان المراد بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: الآية ١٢١] قال: «والذين نفسي بيده، إن حق تلاوته أن يُحِل حلاله، ويحرم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله»(١).

وعن عكرمة: يتبعونه حق اتباعه باتباع الأمر والنهي، فيُحِلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بما تضمنه(٢).

المعيار الثالث: واجبات تدبر القرآن الكريم، ومراحله، ودرجاته:

واجبات التدبر:

❏ **والمراد بها**: القضايا التي يتكون منها التدبر، وبها يقوم، ويجمعها أربع عبارات: الوقوف مع الآيات، والتأمل فيما وراء النص، والتفاعل مع الآيات، بقصد الانتفاع والامتثال.

(أ) الوقوف مع الآيات: بإحضار القلب، وإلقاء السمع، وإمعان النظر، وإعمال العقل.

(ب) التأمل فيما وراء النص: بإدراك مغزى الآيات، وتفهُّم المعنى، واستخراج الدلالات والهدايات.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٤٠٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٩٢ .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: الآية ٨٢]، وقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: الآية ٢٩].

وقد جاءت عبارات المفسرين على النحو التالي:

- ابن جرير: أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يعظهم بها في آي القرآن الذي أنزله على نبيه عليه الصلاة والسلام، ويتفكرون في حججه التي بينها لهم في تنزيله[١].

- البغوي: أفلا يتفكرون في القرآن[٢].

- ابن الجوزي: ليتفكروا فيها[٣].

- القرطبي: يتفهمونه[٤].

- الخازن: يتفكرون فيه وفي مواعظه وزواجره[٥].

- أبو حيان: أفلا يتأملون ما نزل عليك من الوحي ولا يعزفون عنه؛ فإنه في تدبره يظهر برهانه ويسطع نوره، ولا يظهر ذلك لمن أعرض عنه ولم يتأمله[٦].

- البقاعي: يتأملون[٧].

- الشوكاني: أفلا يتفهمونه[٨].

---

(١) جامع البيان ٢٢/١٧٩ .
(٢) معالم التنزيل للبغوي ٢/ ٢٥٤ .
(٣) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٥/٢٣٨ .
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦/٢٤٦ .
(٥) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ٥/ ٤٢٧ .
(٦) البحر المحيط لابن حيان الأندلسي ٤/ ٢٠٧ .
(٧) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، ٢/ ٢٣٨ .
(٨) فتح القدير ٥/ ٤٦ .

- ابن عاشور: يتأملون دلالته..[١].

(ج) التفاعل مع الآيات: ويكون التفاعل مع الآيات من خلال الآتي:

- **القلب**: ويكون بالإيمان والتعظيم للقرآن وللمتكلم به وهو الله تعالى، واستحضار مقاصد القرآن العامة، والشعور بأن القارئ هو المخاطب بهذه الآيات.

- **اللسان**: ويكون بتلاوتها بترتيل وترسل وعلى مُكْث، وتَحَزُّن وتباكٍ، وترديد للآية، والتفاعل معها بالسؤال والتعوذ والاستغفار عند المرور بما يناسب ذلك.

- **الجوارح**: ويكون بالخشوع والقُشَعريرة، ودمع العين، والسجود عند آيات السجدة ونحوها.

(د) قصد الانتفاع والامتثال: ويتضح من خلال الاتى:

- قصد الانتفاع بالعلم والإيمان والخشية.

- قصد الامتثال بالعمل والسلوك[٢].

مراحل التدبر:

❐ **أورد بعضهم مراحل لمن أراد أن يكتسب التدبر[٣] وهي:**

❍ **المرحلة الأولى**: اليقين التام أنك مع القرآن حي وبدونه ميت، مبصر وبدونه أعمى، مهتدٍ وبدونه ضالّ.

---

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٣/ ٤٨٣ .

(٢) مفهوم التدبر في ضوء القرآن والسنة وأقوال السلف وأحوالهم، د. محمد الربيعة، الملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن الكريم بالرياض ١٤٢٩هـ.

(٣) ينظر: فن التدبر في القرآن، عصام صالح العويد ص٧ .

فكل قارئ للقرآن لا بد له من هذا اليقين قبل قراءة سوره وآياته؛ لأن القرآن هو الروح وبدونه أنت ميت، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورى: الآية ٥٢].

والقرآن هو النور وبدونه أنت أعمى، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: الآية ١٧٤]، ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد: الآية ١٩]، القرآن هو الهدى وبدونه أنت ضالّ، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [يونس: الآية ١٠٨].

ومن هنا كان وصف القرآن للمعرضين عنه في غاية الشدة من الذم. قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾﴾ [المدثر: الآية ٥٠].

فهنا يصفهم القرآن بأنهم حُمُر ﴿وَحُمُرٌ﴾ [فاطر: الآية ٢٧]، وهي جمع حمار ثم بقوله: ﴿مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ [المدثر: الآية ٥٠] أي: شديدة النفار، أي: هاربة ذعرًا وخوفًا، والقسورة هو الأسد، أي: حالهم حال الحمر الهاربة الخائفة المذعورة.

كما أننا لا بد أن نقف على الأوصاف التي وصف الله بها كتابه، فقد وصفه بالحق والهدى، البرهان، الموعظة، الشفاء، النور، التذكرة، الرحمة، الصدق، العلي، العزيز، المبين، المفصل، المحكم، العجب، البشير، النذير، البيان، التبيان.

❍ المرحلة الثانية: العلم بأن خطاب القرآن موجه إلى القلب:

لقد جاء تعظيم هذه الجارحة في شريعتنا كثيرًا، ولعل في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه ما يدل على ذلك، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله،**

ألا وهي القلب»[١].

يقول ابن تيمية: «فالمقصود تقوى القلوب لله، وهو عبادتها له وحده دون ما سواه بغاية العبودية له، والعبودية فيها غاية المحبة وغاية الذل والإخلاص، وهذه ملة إبراهيم»[٢].

فالقلوب أوعية فإذا امتلأت من الحق، أظهرت زيادة أنوارها على الجوارح، وإذا امتلأت من الباطل، أظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح.

وما يؤكد أن القلب هو المخاطب أمور منها:

١- أن القرآن نزل أولًا على القلب:

يقول الله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾. وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [البقرة: الآية ٩٧] فأول جارحة تخاطَب بهذا القرآن هي القلب، فإن استجاب القلب استجابت له بقية الجوارح، وإن أعرض كانت كالرعية بلا راعي.

ولذا هيأ الله قلب النبي ﷺ لتلقي القرآن قبل نزوله عليه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: «هذا حظ الشيطان منك»[٣].

وقد وصف الصحابة حال قلوبهم عند أول سماعهم للقرآن: فهذا جبير بن مطعم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه ٥٢، ومسلم في كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ١٥٩٩ .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٧/ ٤٨٥ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: الإسراء بالرسول ﷺ إلى السماوات وفرض الصلاة ٢٦١ .

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول عند سماعه قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾: كاد قلبي أن يطير(١).

٢- كثرة تكرار لفظ القلب في القرآن:

فقد أُسند إليه في الآيات ما لم يسند إلى غيره من الجوارح، فلفظ «القلب، والصدر، والفؤاد» تكرر كثيرًا، فهناك ما يصل إلى أربعين وصفًا أسنده القرآن إلى القلب، وهي أوصاف جليلة الأثر جدًّا، التقوى، الخشوع، الهداية، الرأفة، الرحمة، الألفة، الانشراح، السلامة، الإنابة، الطهارة، الإخبات، الختم، الرعب، العمى، الزيغ، القسوة، النفاق، التقلب.

٣- أن أعظم أثر للقرآن إنما هو في القلب:

فأعظم ما يُحْدثه الإقبال على القرآن هو حياة القلب وصلاحه، وأعظم داء يصاب به المُعْرض عن القرآن هو موت القلب وقسوته؛ ولذا قُصِرت الذكرى على من كان له قلب أو اجتهد في إحضار قلبه مع القرآن كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: الآية ٣٧].

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: الآية ٢٤]، تنبيه على عظم أثر الإعراض عن القرآن، فإنّ القلب يُحْرَم من أنوار الوحي.

فهذه القلوب أوعية لا بد أن تشغل بالقرآن ولا تشغل بغيره. فقد اشتهر عن السلف قولهم: إنما العلم الخشية. قال الحسن: إن قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت: الآية ٤٩] يعني المؤمنين. قال ابن كثير: لأنه محفوظ في الصدور ميسر على الألسنة مهيمن على القلوب معجز لفظًا ومعنى(٢).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب سورة الطور. حديث رقم: ٤٨٥٤ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٤١٨ .

٤- المقصود الأعظم من القرآن هو تدبر القلب له:

قال السيوطي: «وتُسَن القراءة بالتدبر والفهم؛ فهو المقصود الأعظم، والمطلوب الأهم وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب»[(١)].

وقد أبان المولى عن الحكمة من تنزيل هذا الكتاب فقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: الآية ٢٩]، واللام في قوله: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ﴾ هي لام العلة، أي: لن يكون مباركًا مباركة تامة إلا بالتدبر.

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: الآية ٢٤] أي: بين التدبر أو الأقفال على القلب! ولذا ذم النبي ﷺ من قرأ بعض الآيات ولم يتفكر فيها بقلبه إذ قال: «**ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها**»[(٢)]، «قفوا عند عجائبه، وحرّكوا به القلوب، ولا يكون همّ أحدكم آخر السورة»[(٣)].

❍ المرحلة الثالثة: كيف نقرأ القرآن؟

لقد جاء القرآن بالكيفية التي تكون عليها قراءته، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: الآية ١٠٦] فهذا النص فيه أمر بالمكث وترك العجلة عند القراءة، وعن مجاهد سئل عن رجلين: أحدهما قرأ البقرة وآل عمران، والآخر: قرأ البقرة، وقيامهما واحد، وركوعهما وسجودهما واحد، وجلوسهما واحد، أيهما أفضل؟ قال: الذي قرأ

---

(١) ينظر: الإتقان للسيوطي ٢/ ٢٣٩ .

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب التوبة، باب ذكر البيان بأن المرء عليه إذا تخلى لزوم البكاء على ما ارتكب من الحوبات، حديث رقم ٦٢٠ . وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) هذا من كلام ابن مسعود رضي الله عنه ذكره صاحب أخلاق حملة القرآن ١/ ٤ ح٢، وإسناده صحيح. وآخره البيهقي في الشعب ٣/ ٤٠٧، ح١٨٨٤ مختصرًا.

البقرة وحدها أفضل. ثم قرأ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ...﴾ [الإسراء: الآية ١٠٦] الآية.

وقوله تعالى في سورة القيامة: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٦ - ١٩]. فنهى عن العجلة في القراءة وتحريك اللسان بها سريعًا، وهذه الآيات تتحدث عن مقدمات يوم القيامة وأهواله. وعن محمد بن كعب أنه قال: «لأن أقرأ القرآن في ليلتين حتى أصبح بـ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ و﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾﴾ لا أزيد عليهما - أحبَّ إلي من أن أهذ القرآن هذًّا. أو قال: أنثره نثرًا[(١)].

❑ المرحلة الرابعة: بأي القرآن نبدأ؟:

لقد كان منهج النبي ﷺ في تعليم أصحابه القرآن هو تعليم الإيمان أولًا قبل تعليم الأحكام، وقد ورد في ذلك آثار مشهورة، منها:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ: «إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة»[(٢)]. قال ابن تيمية: الأمانة هي الإيمان، أنزلها في أصل قلوب الرجال[(٣)].

ولهذا كان الإيمان بدون قراءة القرآن ينفع صاحبه ويدخل به الجنة، والقرآن بلا إيمان لا ينفع في الآخرة بل صاحبه منافق.

وقيل في قوله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النور: الآية ٣٥] أي: نور القرآن على نور الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورى: الآية ٥٢].

---

(١) الزهد لابن المبارك ص ٩٧ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة ٦٤٩٧، ومسلم في كتاب الإيمان، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب، وعرض الفتن على القلوب ١٤٣ .

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى ١٢/٢٤٩ .

أما المنهج الذي اتبعه الصحابة في تعلم القرآن فقد كان البدء بالمفصل أولًا:

فعمر رضي الله عنه كان يقول لبنيه: «إن كان أحد منكم متعلمًا فليتعلم من المفصل فإنه أيسر»[١].

وقال الحسن البصري: إن الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن، ثم أودع علوم القرآن في المفصل، ثم أودع علوم المفصل في الفاتحة، فمَنْ عَلِم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة[٢].

وآخر المفصل سورة الناس بلا نزاع.

«واختلف في أوله: فقيل: ق، وقيل: الحجرات، وقيل، وقيل: الضحى.

ووجهه بأن القارئ يفصل بين السور بالتكبير. وقيل غير ذلك.

وللمفصل طوال وأوساط وقصار: فطواله إلى عَمَّ، وأوساطه منها إلى الضُّحَى، ومنها إلى آخر القرآن قِصَاره، وهذا أقرب ما قيل فيه»[٣]. وسُمِّيَ مفصلا لقصر سوره، وكثرة فواصله[٤].

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «أوّل مَن قَدِم علينا مصعب بن عمير وابن أمّ مكتوم، وكانوا يُقرئون[٥] النّاس، فقَدِم بلال وسعد وعمّار بن ياسر، ثمّ قَدِم عمر ابن الخطّاب في

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٣/ ٣٨١ الأثر رقم ٦٠٣٠، والمستغفري في فضائل القرآن ٩٠٢ .

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٤٥٠ ٢٣٧١، والثعلبي في الكشف والبيان ١/ ٩١ .

(٣) ينظر الإتقان ١/ ١٧٩-١٨١ . مختصرًا.

(٤) فتاوى نور على الدرب - ابن عثيمين - ١٩/ ١١٥ .

(٥) وكانوا يُقرئون الناس: هكذا وردت. ووَجَّهها ابن حجر على أن أقل الجمع اثنان، وإما على أن من كان يقرأ بأنه كان يقرأ معهما أيضًا. وفي رواية الأصيلي وكريمة: «فكانا يُقرئان الناس» قال: وهو أوجه. ينظر فتح الباري ٧/ ٣٠٦ .

عشرين من أصحاب نبيّ اللّه ﷺ، ثمّ قَدِم النّبيّ ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول اللّه ﷺ، حتّى جعل الإماء يقلن: قُدِم رسول اللّه ﷺ!! فما قدم حتّى قرأت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] في سُوَرٍ من المفصّل»[١].

وعن عاصم بن عمر بن الخطاب عن أبيه أنه: كان يأمر بنيه بتعليم المفصل[٢]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «تُوفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم»[٣]. وعنه رضي الله عنه قال: «جمعت المحكم في عهد النبي ﷺ. فقيل له: ما المحكم؟ قال: المفصل»[٤]. قال ابن كثير: «فيه دلالة على جواز تعليم الصبيان القرآن لأن ابن عباس أخبر عن سِنّه حين موت النبي ﷺ، وقد كان جمع المفصل وهو من الحجرات، وعمره إذ ذاك عشر سنين»[٥].

ولعل في البدء بالمفصل ميزات، أهمها: أنه هو الذي يغرس الإيمان في القلب كأمثال الجبال. وهذا هو الذي أشارت إليه عائشة رضي الله عنها حين قالت: «لقد نزل أول ما نزل سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس للإسلام نزل الحلال والحرام»[٦].

فسور المفصل تجعل القلب يثوب ويطمئن بالإيمان، فإذا جاء الحلال والحرام بعد ذلك كان السمع والطاعة لرب العالمين ولرسوله ﷺ، وبين أيدينا شاهد حي لا يغيب وهم صحابة رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب مناقب الأنصار، باب مَقْدِم النبي ﷺ وأصحابه المدينة ٣٧١٠ وينظر: ٤٦٥٧، ٤٧٠٩ .
(٢) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب ١/ ١٤ ١٧ .
(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب تعليم الصبيان القرآن ٥٠٣٥ .
(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب تعليم الصبيان القرآن ٥٠٣٦ .
(٥) فضائل القرآن لابن كثير ٢٢٥ .
(٦) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن ٤٩٩٣ .

وقد جاء حزب المفصل ليُقرّ ثلاث حقائق:

* توحيد الله في ربوبيته وألوهيته.

* إثبات البعث والدار الآخرة.

* الأمر بمكارم الأخلاق.

أنه أيسر في الفهم؛ لأنه محكم ليس فيه متشابه إلا ما ندر. فعن ابن مسعود قال: إن لكل شيء سَنامًا، وإن سنام القرآن سورة البقرة، وإن لكل شيء بابًا، وإن باب القرآن المفصل.

درجات التدبر:

لا شك أن التدبر ليس كله على مستوى واحد، فهو درجات ومراتب يرتقي فيها المؤمن المتدبر حتى يبلغ مراده وغايته وهو مرضاة الله ﷻ، وتلخيصها في النقاط التالية:

أولًا: التفكر والنظر والاعتبار:

المؤمن لا يمر على الآيات مرورًا عابرًا فهو وقّاف ومتأمل ومعتبر، يقلّب النظر ويمعن الفكر، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: الآية ٢١٩]، وقال: ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: الآية ٢٢١].

وما أجمل ما قال ابن الجوزي في هذا المعنى: «إن الله تعالى قد صَنَّف هذه المخلوقات فأحسن التركيب وأحكم الترتيب، ثم عرضها على الألباب، فأي لب أوغل في النظر مُدح على قدر فهمه فأحب المصنف، وكذلك أنزل الله القرآن يحتوي على عجائب الحِكم، فمن فتّشه بيد الفهم وحادثه في خَلوة الفكر؛ استجلب رضا المتكلم به وحظي بالزلفى لديه»(١).

(١) ينظر: صيد الخاطر، لابن الجوزي ص ٩١ .

❑ ثانيًا: الاستجابة والخضوع:

إن المتدبر يستجيب بعد الفكر والنظر، فيطيع الله ويغض البصر، ولسانه يلهج بالشكر، لأنه رُزق الهداية ووُفّق إلى مرضاة الله ﷻ. يقول الإمام القرطبي: «فإن مَن أُوتي علم القرآن فلم ينتفع، وزجرته نواهيه فلم يرتدع، وارتكب من الإثم قبيحًا، ومن الجرائم قصدًا، كان القرآن حجة عليه، وخصمًا لديه»[(١)]. وجاء في الصحيح: «**القرآن حجة لك أو عليك**»[(٢)].

❑ ثالثًا: استخراج الحِكم واستنباط الأحكام:

حِكم القرآن وأحكامه درجة من درجات التدبر لا يبلغها إلا العالِمون، فهي بذلك مَرتبة العلماء ومنزلة الفقهاء. يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: «فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله وتفسير ذلك، وطلبه من مظانه، وتَعَلُّم ذلك وتعليمه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٨٧]، فقد ذم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله، فعلينا نحن المسلمين أن نحذر ما ذمهم الله به، وأن نأتمر بما أمرنا الله به من تعلم الكتاب المنزل إلينا وتعليمه وتفهمه وتفهيمه»[(٣)].

المعيار الرابع: وسائل التدبر:

لا يظنَنّ القارئ الكريم عند تنويع وسائل التدبر وتعددها أنه من الصعوبة بمكان، أو أن هذه الطرق أو الشروط عراقيل تقطع أو تعوق طريق المتدبرين.. أبدًا، ولكنها:

أ- بمنزلة إرشادات على الطريق، من الأهمية البالغة أن يمتثلها المتدبر كُلًّا أو

(١) الجامع لأحكام القرآن، ١/ ٢ .

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، ح ٢٢٣ .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢ .

بعضًا؛ ليؤتي تدبره ثماره الطيبة.

ب- وبمنزلة زوايا تَضْبط عملية التدبر، حتى لا يقول فى القرآن منْ شاء ما شاء.

وسيكون الحديث عن هذه الوسائل من خلال الأمور التالية:

أولا: تهيئة القلب قبل البدء في التلاوة والتدبّر:

❐ إعداد القلب وتهيئته قبل التدبر مهم جدًّا، ويكون بِعدّة أمور:

١- **وجود الدافع الذاتي نحو التدبر مع الإخلاص**: وهذا الأمر من الأهمية بمكان؛ إذ لابد من الدوافع الداخلية الذاتية التي تدفع القارئ نحو التدبر وتحثّه عليه، ولن يكون ذلك إلا بإدراكه قيمة التدبر وأهميته وعظيم فوائده في الدنيا والآخرة، وأن الكتاب لم يُنزل إلا لذلك، وأن القلب حي بالقرآن عند تدبره، ميت بدونه. بالإضافة إلى أن هذه الدوافع مع الإخلاص في الطلب - تيسر على صاحبها المشقات والعقبات التي قد تعترضه في طريقه، وتصبّره بإذن الله تعالى في طريق المواصلة.

وفي ذلك يقول ابن تيمية: «مَن تدبر القرآن طالبًا الهدى فيه تَبَيَّن له طريق الحق»[(١)].

٢- **الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم**، واستحضار طلب عون الله تعالى من كيد الشيطان الذي يسعى جاهدًا للصدِّ عن تلاوة كلام الله وتدبّره، والإحالة بين القارئ وبين الانتفاع بالقرآن؛ امتثالًا لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ [النحل: الآية ٩٨]، أي: أردت أن تقرأ، مع تهيؤه واستعداده بالطهارة والوضوء، فإن الشيطان من النار، وإنما يطفئ الماء النار.

٣- **استحضار عظمة الله تعالى، وعظمة كلامه سبحانه**، وذلك باستشعار عظمته

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ١٣٧ .

وقدرته وهيمنته، وعلّوه وكبريائه، وأسمائه وصفاته،.. قبل التلاوة؛ ليدرك القلب عظمة الله تعالى، فإذا امتلأ القلب مهابة وتعظيمًا لربه سبحانه عظّم كلامه وأقبل عليه مُصغِيًا متأمّلًا متدبِّرًا.

يقول الحارث المحاسبي: «فإذا عظُم في صدرك تعظيم المتكلِّم به [أي القرآن] لم يكن عندك شيء أرفع ولا أشرف ولا أنفع ولا ألذّ ولا أحلى من استماع كلام الله جل وعز، وفَهْم معاني قوله تعظيمًا وحبًا له وإجلالًا، إذ كان تعالى قائله، فحبّ القول على قدر حبّ قائله..»(١).

٤- دعاؤه ﷻ بالتوفيق إلى التدبّر مع الإلحاح، حيث إن كثيرًا من الناس لا يدعون ربهم بمثل هذا الأمر، إما لعدم التفاته إليه، أو لعدم اهتمامه به أصلًا. وإن دعا فإنه لا يلحّ؛ لأن «بعض الناس لا يعرف الإلحاح إلا في مطالبه الدنيوية المادية، أما الأمور الدينية فتجد سؤاله لها باردًا باهتًا»(٢).

٥- **محبة القرآن، والانشغال به**، فمن المعلوم أن من أحب شيئًا تعلّق به، واشتغل به عما سواه، والقلب إذا أحب القرآن تلذذ بقراءته. **لكن لابد لهذا الحب من علامات، أهمها**: الفرح بلقاء القرآن، والجلوس معه أوقاتًا طويلة دون ملل، والشوق إليه مهما طال العهد، وحالت الموانع، وكثرة مشاورته في كل الأمور مع الثقة التامّة بتوجيهاته، وطاعته أمرًا ونهيًا»(٣).

٦- **الوقوف على شيء من أحوال النبي ﷺ والسلف في تعاملهم مع القرآن**، وهي كثيرة مشهورة موفورة(٤). ولابدّ للمتدبر من الوقوف على جملة من ذلك؛ ليقف

---

(١) يراجع: فهم القرآن ومعانيه، للحارث المحاسبي ص٣٠٢، وتدبر القرآن: مفهومه وأساليبه، د. فهد الوهبي، ص١٩ .

(٢) مفاتيح تدبر القرآن، د. خالد عبد الكريم اللاحم، ص٣١بتصرف.

(٣) المصدر السابق ص ٢٧بتصرف.

(٤) يراجع تمثيلًا لا حصرًا: مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر، لأبي =

على المنهج الأصيل لقراءة القرآن وتدبره، ويعرف حال من نزل عليه القرآن، وحال المعاصرين له، فإن ذلك أدعى للامتثال، وأحرى بالاقتداء.

٧- **اليقين التام أن المسلم حيّ بتدبّر القرآن، ميت بدونه**(١)، وهذا من الدوافع الأكيدة نحو التدبر لمن يريد لقلبه أن يحيا حياة حقيقية بالقرآن، وإلا كان في المعيشة الضنك التي حذّر الله منها في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ نعوذ بالله من ذلك.

٨- **معرفة أن خطاب القرآن في الأصل موجه إلى القلب**(٢) حيث إن استشعار القلب لذلك يُصلِح أمره، ويُقوّم اعوجاجه، بخلاف ما لو قرأ القارئ واعتبر أن ما يقرؤه إنما هو لأقوام آخرين سابقين أو لاحقين، أما هو فيُحسن الظن بنفسه، ويدّعي أنه على خير.. وهذا مدخل عظيم للشيطان على بني الإنسان.

ومما يدل على مخاطبة القلب بالقرآن قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾، حيث لم يقل هنا: على سمعك أو بصرك أو... بل على قلبك؛ للدلالة على المقصود، وأن القلب سيد الجوارح، وبصلاحه صلاحها، وبفساده فسادها، نعوذ بالله من الخِذلان.

٩- **تفريغ القلب من الانشغال بغير الله**: والتفكر في غير كتابه: فاقرأ القرآن وقلبك فارغ من كل شيء إلا من الله، ومحبته، والرغبة في فهم كلامه، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: الآية ٣٧].

= عبد الله محمد بن نصر المَرْوَزِيّ، ص١٤٢.

(١) اقتباسًا من: فن التدبر في القرآن الكريم، د. عصام العويد، ص٢٣.

(٢) المصدر السابق، ص٣٠.

١٠- **البعد عن الذنوب والمعاصي**: لأن لها ظلمة في القلب تحجبه عن الاستنارة بنور الذكر.

١١- **الابتعاد عن مجالس اللغو**: وهو أدعى لتدبر القرآن؛ ولهذا لما أدرك المشركون خطورة القرآن وأثره في الناس، قالوا كما أخبر عنهم العليم الخبير: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت: الآية ٢٦].

قال ابن كثير: «قال مجاهد: ﴿وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ [فصلت: الآية ٢٦] يعني: بالمكاء والصفير والتخليط في المنطق على رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن قريش تفعله، وقال الضحاك، عن ابن عباس: ﴿وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ [فصلت: الآية ٢٦] عيبوه. وقال قتادة: «اجحدوا به، وأنكِروه وعادوه، ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: الآية ٢٦]، هذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار ومن سلك مسلكهم عند سماع القرآن[1].

وقال السعدي: «أي: أعرِضوا عنه بأسماعكم، وإياكم أن تلتفتوا أو تصغوا إليه ولا إلى من جاء به، فإن اتفق أنكم سمعتموه، أو سمعتم الدعوة إلى أحكامه، فـ ﴿وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ أي: تكلموا بالكلام الذي لا فائدة فيه، بل فيه المضرة، ولا تمكنوا مع قدرتكم أحدًا يملك عليكم الكلام به، وتلاوة ألفاظه ومعانيه، هذا لسان حالهم، ولسان مقالهم، في الإعراض عن هذا القرآن ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ إن فعلتم ذلك ﴿تَغْلِبُونَ﴾»[2].

١٢- **تخفُّف المتدبّر من الماديات قدر المستطاع. ونقصد بذلك**: أن يتخفَّف المؤمن عمومًا والمتدبّر خصوصًا من مُتع الحياة وزخرفها، وشهواتها ورفاهياتها، ويتخفّف من المآكل والمشارب، ويُقبِل على القرآن بمعدة خالية أو شبه فارغة.

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٧/ ١٧٤ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٧٤٨ .

ولا يَتعجبَنّ القارئ الكريم من هذا الأمر فهو جِدّ خطير، وأثره في إعاقة التدبر كبير؛ وذلك لأن القرآن كلامُ لطيفٍ خبير، فبِقدْر تخفُّف القارئ من مادِّيّاته وشهواته، يكون إقبال الله تعالى بفتوحاته وفيوضاته والإنعام عليه بخزائن كتابه وأسراره.

ولا أدلّ على ذلك مما قاله لقمان لابنه: «يا بنى، إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرَست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة»، وقال سحنون: «لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع»(١).

١٣ - **استشعار عظمة الله: استشعار عظمة الله**، وأنه يكلمك بهذا القرآن، حتى كأنك تسمعه منه الآن.

وبهذا يتأكد دور تهيئة الأجواء الإيمانية قبل البدء في التلاوة، فهي من أقوى المعينات على التدبر بعد الله ﷻ: «أما الذي لا يعطي القرآن إلا فضول الأوقات، ولحظات الترقُّب والانتظار، فجدير أن لا تخلص إلى قلبه كثير من معانيه»(٢)، نسأل الله معافاته ومغفرته.

١٤ - **التواضع واللين لتدبر القرآن وفهم معانيه وأخذها ودراستها:**

ويؤخذ هذا المعنى عندما ذكر الله اليهود والنصارى بقوله: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [المائدة: ٨١، ٨٢].

---

(١) يراجع: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض اليحصبي، ص٨٦، ومبادئ تدبر القرآن، للندوي ص١٤٤ .

(٢) أفلا يتدبرون القرآن، د. ناصر العمر، ص١٥٣ .

فقد وصف النصارى بأن منهم قسيسين ورهبانًا، وأنهم لا يستكبرون عن قَبول الحق، وإذا سمعوا القرآن فاضت أعينهم بالدمع.

قال ابن كثير: «تضمن وصفهم بأن فيهم العلم والعبادة والتواضع، ثم وصفهم بالانقياد للحق واتباعه والإنصاف»(١).

وقال السعدي: «ليس فيهم تكبّر ولا عتو عن الانقياد للحق؛ وذلك موجب لقُربهم من المسلمين ومن محبتهم، فإن المتواضع أقرب إلى الخير من المستكبر»(٢).

فالتواضع والإقرار بالحق عند ظهوره من الأشياء المعينة على تدبر القرآن؛ ولذلك ينبغي للمؤمن أن يكون متواضعًا، يرجع إلى الحق إذا ظهر له، وإذا ذُكِّر بالقرآن تذكر، وقد أمر الله نبيه ﷺ بقوله: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: الآية ٤٥]؛ لأن بعض الناس تأخذه العزة بالإثم إذا ذُكِّرَ بالقرآن، فيحُول بينه وبين فهمه، قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: الآية ١٤٦]، وهذا مُشاهد بأن المتكبر يُحْرَم من بركة القرآن الكريم.

١٥- **المجاهدة والترقّي**: لا شك أن المتدبر سيجد في طريقه بعض العقبات والآلام، وبخاصة إذا كان في بداية الطريق، فلابد له حينئذٍ من المجاهدة وتحمّل المشاق لأمرين:

أولهما: أن القرآن ليس كتابًا من الكتب البشرية التي يحيط أي إنسان بها، ويتعرّف على أغراض مؤلِّفيها بمجرد تصفُّحها، بل إنه يحتاج إلى العلم بمقاصد الله ﷻ في كتابه، وهي غزيرة جمّة.

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٦٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٢٤١.

ثانيهما: أن معظم القرآن عمليّ وليس نظريًّا، ومن ثَمّ فلا يمكن فهمه بطريقة نظرية فحسب، بل لابد للفرد من تجارب يعيشها وعمل يحققه في واقع الحياة، وهذه إحدى ميزات الصحابة -رضوان الله عليهم-.

وعلى هذا ينبغي للمتدبر أن يتصبّر لما قد يتعثّره، فيبدأ بتدبر آية، يحاول أن يقف معها، ويتفهّم دلالتها، وينظر أين هو منها؟ ثم بعد الآية آيات، ثم سورة وسُور[1]. وهكذا حتى يرقى إلى درجة عظيمة بالممارسة، وحسبه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: الآية ٦٩].

ونختم بجملة من الآداب القلبية التي ينبغي للمتدبر امتثالها، ذكرها صاحب «البرهان» بقوله: «أصل الوقوف على معاني القرآن: التدبُّر والتفكُّر.. وإذا كان العبد مُصغيًا إلى كلام ربه، ملْقِيَ السمع وهو شهيد القلب لمعاني صفات مخاطِبِه، ناظرًا إلى قدرته، تاركًا للمعهود من علمه ومعقوله، متبرئًا من حوله وقوته، معظِّمًا للمتكلِّم، مفتقرًا إلى التفُّهم بحال مستقيم، وقلب سليم وقوة علم وتمكُّن سَمْعٍ لفهم الخطاب، بدعاء وتضرع وابتئاس وتمسْكُن، وانتظار للفتح عليه من عند الفتاح العليم، وليستَعِن على ذلك بأن تكون تلاوته على معاني الكلام، وشهادة وصف المتكلم من الوعد بالتشويق، والوعيد بالتخويف والإنذار بالتّشديد، فهذا القارئ أحسن الناس صوتًا بالقرآن، وفي مثل هذا قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [البقرة: الآية ١٢١]، وهذا هو الراسخ في العلم، جعلنا الله من هذا الصنف»[2]، وجميع المسلمين، اللهم آمين.

---

(١) يراجع: مبادئ تدبر القرآن، لأبي الحسن الندوي، ص١٤٣، و أفلا يتدبرون القرآن، د. العمر ص١٥٥ .

(٢) البرهان ٢/ ١٨٠، ١٨١ بتصرف.

ثانيًا: وسائل إجرائية:

❑ **وهي وسائل تعين القارئ والمستمع على التدبر أثناء القراءة، ومنها:**

١- فراغ القلب من الشواغل الحائلة دون التدبر:

إذا كان الإنسان يحتاج لتفرغ القلب من الشواغل في مقام القضاء ومقام تأمل نصوص العلماء، فإنه في كتاب الله أوضح وأجلى، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾ [ق: الآية ٣٧].

«ففي هذه الآية بيان لأهمية مخاطبة القلوب كي تؤوب إلى خالقها. فعلى الدعاة ألا يغفلوا هذا الجانب؛ حتى لا تقسو القلوب، وتطغى الجوانب المادية»[(١)].

يدل على ذلك استخدام ﴿أَوْ﴾؛ «لأن إلقاء السمع لا يجدي بدون سلامة القلب، كما يلوح به قوله تعالى: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: حاضر بفطنته؛ لأن من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب»[(٢)].

فلا ينتفع بالمواعظ إلا من كان ذا قلبٍ حي وألقى سمعه، وأحضر حواسه حال ورود المواعظ عليه.

«والناس ثلاثة: رجل قلبه ميت فذاك لا ينتفع بالقرآن. ورجل قلبه حيّ مستعد، لكنه غير مستمعٍ للآيات: إما لعدم ورودها أو لعدم فراغ قلبه عند السماع. فهذا أيضًا لا ينتفع. ورجل حي القلب مستعد، تُليت عليه الآيات، فألقى السمع وأحضر القلب. فهذا هو الذي ينتفع بالآيات المتلوّة والمشاهدة»[(٣)].

---

(١) ينظر: التفسير الموضوعي ٤٢٦ .

(٢) تفسير أبي السعود ٨/ ١٣٤ .

(٣) ينظر: بدائع التفسير ٣/ ١٧-١٨ .

٢- ترديد الآية المؤثرة في القلب:

وهو من أهم الوسائل المُعينة على سرعة الانتفاع بالقرآن وتدبره، فبالتكرار يتذوق المتدبر حلاوة القرآن، ويزول عن القلب الغفلة بإذن الله، وهو فعل الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم.

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح يرددها، والآية: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: الآية ١١٨]»(١).

فهذا رسول الله ﷺ يُقدّم التدبر على كثرة التلاوة، فيقرأ آية واحدة فقط في ليلة كاملة.

قال ابن كثير: «هذا الكلام يتضمن ردّ المشيئة إلى الله عز وجل، فإنه الفعال لما يشاء، الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون، ويتضمن التبري من النصارى الذين كذبوا على الله وعلى رسوله، وجعلوا لله ندًّا وصاحبةً وولدًا، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، وهذه الآية لها شأن عظيم ونبأ عجيب، وقد ورد في الحديث: «أن رسول الله ﷺ قام بها ليلة حتى الصباح يرددها»»(٢). وعلى هذا فإن تكرار القراءة للآية مرارًا، وترديدها وسيلة للوقوف على معانيها ومراميها.

وعن محمد بن كعب القرظي قال: «لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح بـ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾، و﴿الْقَارِعَةُ﴾، لا أزيد عليهما وأتردد فيهما وأتفكر - أحب إليّ من أن أهذّ القرآن ليلتي هذًّا، أو قال: أنثره نثرًا»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/١٥٦، والنسائي في الكبرى، ٦/٣٣٩ ح١١١٦١، والحاكم في المستدرك ١/٣٦٧ ح٨٧٩، وابن ماجه في السنن ١/٤٢٩ ح١٣٥٠، وقال النووي: رواه النسائي وابن ماجه بإسناد حسن. خلاصة الأحكام ١/٥٩٥ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٢٣٣-٢٣٤ .

(٣) سبق تخريجه ص ٩٧ .

وعن أبي جمرة قال: قلت لابن عباس: إني سريع القراءة إني أهذُّ القرآن، فقال ابن عباس: «لأن أقرأ سورة البقرة فأرتلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله هذرمة»(١).

وعن عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير قال: «دخلتُ على أسماء وهي تقرأ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الطور: الآية ٢٧] قال: فوقفتْ عليها، فجعلت تستعيذ وتدعو، قال عباد: فذهبت إلى السوق فقضيت حاجتي ثم رجعت وهي فيها بعد تستعيذ وتدعو»(٢).

قال ابن قدامة: «وليعلم القارئ أن ما يقرؤه ليس من كلام بشر، وأن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه ويتدبّر كلامه، فإن التدبر هو المقصود من القراءة، وإن لم يحصل التدبر إلا بترديد الآية فليرددها»(٣).

وقال ابن القيم: «فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكّر حتى إذا مرَّ بآية وهو يحتاج إليها في شفاء قلبه كرّرها، ولو مائة مرة ولو ليلة، فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب، وأدعى إلى حصول الإيمان، وذوْق حلاوة القرآن»(٤).

فترديد الآية المؤثرة في القلب مما يعين على تدبر القرآن والتفكر في معانيه، وهذا الترديد من أبرز صور الوقوف على المعاني، وإن لنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه بن أبي شيبة ٢/ ٢٥ رقم ٦٠٣٧ وإسناده حسن، فيه عبد الوهاب بن يحيى بن عباد، قال ابن حجر: مقبول، تقريب التهذيب ص٣٦٨ .

(٣) مختصر منهاج القاصدين ص٦٠ .

(٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ١/ ١٨٧ .

وقال ابن القيم رحمه الله: «وهذه كانت عادة السلف، يردد أحدهم الآية إلى الصباح»[1].

ومقصود التدبر الأعظم: خشوع القلب وذلّته وسكونه لله تعالى، ولذلك تسمو الروح، وتبكي العين، وتتأثر الجوارح، وتذلّ النفس لخالقها وتخضع لربها، ويورث ذلك خشوع الظاهر «وطريق تحصيله: أن يحضر قلبه الحزن بأن يتأمّل ما فيه من التهديد والوعيد الشديد والمواثيق والعهود، ثم يتأمل تقصيره في ذلك، فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر الخواص؛ فليبكِ على فقد ذلك فإنه من أعظم المصائب»[2].

٣- تحسين الصوت بالقرآن من غير تكلّف:

ينبغي للقارئ المتدبر أن «يعطي القراءة حقها من ترتيلها وتحسينها وتطييبها بالصوت الحسن ما أمكن، من غير تلحين ولا تطريب مؤدٍّ إلى تغيير لفظ القرآن بزيادة أو نقصان فإن ذلك حرام»[3].

وفائدة تحسين الصوت بالقرآن أنه أوقع في النفوس، وأدعى إلى الاستماع والإصغاء إليه، فبه تَنْفُذ ألفاظ القرآن إلى الأسماع ومعانيه إلى القلوب؛ وذلك عون على المقصود[4].

فقد أمر الله تعالى بترتيل القرآن الباعث على تدبره وفهمه في قوله: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن ص٨٨ .

(٢) الإحياء ١/ ٢٧٧بتصرف، والتبيان في آداب حملة القرآن لأبي زكريا محيي الدين يحيى ابن شرف النووي ٦٧٦هـ ص٨٨، وتدبر القرآن للسنيدي ص٦٨ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/ ٣٣٩ بتصرف.

(٤) تدبر القرآن للشيخ/ سلمان السنيدي ص١١٨ بتصرف.

﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل: الآية ٤]، فالترتيل يعني الترسل والتمهل، وهو يشمل مراعاة المقاطع والمبادئ وتمام المعنى، بحيث يكون القارئ متفكرا فيما يقرأ.

وهو من أفضل الوسائل المعينة على التدبر والتأمل، ولهذا يجد الإنسان من نفسه حُب سماع القرآن حين يقرأ به القارئ الماهر ذو الصوت الحسن، وقد وقف النبي ﷺ مرة يستمع لقراءة أبي موسى رضي الله عنه وقال: «**لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود**»[١]، قال أبو موسى: «لو كنت أعلمتني لحبَّرتُ ذلك تحبيرًا»[٢].

فالصوت الحسن له أثرٌ كبيرٌ في تدبر كلام الله تعالى، وقد حثَّ النبيُّ ﷺ على تزيين الصوت عند قراءة القرآن، فقال ﷺ: «**زيِّنوا القرآن بأصواتكم**»[٣]، وقال ﷺ: «**ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن**»[٤].

قال النووي: «أجمع العلماء رضي الله عنهم من السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومَنْ بعدهم من علماء الأمصار أئمةِ المسلمين على استحباب تحسين الصوت

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن ٥٠٤٨، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن رقم ٧٩٣ واللفظ له.

(٢) هذه الزيادة أخرجها البيهقي النسائي في الكبرى ٥/ ٢٣ ح٨٠٥٨ . وذكرها الهيثمي في: «مجمع الزوائد» ٧ / ١٧١، وقال: وفيه خالد بن نافع الأشعري، وهو ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٤/ ٢٨٣ ح١٨٥١٧، والدارمي ٢/ ٥٦٥ ح٣٥٠٠، وأبي داود ح ١٤٦٨، وابن ماجه ح ١٣٤٢، وابن خزيمة في صحيحه ٣/ ٢٤ ح١٥٥١، وابن حبان في صحيحه٣/ ٥٢ ح٧٤٩، والحاكم في المستدرك ١/ ٧٦٢ ح٢١٠١ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ح ١٣٢٠ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ﴾ ٧٥٢٧ .

بالقرآن، وأقوالهم وأفعالهم مشهورةٌ نهاية الشهرة، فنحن مستغنون عن نقل شيء من أفرادها، ودلائل هذا من حديث رسول الله ﷺ مستفيضةٌ عند الخاصة والعامة»[1].

وقال ابن كثير: «قد فهم من هذا أن السلف ﷺ إنما فهموا من التغني بالقرآن: إنما هو تحسين الصوت به وتحزينه، كما قاله الأئمة رحمهم الله... والمراد من تحسين الصوت بالقرآن: تطريبه وتحزينه والتخشع به»[2].

ولذا ينبغي لمن رزقه الله حُسن الصوت بالقرآن أن يعلم أن الله ﷻ قد خصّه بخير عظيم، فليجعل مراده حين يقرأ للناس أن ينتبه أهل الغفلة من غفلتهم، فيرغبوا فيما أمرهم الله ﷻ وينتهوا عما نهاهم، وبهذا ينتفع بحسن صوته وينتفع الناس به.

٤- ربط القرآن بواقعك الذي تعيش فيه:

ربط القرآن بواقعك الذي تعيش فيه، وذلك بالنظر في المواعظ التي يذكرها، والقصص التي يحكيها، وكيف أن الله أهلك أممًا كثيرة لما كذبوا وأعرضوا، وأن هذا المصير ينتظر كل من أعرض عن الله وكفر برسله، مهما كانوا في قوة وعزة.

وذلك بالتفاعل مع كل آية، واستشعار القارئ للقرآن أو المستمع له أنه المقصود بالخطاب، وأن كل خطاب في القرآن مُوجّه إليه، وذلك بالنظر في المواعظ التي يذكرها والقصص التي يحكيها، وكيف أن الله أهلك أممًا كثيرة لما كذبوا وأعرضوا، وأن هذا المصير ينتظر كل من أعرض عن الله وكفر برسله مهما كانوا في قوة وعزة، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما قال المفسرون،

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن، ص ١٠٩ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٦٢- ٦٣ مختصرًا.

وهي قاعدة مهمة؛ حيث إن ما كان سببًا في نزول بعض آيات القرآن الكريم لا يقتصر على الحادثة فقط، إنما تقاس عليها كل الحوادث المشابهة.

قال ابن قدامة: «وينبغي لتالي القرآن أن يعلم أنه المقصود بخطاب القرآن ووعيده، وأن القصص لم يُرد بها السمر بل العبر»(١).

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم خير مثال للمؤمنين، فحينما يقرؤون القرآن كانوا يستعملون فيه ذهنهم وفهمهم، ويدركون أنهم المقصودون بالخطاب، وإن وقفةً مع بعض أحوالهم يتبين بها ما كانوا عليه من حسن التعامل مع هذا القرآن. **فمن ذلك ما جاء:**

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: الآية ٨٢]، شقّ ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ليس كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه:** ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: الآية ١٣]»(٢).

ففهم الصحابة أنهم هم المعنيّون فشكوا إلى النبي ﷺ، فبيّن لهم أن الظلم المراد به في الآية هو الشرك، فهان الأمر عليهم.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فأرعِها سمعك، فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه»(٣). وهذا لكونهم أخذوا القرآن للتلقي والعمل، وأن كل ما فيه خطاب لكل من سمعه خطاب لكل من بلغه، وليس

(١) مختصر منهاج القاصدين ص٦١ .
(٢) أخرجه البخاري، كتاب استتابة المرتدين. . باب ما جاء في المتأولين ٦٩٣٧ .
(٣) تفسير القرآن العظيم٣/ ٤٨٧ .

المخاطب فيه قومًا دون آخرين.

وعن بهز بن حكيم قال: «أمَّنا زرارة بن أوفى في مسجد بني قشير فقرأ المدثر، فلما انتهى إلى هذه الآية ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩﴾ [المدثر: ٨-٩] خرّ ميتًا، قال بهز: وكنت فيمن حمله»[١].

٥- تهيئة الجو المناسب للتدبُّر:

يُعد من أهم عوامل التدبُّر: كوْن المكان والزمان والأعضاء والجوارح مهيئة «فلكي يقوم القرآنُ بعمله في التغيير لا بد من تهيئة الظروف المناسبة لاستقباله، ومن ذلك وجودُ مكان هادئ بعيد عن الضوضاء يتمُّ فيه التلاوة، فالمكان الهادئ يعين على التركيز وحسن الفهم وسرعة التجاوب مع القراءة، ويسمح لنا كذلك بالتعبير عن مشاعرنا إذا ما اسْتُثيرت بالبكاء والدعاء.

ومع وجود المكان الهادئ علينا أن يكون لقاؤنا بالقرآن في وقت النشاط والتركيز لا في وقت التعب والرغبة في النوم، ولا ننسَ الوضوء والسواك...»[٢].

والليل من أفضل الأوقات للتدبر؛ فهو موضع الثناء المتكرر في القرآن على قُرّاء القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ [المزمل: الآية ٦]، وقال سبحانه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب أبواب الصلاة، باب إذا نام عن صلاته بالليل صلى بالنهار ٤٤٥، مستدرك الحاكم ٢/ ٥٥٠ ح٣٨٧١، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) كيف ننتفع بالقرآن د. مجدي الهلالي- بحث منشور بمنتديات «مكتوب» بشبكة المعلومات الدولية، على الرابط التالي:

http//:majdah.maktoob.com

يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩]. ومع مزية الليل الشرعية، فإن هذه الميزة لا تتحقق إلا لمن أخذ ما يكفيه من النوم؛ إذ لا يتصور التعقل لمن كان يغالب عينيه، ولهذا فإن من أحسن الأوقات للقراءة والتدبر وحفظ ما يرغبه الإنسان من العلم هو الوقت الذي يلي النوم الكافي، سواء في الليل أو النهار، فإذا كان هذا في الليل فقد اجتمع في حقه الفضلان[1].

٦- الترتيل والتمهُّل أثناء التلاوة:

من الوسائل المهمّة في التدبر: أن يكون القارئ مترسِّلًا، يقرأ بتؤدة وطمأنينة، لا يجعل همّه آخر السورة، ولا هدفه الكَمَّ والعدد، ومتى سيختم؟ ليبدأ رحلة جديدة بخمتة سريعة أيضًا.

والتعجُّل في التلاوة مخالف للمنهج القويم، بل ويفوّت على القارئ المقصود الأعظم من تلاوته، فالله تعالى يقول: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل: الآية ٤] أي: اقرأه على تمهُّل، فإنه يكون عونًا على فهم القرآن وتدبره[2].

ونكتفي هنا بما أنكره سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه على أحدهم حين أخبره أنه قرأ المفصّل[3] في ليلة، فقال له: «قرأتُ المفصّل البارحة، فقال عبد الله: ونثرًا كنثر الدقل، إني أفصِّل لتفصِّلوه، ولقد علمت النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرأ

---

(١) ينظر: قواعد وضوابط التدبر، بتصرف. ينظر:
http//:www.almoslim.net

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/ ٢٥٠.

(٣) المقصود بالمفَصّل: السور الأخيرة من القرآن الكريم، والتي مبدؤها من سورة الحجرات على الأصح، وسُميت بذلك لكثرة الفصل بين بعضها البعض بالبسملة من أجل قِصَرها، وقيل: لقلة المنسوخ فيها. ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ١/ ١٩٧.

سورتين في ركعة»[١].

٧- التجاوب والتركيز مع الآيات الكريمة:

ونقصد بالتجاوب: معايشة الآيات القرآنية، واستحضار معانيها مع تصور الأثر الذي تحدثه في نفس القارئ والسامعين، فيُسَبِّح تارة، ويتساءل تارة، ويستعيذ أخرى... وإذا مرّ بآية تخاطب الأنبياء علم أنه مخاطب بذلك من باب أولى، وإذا قرأ ثناء الله على أعمال الأنبياء والصالحين علم أنه مخاطب، وأن تأثره واقتداءه مطلوب أيضًا، وإذا مرّ بذمّ الله لأعمال العصاة والظالمين علم أنه مخاطب، وأن تأثره مقصود وحذره مطلوب كذلك.

وما أروع ما ذكره صاحب «الإحياء» في وصف القرآن وقارئه المتدبِّر المستغرق في آياته، حيث يقول: «إن في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس وديابيج ورياضًا وخانات، فإذا دخل القارئ الميادين وقطف من البساتين، ودخل المقاصير، وشهد العرائس، ولبس الديابيج، وتنزّه في الرياض، وسكن غرف الخانات، استغرقه ذلك وشُغل عما سواه فلم يعزُب قلبه، ولم يتفرق فكره...»[٢]. اهـ.

ومن عاش هذه المعاني وتجاوب فكره معها، فأنَّى يغفل قلبه لحظة، أو يشرد عقله هنا أو هناك برهة؟!!

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الأذان باب الجمع بين السورتين في الركعة ٧٧٥، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب ترتيل القراءة، واجتناب الهذ، وهو الإفراط في السرعة، وإباحة سورتين فأكثر في ركعة ٨٢٢ .

(٢) إحياء علوم الدين ١/ ٢٨٢ .

٨- تصوّر حال الدعوة أثناء التلاوة:

من لم يتمكن من العيش مع معاني القرآن وقت نزولها، فلا أقل من أن يتصوّر حال الدعوة عند نزول القرآن، وعندئذٍ ستتغير نظرته وتعامله مع تلك الألفاظ، وسوف تصبح في ذهنه حية متحرّكة، ويتصوّر أثرها على النبي ﷺ والصحابة الكرام، فكم من سُوَرٍ مكيَّة كانت بردًا وسلامًا على قلوب الصحابة وتثبيتًا لأنفسهم وهم يواجهون الجاهلية في قمة طغيانها، وليتصوّر القارئ ما جرى للأنبياء السابقين من كيد وأذًى من خلال قصصهم في القرآن، ولينظر إلى ما يجول في قلوبهم وهم يسمعون وعد الله بالنصر وحسن العاقبة، وهم ما زالوا في مكة لم يشهدوا بدرًا ولا غيرها.

وعليه فمعرفة حال الدعوة عند نزول الآيات، التي هي بمثابة سبب النزول العام، مع الأسباب الخاصة الأخرى - من أعظم الأمور المعينة على التدبر لمقاصد الآيات وحِكَمها وأحكامها.

وفي ذلك يقول السعدي: «النظر في سياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول ﷺ وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله - من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه . . .»[١].

ثالثًا: وسائل منهجية:

❑ إضافة لما سبق فهناك وسائل تخص منهجية التدبر تؤتي ثمارها، ومنها:

١- تدارس القرآن مع جمْع إن أمكن:

مما يثري ملكة التدبر لدى القارئ أن يتدارس القرآن مع غيره من العلماء أو

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٣٠، وتدبر القرآن للسنيدي ص١٠٠ بتصرف.

الأصحاب أو الأهل، فتدارس العلم يفتح الآفاق، ويعين على التدبر، ويصحّح الخطأ، ويقوّم السلوك والفكر.

ومن فاته شيء من السبل السابقة، فلا أقلّ من أن يتدارس القرآن مع أهل العلم والفضل، أو حضور حلق العلم، أو بالسؤال والمناقشة، ومن أبلغ الدلائل على هذه الفضيلة قوله ﷺ: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم؛ إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده...**»[1].

٢- محاولة فهم معاني القرآن:

محاولة فهم معاني القرآن بالرجوع إلى التفاسير التي تهتم ببيان المعنى دون دخول في دقائق اللغة والإعراب أو المسائل الفقهية. وقد ذم الله تعالى من أعرض عن فهم كتابه فقال سبحانه: ﴿فَمَالِ هَٰؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: الآية ٧٨]. فالجهل بمعاني القرآن يصرف عن تدبره وتلذذ القلب بقراءته.

٣- الرجوع إلى كتب التفاسير المعتمدة:

وذلك لمعرفة المعنى الإجمالي للآيات، دون ضرورة الوقوف على التفاصيل والخوض في المُطوّلات والشروح والروايات، فليس من شرط التدبر أن يكون تفصيليًّا لكل كلمة، بل قد يكون التدبر بإدراك المعنى الإجمالي وعقْل الكليات المراد بالآية، وهذا من أعظم أسباب تدبر القرآن الكريم، فإن القرآن كثيرًا ما يذكر في القصص مواطن العبرة، ويترك للفؤاد والعقل مطلق التأمل والتدبر، فلا يكون هم القارئ أن ينتهي من السورة أو الجزء، بل يكون همه الأول فهم المعاني

(١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ٢٦٩٩.

وتدبرها[١].

٤- الوقوف على قواعد النظم القرآني ولو إجمالًا:

من الأهمية بمكان أن يقف المتدبر على شيء من قواعد النظم القرآني، وأساليبه في التعبير عن مختلف القضايا؛ حيث إن الوقوف على شيء من ذلك يجعل القارئ على بيّنة من الأسلوب القرآني، فتندفع عنه الدهشة التي قد تعتريه أثناء تلاوته؛ كالوقوف على أسرار التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والإطناب والإيجاز، والتوكيد... ونحو ذلك مما يعين على التدبر.

وفي أهمية الوقوف على هذا العلم يقول صاحب البرهان: «اعلم أن هذا علم شريف المحل، عظيم المكان، قليل الطلاب، ضعيف الأصحاب. ليست له عشيرة تحميه، ولا ذوو بصيرة تستقصيه... وكيف لا يكون وهو المُطْلِع على أسرار القرآن العظيم، الكافل بإبراز إعجاز النظم المبين، ما أودع من حسن التأليف وبراعة التركيب ... مع سهولة كلمه وجزالتها وعذوبتها وسلاستها، ولا فرق بين ما يرجع الحسن إلى اللفظ أو المعنى...»[٢].

ونحن لا نطالب المتدبر بالإلمام بهذه الخصائص الأسلوبية للقرآن الكريم، والوقوف عليها وقوف المتخصصين «إنما نطلب منه أن يعلم ما يحتاجه من هذه العلوم، ويطلع على الضروري منها للتعامل مع القرآن، ويأخذ مجمل الموضوع بإيجاز يحقق الغاية، ويمكنه أن يكتفي بدراسة كتاب واحد من علوم القرآن، التي عرضت هذه الموضوعات بإيجاز مجمل مفيد...»[٣].

---

(١) تدبر القرآن بين النظرية والتطبيق، د. رقية طاهر جابر العلواني ص ٥٦، بتصرف.

(٢) يراجع: البرهان للزركشي ٢/ ٣٨٢ بتصرف، وتدبر القرآن للشيخ/ سلمان السنيدي ص١٣٢ .

(٣) مفاتيح التعامل مع القرآن د. صلاح الخالدي ص١٤٢بتصرف.

٥- الوقوف على معاني الآيات وموضوعات السورة مجملة:

لا بدّ من معرفة معاني الآيات - على الأقل محلّ التدبر - قبل البدء في التلاوة، وأن ينتقي القارئ تفسيرًا مختصرًا مفيدًا مركّزًا خاليًا من الإسرائيليات والحشو والاستطرادات... وما شاكل ذلك، مما قد يقطع على المتدبّر طريق تدبّره، ويبدأ بمثل هذه التفاسير المختصرة ثم يتدرّج إلى ما فوقها بعد ذلك، كما أرى أن يصطحب القارئ المتدبّر مصحفًا مطبوعًا على هامشه التفسير، كالتفسير الميسر لمجمع الملك فهد.. ونحوه من التفاسير الموجزة والإجمالية؛ لسرعة وسهولة الوصول إلى معنى ما يَعِنُّ له أثناء التلاوة.

كما أنه من الأهمية بمكان أن يستعرض المتدبّر موضوعات السورة وخصائصها ومقاصدها قبل البدء في التلاوة «وسيكون حسنًا لو وضعها في جدول، أو شجرة متَسلسلة تكون أمامه عند التلاوة، وعندها ستتجلّى فوائد عظيمة لم تكن بالحسبان»[(١)].

والمراد بموضوع السورة: أنه ما من سورة من سور القرآن إلا وتدور على موضوع أو أكثر، وقد تلتقي عدة موضوعات، وهو ما يعرف عند المعاصرين بـ«مقصود السورة»، وكلما كانت آيات السورة أقل ظهر للمتأمل موضوعها، وإذا طالت السورة فقد تتعدد موضوعاتها، فعلى المتدبر حينئذٍ أن ينظر في القواسم المشتركة بينها، فقد يخرج بمقصود واحد، وقد لا يظهر له شيء من ذلك، فعليه أن يتوقف، لكن الخوض في هذا الباب لا يتأتى لكل أحد، بل لا بد أن يراعَى فيه أمران:

أحدهما: الاطلاع والفهم لكلام السلف في معاني الآيات؛ ليخرج من مجموع

(١) ليدبروا آياته لمجموعة من العلماء ٢/٣٢٦، ٥/١٠ بتصرف.

ذلك بتصور جيد عن موضوعها.

ثانيهما: البعد عن التكلف في التماس المقصد أو الموضوع، فإن ظهر له المقصد وإلا فليمسك[١].

٦- إثارة التساؤلات حول الآية:

فمن أعظم وسائل التدبر: أن يستثير القارئ الأسئلة حول ما يقرأ، ويقف مع الآيات متسائلًا: لماذا قُدمت هذه السورة على تلك؟ ولماذا تميّزت هذه السورة عن تلك بافتتاحية ما؟ ولماذا تكررت آية بعينها في سورةٍ ما أكثر من مرة؟ ولماذا عُبر هنا بكذا بينما عُبّر في موضع آخر بكذا. . . ويحاول الإجابة عن ذلك بنفسه قبل أن يسأل كتب التفسير أو العلماء عنها، فإن ذلك مما يُثري ملكة التدبّر وينمِّيها.

وقديمًا قالوا: «العلم خزائن ومفتاحه السؤال» وأي علم أوسع وأغزر من القرآن الكريم؟!!

فهذه التساؤلات وغيرها تجعل القرآن الكريم يفتح لنا أسراره الكامنة، وتجعلنا نستجلي ونستنبط من الآيات ما لم نعهده من ذي قبل، ولم نطّلع عليه في كتاب!!

٧- الإلمام بقواعد اللغة العربية وأساليبها البلاغية والبيانية.

لكون القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب ولسانهم، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥]، وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف: الآية ٢]، ولغة العرب من الدين كما ذكر الإمام ابن تيمية في «فتاويه»[٢].

---

(١) ينظر: المراحل الثمان لطالب فهم القرآن، ص ١٠٢ .

(٢) ينظر: فتاوى ابن تيمية ٣/١٤٦ .

٨- العناية بفهم معنى اللفظة ودلالتها اللغوية:

من المعلوم أن القرآن العظيم نزل بلغة العرب، فألفاظه أفصح الألفاظ، وتراكيبه أقوى التراكيب، ولن يؤتي التدبر أُكُلَه ولن تنضج ثمرته حقًّا، إلا إذا اعتنى المتدبر باللغة التي نزل بها هذا القرآن، **وذلك أن المفردة القرآنية تحتاج إلى أمرين:**

الأول: فهم معناها إذا كانت من قبيل الغريب، وهذا يستعان عليه بكتب غريب أو تفسير القرآن.

الثاني: أنَّ لِذَات المفردة، وإن لم تكن غريبة - سرًّا في اختيارها دون ما سواها من الألفاظ التي يُظنُّ لأول وهلة أنها مترادفة من كل وجه. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»(١).

٩- العناية بفهم السياق الذي وردت فيه الآية أو اللفظة:

والمراد بالسياق هنا: الغرض الذي تتابع الكلام لأجله، مدلولًا عليه بلفظ المتكلم، أو حاله، أو أحوال الكلام، أو المتكلم فيه، أو السامع، والناظر في كلام المفسرين يجد أنهم أَوْلَوْا هذا الموضوع غاية العناية؛ لعظيم أثره في بيان المشكل وكشف المتشابه. والمقصود هنا تنبيه المتدبر الذي يروم الوصول إلى المعنى عند اشتباه الأمر عنده أن يعتني بالنظر في السياق.

١٠- معرفة أسباب النزول:

وذلك من خلال دراسة كتب التفسير والمرويات، ذلك لأن كثيرًا من الآيات مرتبطة بوقائع ومناسبات وأحداث شملت في كثير من جوانبها بعض ما تعانيه الأمة

---

(١) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم ١/٥٢٧ .

من تحديات وما تواجهه من مؤامرات.

فمثلًا: خذ الآيات التي تتحدث عن هزيمة المسلمين في معركة أحد: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٣٩]، ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٤٠]، وقوله تعالى عن المنافقين بُعيد غزوة بني المصطلق: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون: الآية ٨].

إذا تأملنا تلك الآيات وفق معرفتنا لأسباب النزول نجد أن القاسم المشترك في عملية الكيد والتآمر هو عنصر النفاق والمنافقين، فهم دائمًا وأبدا ينسجون خيوط المكر ويحيكون العداء للصف المؤمن من خلال المعية والوجود داخل الأمّة، ويعملون فيها خذلانًا وغدرًا وتدميرًا، ولكن الله ﷻ يفضحهم ويحبط مخططهم ويكفي المؤمنين شرهم كما ورد في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ۚ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ [الأحزاب: ١٢ - ١٣]. وقال: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الأحزاب: الآية ١٩].

ومن هنا تبرز أهمية هذه القاعدة في عملية التدبر، وإذا ما طبق قارئ القرآن هذه القواعد الأساسية أدرك القيمة الحقيقية لعلاقته بكتاب ربه وظهرت عليه علامات التدبر، ومِنْ ثَمّ انعكست على سلوكه وحياته، وبالتالي حصل له التغيير المنشود بإذن الله ﷻ، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: الآية ١١].

رابعًا: طرق التدبر المعينة على تجدد المعاني:

نزل القرآن بلسان عربي كما قال ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف: الآية ٢]، ونزوله بهذا اللسان بحاجة إلى تعقُّل وتفهُّم وإعمال ذهن، وذلك أنه نزل بأوسع اللغات تأدية للمعاني، واجتمع فيه من هذه المعاني أقصى ما يمكن أن تتحمله الألفاظ والتراكيب.

قال ابن كثير في «تفسيره» لهذه الآية: «وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس، فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات على أشرف الرسل بسفارة أشرف الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض؛ وابتُدِئَ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان فكمل من كل الوجوه»[(١)].

وقال ابن عاشور في بيان سبب وفرة معاني القرآن: «منها: أن تلك اللغة أوفر اللغات مادة، وأقلها حروفًا، وأفصحها لهجة، وأكثرها تصرفًا في الدلالة على أغراض المتكلم، وأوفرها ألفاظًا، وجعله جامعًا لأكثر ما يمكن أن تتحمله اللغة العربية في نظم تراكيبها من المعاني، في أقل ما يسمح به نظم تلك اللغة، فكان قوام أساليبه جاريًا على أسلوب الإيجاز؛ فلذلك كثر فيه ما لم يكثر مثله في كلام بلغاء العرب»[(٢)].

فنزول القرآن بلسان العرب من شأنه أن تتسم ألفاظه بالمرونة والغناء اللذين يساعدان على تجدد المعنى؛ بحيث ترى للكلمة الواحدة عدة معانٍ لا تنكرها اللغة بحسب الوضع، ولا يرفضها الدين من حيث العمل والاعتقاد، وتكون هذه المعاني بحاجة إلى تفكر وتدبر وإعمال ذهن.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٣٦٥ .

(٢) التحرير والتنوير ١/ ٩٨ .

ويقول الزرقاني مبيّنًا عظمة القرآن في تجدد معانيه: «نلاحظ في كثير من ألفاظ القرآن أنها اختيرت اختيارا يتجلى فيه وجه الإعجاز من هذا الاختيار، وذلك في الألفاظ التي نمر بها على القرون والأجيال منذ نزل القرآن إلى اليوم . . . ولو استبدلت هذه الألفاظ بغيرها لم يصلح القرآن لخطاب الناس كافة، وكان ذلك قدحًا في أنه كتاب الدين العام الخالد ودستور البشرية في كل عصر ومصر، فسبحان من أنزل هذا القرآن مشبعًا لحاجات الجميع، وافيا تجارب الجميع، ملائمًا لأذواق الجميع، متفقا ومعارف الجميع، مما يدل دلالة واضحة على أنه كلام الله وحده أنزله بعلمه»[١].

وإن كتابًا يحتمل لفظه وسياقه وتراكيبه من المعاني ما لا يحتمله أي كتاب آخر، وتتعدد معانيه بحسب ما يلابس اللفظ من تغيّر في القراءة أو الوقف، أو تتعدد المعاني في اللفظ أو السياق؛ فإن تجدد المعاني فيه نتيجة حتمية وخاصية من خصائصه.

لكن التفطن لهذه المعاني والوقوف على ذلكم الثراء لا يدركه إلا المتدبّرون المتفكّرون، والعاكفون على فهم كلام رب العالمين، حتى يُخرجوا للأمة ما ينفعهم في دينهم ودنياهم ويقودوا الأمة بهذا الكتاب إلى عزِّ الإسلام وفلاح المسلمين، ولا يكون هذا - بعد توفيق الله تعالى - إلا بالتدبر، وهذا ما حدا بابن عاشور أن يقرر ذلك فيقول: «**وإنك لتمر بالآية الواحدة فتتأملها وتتدبرها فتنهال عليك معانٍ كثيرة يسمح بها التركيب على اختلاف الاعتبارات في أساليب الاستعمال العربي**، وقد تتكاثر عليك فلا تملك من كثرتها في حصر، ولا تجعل الحمل على بعضها منافيًا للحمل على البعض الآخر إن كان التركيب سمحًا بذلك، وقد أراد الله تعالى أن يكون القرآن كتابًا مخاطبًا به كل الأمم في جميع العصور،

---

(١) مناهل العرفان ٢/ ٣٠٨ باختصار.

لذلك جعله بلغة هي أفصح كلام بين لغات البشر، وهي اللغة العربية»[١].

فتجدد المعاني حينئذٍ نتيجة من نتائج تدبر القرآن في التفكر وإعمال فكر في تفهم المعاني للانتفاع به، سواء كان النفع ذاتيًا للمتدبر أو متعديًا للأمة. **وله طرق منها:**

١ - الاستفادة من المعاني والأحداث الواردة في قصص القرآن وأمثاله:

إن القرآن الكريم نزل بقصص وأخبار وأمثال كثيرة فصّلت وفرّقت في شتى السور، وكثيرًا ما يأتي التعقيب بعد هذه القصص والأمثال في القرآن بتجديد التأمل وإعادة والنظر وإعمال الفكر، ولا شك أن كثرة التأمل والنظر في هذه القصص تنتج عنها معانٍ جديدة تناسب كل عصر ومصر، وتكون مجالًا خصبًا ليكون هذا القرآن واقعًا معاشًا في حياة الناس.

والآيات الدالة على أن هذه الأخبار والقصص قصد منها تجدد النظر والتأمل - كثيرة، ومنها: قوله تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٦] قال ابن عاشور: «اقصص هذه القصة وغيرها، وهذا تذييل للقصة الممثل بها يشملها وغيرها من القصص التي في القرآن، فإن في القصص تفكرًا وموعظة فيرجى منه تفكرهم وموعظتهم؛ لأن للأمثال واستحضار النظائر شأنًا عظيمًا في اهتداء النفوس بها وتقريب الأحوال الخفية إلى النفوس الذاهلة أو المتغافلة؛ لما في التنظير بالقصة المخصوصة من تذكر مشاهدة الحالة بالحواس، بخلاف التذكير المجرد عن التنظير بالشيء المحسوس»[٢].

وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف: الآية ٣] فمجيء هذه القصص في القرآن

(١) التحرير والتنوير ١/ ٩٨ .

(٢) التحرير والتنوير ٩/ ١٧٩ .

أكسبها حسنًا غدت به أحسن القصص؛ ألا ترى كيف طوى القرآن كثيرًا من الأنساب والأماكن والمواقع المقصوص عنهم، وطوى كثيرًا من الأحداث التي تكون لقصد التفكّه فتنزه عن ذكرها، وكان ما ذكره الله من هذه القصص مشتملًا على الحِكم ومواضع العبر، فأصبحت قصصه برهانًا وتبيانًا في الاتعاظ والاعتبار، وهذا يقتضي تجدد معانيه والاستغناء به عما عداه.

وقد أحسن ابن كثير حين ساق في تفسيره لهذه الآية أحاديث الاستغناء بالقرآن؛ إشارة منه إلى أن هذه القصص كافية في الاهتداء لما يستنبط منها من المعاني التي تناسب الناس.

«وإن في تنوع ذكر قصص وأخبار الأمم في القرآن فائدة عظيمة وهي: أن ينشأ في المسلمين همة السعي إلى سيادة العالم كما ساده أمم من قبلهم؛ ليخرجوا من الخمول الذي كانوا عليه»[١].

وهذا لا يكون إلا بتجديد معاني القرآن في الحياة ليسلكوا طريق النصر والتمكين، وقد كان هذا المعنى ماثلًا لدى الصحابة رضوان الله عليهم حين استحضروا حادثة بني إسرائيل مع موسى عند دخول الأرض المقدسة، حين استشارهم رسول الله ﷺ في غزوة بدر، فما كان من المقداد بن عمرو رضي الله عنه إلا أن قال: امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه حتى أشرق وجه رسول الله ﷺ ودعا له[٢].

ولا شك أن في ذلك إقرارًا من رسول الله ﷺ بهذا الاستشهاد؛ ولذا قال شيخ

(١) التحرير والتنوير ١/ ٦٧ بتصرف يسير.
(٢) ينظر: سيرة ابن هشام ١/ ٦١٥ .

الإسلام ابن تيمية: «وإنما قص الله علينا قصص من قبلنا من الأمم لتكون عبرة لنا، فنشبه حالنا بحالهم ونقيس أواخر الأمم بأوائلها، فيكون للمؤمن من المتأخرين شبه بما كان للمؤمن من المتقدمين، ويكون للكافر والمنافق من المتأخرين شبه بما كان للكافر والمنافق من المتقدمين، كما قال تعالى لما قص قصة يوسف مفصلة وأجمل قصص الأنبياء ثم قال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ [يوسف: الآية ١١١] أي: هذه القصص المذكورة في الكتاب ليست بمَنزِلة ما يُفترَى من القصص المكذوبة؛ كنحو ما يذكر في الحروب من السير المكذوبة»[(١)].

ولقد طبّق ابن تيمية ذلك في زمنه، فاستحضر من المعاني التي ذكرها الله في خبره عن غزوة الأحزاب ما يطابق واقعهم حين نزل التتار بهم فقال: «فإذا قرأ الإنسان سورة الأحزاب وعرف من المنقولات في الحديث والتفسير والفقه والمغازي كيف كانت صفة الواقعة التي نزل بها القرآن، ثم اعتبر هذه الحادثة بتلك وجد مصداق ما ذكرنا»[(٢)].

ولقد فسّر ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ آيات غزوة الأحزاب على أحوال الناس وأقوالهم في عصره ثم قال: «والتجربة تدل على مثل ما دل عليه القرآن وهكذا سنة الله قديمًا وحديثًا»[(٣)].

❑ ٢- الاستفادة من عموميات ألفاظ القرآن في دخول كثير من واقع حياة الناس تحته:

اتسم الأسلوب القرآني بالعموم الذي يتناول العموم في الأفراد والأزمان

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٤٢٥ .

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٤٤٠ .

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى ٢٨/ ٤٤٤ - ٤٦٧ .

والأقطار، كما أن في جمله وألفاظه قيودًا صالحة لأن تكون متعلقة بأكثر من جهة، فينتج عن ذلك تعدد المعاني.

وهذه الطريقة أشار لها ابن تيمية بقوله: «فإن نصوص الكتاب والسنة اللذين هما دعوة محمد ﷺ يتناولان عموم الخلق بالعموم اللفظي والمعنوي أو بالعموم المعنوي، وعهود الله في كتابه وسنة رسوله تنال آخر هذه الأمة كما نالت أولها»(١).

وقال ابن عاشور: «ومن أساليب القرآن المنفرد بها التي أغفل المفسرون اعتبارها، أنه يرد فيه استعمال اللفظ المشترك في معنيين أو معانٍ إذا صلح المقام بحسب اللغة العربية لإرادة ما يصلح منها، واستعمال اللفظ في معناه الحقيقي والمجازي إذا صلح المقام لإرادتهما، وبذلك تكثر معاني الكلام»(٢).

ومن عجيب فهم الصحابة لإعمال العموم في استنتاج معانٍ جديدة، ما فهمه ابن عباس رضي الله عنه من قوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: الآية ٣٣]، فقد فهم من هذه الآية معنى في الولايات والسياسات، وأن معاوية رضي الله عنه ستؤول إليه الخلافة وقد كان(٣)، ولم يمنعه ورود البيان النبوي أن يفهم من عموم اللفظ هذا المعنى.

وقد بيّن ابن كثير كيف فهم ابن عباس رضي الله عنه هذا المعنى وأنه لا يخالف المعنى المتبادر الظاهر، فقال: «﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ أي: سلطة على القاتل، فإنه بالخيار فيه: إن شاء قتله قودًا، وإن شاء عفا عنه على الدية، وإن شاء

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٤٢٥ .

(٢) التحرير والتنوير ١/ ١٢٣ .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٢٨٤، وابن كثير ٢/ ٣٨١ . والطبراني في الكبير ١٠/ ٢٦٣ ح ١٠٦١٣، والبيهقي في الشعب ٨/ ١٠٧ ح ١٦٠٨٠ .

عفا عنه مجانًا كما ثبتت السنة بذلك، وقد أخذ الإمام الحبر ابن عباس من عموم هذه الآية الكريمة ولاية معاوية السلطنة وأنه سيملك؛ لأنه كان ولي عثمان، وقد قتل عثمان مظلومًا رضي الله عنه، وكان معاوية يطالب عليًّا رضي الله عنه أن يسلمه قتلته حتى يقتص منهم لأنه أموي. وكان علي رضي الله عنه يستمهله في الأمر حتى يتمكن ويفعل ذلك، ويطلب علي من معاوية أن يسلمه الشام فيأبى معاوية ذلك حتى يسلمه القتلة، وأبى أن يبايع عليًّا هو وأهل الشام، ثم مع المطاولة تمكن معاوية وصار الأمر إليه، كما تفاءل ابن عباس واستنبط من هذه الآية الكريمة، وهذا من الأمر العجب»[1].

ومما يدخل في هذه الطريقة: ما يكون في القرآن من تعليق تحقق أمرٍ ما أو انتفائه بتحقق أوصاف أو أسباب أو مسببات، فكل من حقق هذا الوصف في أي زمن من الأزمان فهو داخل في عموم هذه الأوصاف، وقل مثل ذلك في تحقق الأسباب أو انتفائها، ولك أن تتأمل في أوصاف المنافقين الذين نزل القرآن فاضحًا لأفعالهم، كيف تتجدد معاني هذه الآيات وتنطبق على أي مجتمع يظهر فيه النفاق في القديم والحديث.

○ **ومما يدخل في هذا العموم كذلك:** السنن الإلهية التي ذكرها الله في كتابه، وما كونها سنة وعادة إلا لأن لفظها يتناول عموم الزمان والأوقات، فعندما يكثر المدّعون للخير والإصلاح في الأوطان والمجتمعات ويختلط الحق بالباطل، يجري الله من الأحداث والوقائع التي تتميّز فيها الصفوف ما يصلح أن يكون تفسيرًا لقوله: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: الآية ١٧٩].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/ ٧٣ .

❑ ٣- استحضار تنوع أفهام المجتمعات وتعاقب العصور في الخطاب القرآني :

إن القرآن نزل بأسلوب خاطب فيه العصور بما يفهمون مع احتوائه على خبر القرون المتطاولة حتى آخر الزمان، وهذا من آثار الإيمان باسم الله «المحيط».

يقول الزرقاني: «ولأن الله عز سلطانه هو القادر وحده على تضمين كلامه كل المناسبات التي اقتضتها تلك الأحوال الكثيرة التي لم يحط ولن يحيط بها سواه، ومن الذي يستطيع أن يحيط بكل أحوال الخلق، وفيها الخفي الذي لا يعلمه إلا من يعلم السر وأخفى، ثم من ذا الذي يستطيع أن يحيط بكل أحوال الخلق وهم أجيال متعددة: منهم من لم يخلقوا وقت نزول القرآن، ومنهم من لم يُعرفوا لنا إلى الآن بعد بضعة عشر قرنًا من نزول هذا القرآن، وأنت خبير بأن القرآن هو كتاب الساعة الذي يخاطب الأجيال كافة حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فلا غرو أن يضمنه منزلُه كلَّ ما تحتاج إليه الأمم على اختلاف أجيالها من المناسبات الملائمة لأحوالهم، وليس ذلك في قدرة أحد إلا العليم بأسرار الخلق وخفيات السموات والأرض، ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفرقان: الآية ٦] ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾ [طه: ٤ - ٦]»[(١)].

فمنذ نزول القرآن والمخاطبون بالقرآن ينتقلون من حال إلى حال، وسخّر الله لهم من الآيات والدلائل والعلوم ما يكون معينًا لهم على فهم القرآن واستخراج كنوزه ومعانيه، مما لا ينافي المعنى الظاهر من الآية مما قرره سلف هذه الأمة، بل قد يكون بينه وبين المعنى الأصلي وجه مناسبة: إما على سبيل التفصيل والتقسيم مما يناسب أهل كل زمان، وإما على سبيل إدراك كيفيات بعض الحقائق، وإما على

---

(١) مناهل العرفان ٢/٣٠٨ .

سبيل الاستدلال بالمعنى القرآني على ما يظهر من مسائل العلم الحديث[(١)].

فالتوسع في بيان معاني بعض الآيات بما يمكن بيانه من علوم الهيئة والفلك ونحوها قد يزيد في بيان المعنى واتضاحه، وهذا فيه مزيد اتعاظ واعتبار بالاطلاع على تفاصيل أخرى إضافة إلى الأمور المشاهدة، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾﴾ [الرحمن: الآية ١٩] وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾ [ق: الآية ٦].

وقد ألف الألوسي في هذا كتابه: [ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة بالبرهان]، فتناول القرآن لما يناسب تنوّع أفهام الناس في مختلف العصور من أسباب هذا التجدد والثراء؛ شريطة أن يكون هذا المعنى ضمن ما تسمح به تراكيب الكلام ويحتمله المعنى، ولا يمنع من ذلك مانع صريح أو غالب من دلالة شرعية أو لغوية أو توقيفية.

❑ ٤- الجمع بين النصوص في استنتاج معانٍ جديدة:

إن القرآن الكريم بما اختص به من دقة وجودة في التناسب والسبك مع تفاوت أحوال وأوقات النزول، يسمح بجمع نصين أو أكثر من نصوصه التي ينتج عنها معنى جديد، وذلك أعظم برهان في تصديق القرآن بعضه لبعض؛ ولذا فإنه إن صحت طريقة استخراج المعاني فلا شك حينئذ أن المعنى المستنبط صحيح ومُراد، والله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: الآية ٨٢] فهذه الآية دعوة لفتح باب الاستنباط بجميع طرقه، وكل معنى صحيح مستنبط من القرآن، سواء من دلالة آية مفردة أو من جمع نصيْن فأكثر فستجده في تمام التناسب ولن تجد فيه أي اختلاف، وهذا أحد أسباب تجدد المعاني، وقد عدّ ابن

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١/ ٤٣.

القيم هذه الطريقة في استخراج المعاني من ألطف طرق فهم النصوص وأدقها[١].

وقال في معرض حديثه عن طرق فهم النصوص وتفاوت الناس في ذلك: «وأخص من هذا وألطف: ضمّه إلى نص آخر متعلق به، فيفهم من اقترانه به قدرٌ زائدٌ على ذلك اللفظ بمفرده، وهذا باب عجيب من فهم القرآن لا يتنبه له إلا النادر من أهل العلم، فإن الذهن قد لا يشعر بارتباط هذا بهذا وتعلقه به»[٢]، وبهذه الطريقة في جمع النصوص فهم ابن عباس رضي الله عنهما أقل مدة الحمل.

❑ ٥- الجمع بين معنى قراءتين أو أكثر في استنتاج معانٍ جديدة:

فكما أن الجمع بين نصين أو أكثر طريقة من طرق تدبر القرآن، فكذلك ما يكون في تنوع المعنى الناتج عن اختلاف القراءة، بجمع حاصل المعنى من القراءتين أو القراءات المختلفة في اللفظ، وهذا لون جميل ومظهر بديع من مظاهر تجدد المعاني، الأمر الذي يتطلب معه الكشف عن الروابط والتناسب بين هذه الألفاظ.

كما أن هذه الطريقة تعد مسلكًا من مسالك التناسب قل التطرق إليه في باب المناسبات، فإذا كان التناسب بين آيتين أو بين أوّل السورة وخاتمتهما من بديع أسلوب القرآن، فما ظنّك بالتناسب في اللفظ الواحد الذي اختلف فيه نوع من أنواع التغاير، لا شك أنه آكد وأقوى.

وذلك أن المتدبر يجتهد في الربط بين القراءتين ومعرفة وجه المناسبة بينهما، كما يجتهد في بيان وجه مناسبة كل قراءة مع سياق الآية.

خذ مثلًا على ذلك: قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام: الآية ٥٧] فقد ورد فيها قراءتان: ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ [الأنعام: الآية ٥٧] لنافع وأبي جعفر

---

(١) ينظر: إعلام الموقعين ١/ ٦٦ .

(٢) المصدر السابق ١/ ٢٦٧ .

وابن كثير وعاصم، و﴿يقْضِ الحق﴾ لباقي القراء[1]، ومعناها: أنه جل وعلا يقضي القضاء الحق، ولما كان القضاء هو الفصل في الحكم والقطع به ذيّل الآية بقوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام: الآية ٥٧]. أما القراءة الأخرى ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ فهي من قصّ الحديث وتتبّع الأثر، وهذا القص متناسب مع تذييل الآية بقوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾﴾، وهكذا تنوع المعنيان وتغايرا في دلالتهما على فعل الله جل وعلا دون تعارض بينهما، فإذا ما تطلبنا المناسبة بين القراءتين وحاصل المعنيين ظهر لنا معنًى آخر وهو: أن الله تعالى يبيّن لنا منهجًا ربانيًّا في قضائه جل وعلا، وكيف أنه قص لنا حال الشاكرين والمجرمين وفصّله وهو في غنى عن ذلك جل وعلا فهو أحكم الحاكمين، ولكن حتى يستبين الطريق وتتضح الحجة، ثم يكون قضاؤه تبارك وتعالى بتعجيل العذاب أو إمهاله ولا معقِّب لحكمه تبارك وتعالى.

وهكذا القاضي لا يستطيع أن يفصل في القضية حتى يقص الأثر ويتتبعه ويستفصل منه. فإذا استبان له فصَل في القضية وحكم بما ظهر له، فهذا التناسب بين القراءتين وجه من أوجه تجدد المعاني وثرائها.

❏ ٦- التدبر لما تضمنه أسلوب القرآن من دلالات إضافية:

فكما أن لدلالات الألفاظ أثرًا في تجدد المعاني، فكذلك الدلالات الإضافية مما يفهم من إشارات الآية وفحوى الخطاب وعادات القرآن - باب عظيم في استخراج المعاني يهبه الله من يشاء من عباده؛ كما قال ابن القيم: «دلالة النصوص نوعان: حقيقية وإضافية، فالحقيقية تابعة لقصد المتكلم وإرادته، وهذه الدلالة لا تختلف، والإضافية تابعة لفهم السامع وإدراكه وجودة فكره وقريحته وصفاء ذهنه ومعرفته بالألفاظ ومراتبها، وهذه الدلالة تختلف اختلافًا متباينًا بحسب تباين

---

(١) ينظر: النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٥٨ .

السامعين في ذلك»[١].

فما فهمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه من دنو أجل النبي ﷺ من قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: الآية ٣] حين بكى؛ فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: «أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذ كمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص»[٢]، ففهمه رضي الله عنه لم يكن في الآية ما يدل عليه دلالة لفظية إلا أنه فهم ذلك من عادة الله تعالى في نظام الكون والحياة.

ومن ذلك: ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: «إنه ممن قد علمتم» قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم قال: وما رأيته دعاني يومئذٍ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢...﴾ [النصر] حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري أو لم يقل بعضهم شيئًا، فقال لي: يا بن عباس، أكذاك تقول؟ قلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ فتح مكة، فذاك علامة أجلك: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾، قال عمر: «ما أعلم منها إلا ما تعلم»[٣].

فما ذكره الصحابة رضي الله عنهم موافق لما عليه ظاهر الآية، ولكن أراد عمر بن الخطاب أن يريهم دقة فهم ابن عباس رضي الله عنهما وما وهبه الله من النظر في المعاني، وقد علق ابن حجر على هذا الحديث بقوله: «وفيه جواز تأويل القرآن بما يفهم من الإشارات،

---

(١) إعلام الموقعين ١/ ٢٦٤ .

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان ٨/ ٨١ .

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي ح ٤٢٩٤ .

وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه في العلم»[1].

فهذه الطريقة من طرق تجدد المعاني هبة من الله تعالى يهبها من يشاء من عباده. ومن ذلك: ما جاء عن أبي جحيفة، قال: قلت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن؟ قال: «لا، إلا كتاب الله، أو فهمًا أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة، قال: قلت: فما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر»[2].

وتأمُّل هذا المعنى في أقوال المفسرين يعين على فهم مرامي كلامهم، وحمله على ما يمكن أن يحتمل في فهم مراد الله من ذلك، وقد طبق ذلك ابن القيم عند تعليقه على قول عكرمة ومجاهد في قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢﴾ [العاديات: ١ - ٢] حيث قال عكرمة: «هي الألسنة تُوري نار العداوة بعظيم ما نتكلم به»[3]، وقال مجاهد: «هي أفكار الرجال تُوري نار المكر والخديعة في الحرب»[4] حيث ضعّف القولين من جهة دلالتهما على المعنى الظاهر ثم عقّب وقال: «وهذه الأقوال إن أريد أن اللفظ دلّ عليها وأنها هي المراد فغلط، وإن أريد أنها أخذت من طريق الإشارة والقياس فأمرها قريب، وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول: تفسير على اللفظ، وهو الذي ينحوا إليه المتأخرون، وتفسير على المعنى، وهو الذي يذكره السلف، وتفسير على الإشارة والقياس، وهو الذي ينحوا إليه كثير من الصوفية وغيرهم.

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٨/ ٧٣٦ .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم ح ١١١ .

(٣) تفسير الرازي ٢٣/ ٣٦٠ .

(٤) تفسير الرازي ٢٣/ ٣٦٠ .

وهذا لا بأس به بأربعة شروط:

- أن لا يناقض معنى الآية.

- وأن يكون معنى صحيحًا في نفسه.

- وأن يكون في اللفظ إشعار به.

- وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم.

فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطًا حسنًا»[١].

وممن دعا إلى إعمال هذه الطريقة في استنباط المعاني ابن سعدي، وهو يشير إلى طريقة تدبر القرآن حيث قال: «أن لا يكون المتدبر مقتصرًا على مجرد معنى اللفظ بمفرده، بل ينبغي له أن يتدبر معنى اللفظ، فإذا فهمه فهمًا صحيحًا على وجهه، نظر بعقله إلى ذلك الأمر والطرق الموصلة إليه وما لا يتم إلا به وما يتوقف عليه، وجزم بأن الله أراده، كما يجزم أنه أراد المعنى الخاص الدال عليه اللفظ.

والذي يوجب له الجزم بأن الله أراده أمران:

أحدهما: معرفته وجزمه بأنه من توابع المعنى والمتوقف عليه.

والثاني: علمه بأن الله بكل شيء عليم، وأن الله أمر عباده بالتدبر والتفكر في كتابه.

وقد علم تعالى ما يلزم من تلك المعاني، وهو المخبر بأن كتابه هدى ونور وتبيان لكل شيء وأنه أفصح الكلام وأجله إيضاحًا، فبذلك يحصل للعبد من العلم العظيم والخير الكثير بحسب ما وفقه الله له، وقد يخفى في بعض الآيات مأخذه على غير المتأمل صحيح الفكرة، ونسأله تعالى أن يفتح علينا من خزائن رحمته ما

---

(١) التبيان في أقسام القرآن ص ٧٨ .

يكون سببًا لصلاح أحوالنا وأحوال المسلمين، فليس لنا إلا التعلق بكرمه والتوسل بإحسانه، الذي لا نزال نتقلب فيه في كل الآنات وفي جميع اللحظات، ونسأله من فضله: أن يقينا شر أنفسنا المانع والمعوق لوصول رحمته؛ إنه الكريم الوهاب الذي تفضل بالأسباب ومسبباتها»[(١)].

هذه بعض الطرق الموصلة إلى تجدد معاني القرآن، وكتاب الله مليء بما نحتاجه وما يحتاجه العالم أجمع من معان ودلالات وإشارات، ولذلك دعا الخلق جميعًا إلى تدبره واستخراج معانيه، فدعا الخلق جميعًا مؤمنهم وكافرهم لتدبر كتابه فقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: الآية ٢٩] وفي قراءة: ﴿ليتدبروا آياته﴾، ودعا أولو العلم وأهل الفهم والنظر بقوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: الآية ٨٣].

وما دام كتاب الله يتلى، فهو الحجة البالغة التي يجب أن ننهل منها المعاني والمعارف والعلوم التي تصلح الفرد والمجتمع في الدارين، فالله تعالى يقول: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: الآية ٥١].

خامسًا: تفعيل وسائل التدبر الإدراكية في النفس:

١- إعمال السمع في الإنصات للقرآن:

وقد ذُكر السمع مُقدّمًا على الحواس كلها في أغلب المواضع في القرآن لأهميته.

قال ابن عاشور: «وفي تقديم السمع على البصر في مواقعه من القرآن دليلٌ على

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٧٣٢ .

أنه أفضل فائدة لصاحبه من البصر؛ فإن التقديم مؤذن بأهمية المُقدّم؛ وذلك لأن السمع آلة لتلقي المعارف التي بها كمال العقل، وهو وسيلة بلوغ دعوة الأنبياء إلى أفهام الأمم على وجه أكمل من بلوغها بواسطة البصر لو فقد السمع، ولأن السمع ترد إليه الأصوات المسموعة من الجهات الست بدون توجه، بخلاف البصر فإنه يحتاج إلى التوجه بالالتفات إلى الجهات غير المقابلة»[(١)].

ولأجل ذلك حثَّ الله تعالى على إعمال السمع فقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٤]، قال الطبري: «أصغوا له سمعكم لتتفهموا آياته وتعتبروا بمواعظه، وأنصتوا إليه لتعقلوه وتتدبروه، ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه»[(٢)].

ولقد أثنى الله على الجن عند استماعهم للقرآن وتأدبهم في مجلس الاستماع، فقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن: ١ - ٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأحقاف: الآية ٢٩] فقد استمعوا صامتين منتبهين حتى النهاية، فلما انتهت التلاوة لم يلبثوا أن سارعوا إلى قومهم، وقد حملت نفوسهم ومشاعرهم منه ما لا تطيق السكوت عليه أو التلكؤ في إبلاغه والإنذار به.

قال الآجري: «وقد أخبرنا الله عن الجن في حُسن استماعهم للقرآن واستجابتهم لما ندبهم إليه، ثم رجعوا إلى قومهم، فوعظوهم بما سمعوا من القرآن بأحسن ما يكون من الموعظة»[(٣)].

---

(١) التحرير والتنوير ١/ ٢٥٨ .

(٢) جامع البيان ١٣/ ٣٤٤-٣٤٥ .

(٣) أخلاق حملة القرآن ١/ ٢ .

ولقد أحب النبي ﷺ أن يستمع للقرآن من غيره، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «**اقرأ علي**»، قلت: آقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «**فإني أحب أن أسمعه من غيري**»، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: الآية ٤١]، قال: «**أمسك**»، فإذا عيناه تذرفان[1].

فتأثر النبي ﷺ بذلك، وما يكون عليه الحال يوم القيامة من هول المطلع، وشدة الأمر؛ إذ يؤتى بالأنبياء شهداء على أممهم، ويؤتى به ﷺ يوم القيامة شهيدًا عليهم جميعًا.

ولقد تأثر بعض الأُسارى عند سماعهم للقرآن فأسلموا، فعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه، وكان في أسارى بدر، قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور: ٣٥ - ٣٧] كاد قلبي أن يطير»[2]. قال الخطابي: «كأنه انزعج عند سماع هذه الآية؛ لفهمه معناها ومعرفته بما تضمنته، ففهم الحجة فاستدركها بلطيف طبعه»[3].

وقد صنف ابن القيم الناس عند سماع القرآن إلى ثلاثة أنواع، فقال: «**رجلٌ قلبُه ميتٌ**: فذلك الذي لا قلبَ له، فهذا ليست الآية ذكرى في حقه.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب التفسير باب ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: الآية ٤١] ح ٤٥٨٣، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر ح ٨٠٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، سورة الطور ح ٤٨٥٤.

(٣) فتح الباري لابن حجر ٨/ ٦٠٣.

الثاني: رجلٌ له قلب حيٌّ مستعدٌّ، لكنه غير مستمعٍ للآيات المتلُوةِ، التي يخبر بها الله عن الآيات المشهودة: إما لعدم وُرُودها، أو لوصولها إليه وقلبه مشغول عنها بغيرها، فهو غائب القلب ليس حاضرًا، فهذا أيضًا لا تحصُلُ له الذكرى مع استعداده ووجود قلبه.

والثالث: رجلٌ حيُّ القلب مستعدٌّ، تُليت عليه الآيات، فأصغى بسمعه وألقى السمع، وأحضر قلبه، ولم يشغلْه بغير فهم ما يسمعُهُ، فهو شاهدُ القلب، مُلْقٍ السَّمع، فهذا القِسمُ هو الذي ينتفع بالآيات المتلوَّة والمشهودة.

فالأول: بمنزلة الأعمى الذي لا يُبصر.

والثاني: بمنزلة البصير الطَّامح ببصره إلى غير جهة المنظور إليه، فكلاهما لا يراه.

والثالث: بمنزلة البصير الذي قد حدَّق إلى جهة المنظور، وأتبعه بصره، وقابله على توسُّطٍ من البُعد والقربِ، فهذا هو الذي يراه»[1].

❐ ٢- إعمال البصر في تدبر القرآن:

كلمة «بصر» تطلق على الجارحة الناظرة[2]، كما في قوله تعالى: ﴿كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ [النحل: الآية ٧٧]، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة: الآية ١٢]، أما قوة القلب المدركة فيقال لها: بصيرة[3]؛ نحو قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق: الآية ٢٢]، فالبصيرة تختلف عن

---

(١) مدارج السالكين ٩/٣٥٣-٣٥٤ .

(٢) تاج العروس ١٤/٢٤٥ .

(٣) المصدر السابق.

البصر، فهي قوة القلب المدركة، وجمعها بصائر، أما البصر فجمعه أبصار[١].

وكلمة «نظر» إذا أُطلقت يراد بها تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد بها التأمل والتفحص لإدراك الشيء[٢]، ومنها قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٨٥]، والنظر يشمل: النظر في آيات الله المشهودة، والنظر في آياته المسطورة، والنظر في سننه في الأمم السابقة.

أما «رأى» ومشتقاتها فتعني: النظر بالعين والقلب وإدراك المرئي، والهدف من ذلك التدبر والاعتبار، ولقد وضع القرآن الكريم أُسسًا وأطوارًا مختلفة للإدراك البصري الصحيح، يبدأ بنظرة كلية إجمالية، ثم بنظرة تحليلية للموقف، وإدراك العناصر المكوِّنة له، وقد تضمّنت آيات سورة الملك تلك الأسس العملية في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾ [الملك: الآية ٣][٣].

قال ابن القيم: «لا ينتفع الناظر بمجرد رؤية العين حتى ينتقل منه إلى نظر القلب في حكمة ذلك، وبديع صنعه والاستدلال به على خالقه وباريه، وذلك هو الفكر بعينه»[٤].

❑ ٣- اقتران القلب بحاستي السمع والبصر:

قال ابن القيم: «ارتباط القلب بحاستي السمع والبصر أشد من ارتباطه بغيرهما، ووصول الغذاء منهما إليه أكمل وأقوى من سائر الحواس، وانفعاله عنهما أشد من

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) تدبر القرآن بين النظرية والتطبيق د. رقية العلواني ص ٤٦ .

(٤) مفتاح دار السعادة ١/ ٢١٣ .

انفعاله عن غيرهما، ولهذا تجد في القرآن اقترانه بهما أكثر من اقترانه بغيرهما، بل لا يكاد يقرن إلا بهما أو بأحدهما»[١]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ۝١٧٩﴾ [الأعراف: الآية ١٧٩]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٨﴾ [النحل: الآية ٧٨].

وسر الاقتران: أن هذه الثلاثة هي طرق العلم، وهي: السمع، والبصر، والعقل.

قال الشيخ السعدي: «خص هذه الأعضاء الثلاثة لشرفها وفضلها، ولأنها مفتاح لكل علم، فلا يصل للعبد علم إلا من أحد هذه الأبواب الثلاثة، وإلا فسائر الأعضاء والقوى الظاهرة والباطنة هو الذي أعطاهم إياها، وجعل ينميها فيهم شيئًا فشيئًا إلى أن يصل كل أحد إلى الحالة اللائقة به؛ وذلك لأجل أن يشكروا الله، باستعمال ما أعطاهم من هذه الجوارح في طاعة الله، فمن استعملها في غير ذلك كانت حجة عليه وقابل النعمة بأقبح المقابلة»[٢].

والقلب هو المخاطب في الحقيقة؛ لأنه موضع التميز والاختبار، وأما سائر الأعضاء فمُسَخَّرَة له[٣]، فإن صلح صلحت الأعضاء، وإن فسد فسدت.

فعن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «...**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي**

(١) مدارج السالكين ٢/ ١٣٢ .
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٤٤٥ .
(٣) مفاتيح الغيب ٢٤/ ١٤٢ .

القلب»[1].

قال ابن تيمية: «والقلب هو الملك والأعضاء جنوده، وإذا صلح صلَحَ سائرُ الجسدِ، وإذا فسدَ فسد سائرُ الجسد، فيبقى يَسمعُ بِالأُذُنِ الصَّوتَ كما تَسمعُ البهائمُ»[2].

ومن المعلوم أن القلب إذا أحب شيئًا تعلق به واشتاق إليه وشغف به وانقطع عما سواه.

❐ ٤- ترتيل القرآن وحضور القلب عند تلاوته:

يستحب ترتيل القرآن لما فيه من تعظيم له، والترتيل معناه: التنسيق والتنضيد، ويعني إرسال الكلمة من الفهم بسهولة واستقامة؛ بحيث تكون على نسق واحد بما يعين على فهم المعنى[3].

وقد حثّ الله على ترتيله فقال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: الآية ٤]، قال ابن كثير: «أي: اقرأه على تمهل، فإنه يكون عونًا على فهم القرآن وتدبره»[4]، وقال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: الآية ١٠٦].

قال الجصاص: «﴿فَرَقْنَٰهُ﴾ بالبيان عن الحق من الباطل، وقوله: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾، يعني على تثبت وتوقف ليفهموه بالتأمل ويعلموا ما فيه بالتفكر، ويتفقهوا باستخراج ما تضمن من الحكم والعلوم الشريفة»[5]. وقال

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه ٥٢، ومسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ١٥٩٩ .

(٢) مجموع الفتاوى ٧/ ٢٧ .

(٣) تاج العروس ٢٩/ ٣٢، بتصرف.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٨/ ٢٥٠ .

(٥) أحكام القرآن ٥/ ٣٥ .

الشوكاني: «على ترسل وتمهل في التلاوة، فإن ذلك أقرب إلى الفهم وأسهل للحفظ»[١].

والتمهل في قراءة القرآن أدعى للفهم والتدبر، وهذه صفة قراءة النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: «صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسِّلًا: إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوّذ تعوَّذ، ثم ركع فجعل يقول: «**سبحان ربي العظيم**»، فكان ركوعه نحوًا من قيامه، ثم قال: «**سمع الله لمن حمده**»، ثم قام طويلًا قريبًا مما ركع، ثم سجد فقال: «**سبحان ربي الأعلى**»، فكان سجوده قريبًا من قيامه»[٢]. هكذا كانت قراءة رسول الله ﷺ قراءة تدبر ونظرٍ وتفكر.

قال الشيخ ابن عثيمين: «فجمع عليه الصلاة والسلام بين القراءة وبين الذكر وبين الدعاء وبين التفكر؛ لأن الذي يسأل عند السؤال ويتعوّذ عند التعوذ ويسبِّح عند التسبيح، لا شك أنه يتأمل قراءته ويتفكر فيها، فيكون هذا القيام روضة من رياض الذكر: قراءة وتسبيحًا ودعاءً وتفكرًا، والنبي عليه الصلاة والسلام في هذا كله»[٣].

وعن أم سلمة رضي الله عنها أنها سُئلت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت: «كان يُقَطِّع قراءته آية آية ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ

---

(١) فتح القدير، للشوكاني ٣/ ٢٦٤.

(٢) أخرجه مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ح ٧٧٢.

(٣) شرح رياض الصالحين، ٢/ ٩٣.

ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝﴾ [الفاتحة:١-٤]»[1].

وفي لفظ: «ثم نعَتَتْ قراءته، فإذا هي تنعتُ قراءة مُفسَّرة حرفًا حرفًا»[2].

وعن حفصة رضي الله عنها أنها قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ صلّى في سُبحته[3] قاعدًا حتى كان قبل وفاته بعام، فكان يصلي في سُبحته قاعدًا وكان يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها»[4].

فإذا كان هذا الترتيل والتوقف مع كل آية من جانب الرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم، فحري بالأمة اليوم أن تقتدي بهم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «تعلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه البقرة في اثنتي عشرة سنة، فلما أتمها نحر جزورًا»[5]. وهذه المدة الطويلة التي استغرقها في الحفظ ليس عجزًا من عمر رضي الله عنه ولا انشغالًا عن القرآن؛ ولكن تدل على مدى التدبر والتفكر لما في السورة من أحكام وواجبات ونواهٍ.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يفقه من قرأ**

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٣٠٢ ح ٢٦٦٥٢، وأبو داود في السنن ٤٠٠١، والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٥٢ ح ٢٩١٠، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، و له شاهد بإسناد صحيح عن أبي هريرة. وله شاهد في البخاري من حديث أنس رضي الله عنه رقم ٤٧٥٩ .

(٢) أخرجه الترمذي في الجامع ٥/ ١٨٢ ح ٢٩٢٣ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) سبحته: أي نافلته، تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي ٢/ ٣١١ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جواز النافلة قائمًا وقاعدًا، وفعل بعض الركعة قائمًا ٧٣٣ .

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ٢/ ٣٣١ ح ١٩٥٧، وإسناده صحيح.

القرآن في أقل من ثلاث»(١) . وهذا يدل على أن الثلاث هي الحد الأدنى، وأنه لا ينقص عنها، وأنه من نقص عنها فإنه لا يفقه القرآن ولا يتدبره؛ لأن ذلك لا يتأتى بسرعة شديدة.

والقراءة المُرتّلة تحتاج إلى حضور القلب؛ لأنه أدعى للانتفاع، قال ابن القيم: «إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: الآية ٣٧]. وذلك أن تمام التأثر لما كان موقوفًا على مُؤثّر مقتضٍ ومحل قابل، وشرط لحصول الأثر وانتفاء المانع الذي يمنع منه، تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه وأدله على المراد»(٢).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه في وصف القراءة التي ينبغي أن يكون عليها المؤمن: «لا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدقل(٣)، وَلا تَهُذُّوهُ هَذَّ الشِّعْرِ، قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ»(٤).

---

(١) سنن ابن ماجه كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في كم يستحب يختم القرآن ١٣٤٧، والترمذي في الجامع، كتاب القراءات، باب في كم يختم القرآن رقم ٢٩٤٧، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) الفوائد ص٣ .

(٣) الدقل: هو رَدِيء التَّمر ويابِسُه وما لَيْس له اسْم خاصٌّ فَتراه لِيُبْسه ورَدَاءته لا يجْتَمِع ويكون مَنْثُورا، النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٢/ ٢٩٩ .

(٤) أخلاق حملة القرآن ١/ ٤ ح ٢، وإسناده صحيح. وأخره البيهقي في الشعب ٣/ ٤٠٧ ١٨٨٤ مختصرًا.

سادسًا: وسائل حفظ وتنمية التدبر:

❐ ١- شكر المؤمن ربه على ما هداه إليه من تدبر:

وهذا ديدن المؤمن دومًا أن يكل الفضل لصاحب الفضل، وأن يبرأ من حوْله وطوْله إلى صاحب الحوْل والطوْل ﷻ، فلولا الله ما فتح القرآن المتدبر، ولا تلا ولا تدبر، فشكره لربه ﷻ يزيده تدبرًا، ويجعله يُقبل على القرآن بحُبّ ونَهم، ولا غرو في ذلك فهو القائل سبحانه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [إبراهيم: الآية ٨]، حيث وعد بالمزيد مع الشكر، ووَعْده لا يتخلّف أبدًا.

والشكر «يكون بالقلب واللسان والجوارح، فأما شكر القلب: فيعني الاعتراف بالنّعم للمنعِم، وأنها منه وبفضله... ومن الشكر بالقلب محبة الله على نعَمِه، والشكر باللسان يعني: الثناء بالنعم وذكرها وتعدادها وإظهارها، والشكر بالجوارح: يعني أن لا يُستعان بالنعم إلا على طاعة الله ﷻ، وأن يحذر من استعمالها في شيء من معاصيه»[١]، والله أعلم.

❐ ٢- فرح القلب وسعادته بالتدبُّر:

نعم، حُقّ للقلب أن يفرح ويسعد بما منّ الله تعالى على صاحبه من التلاوة والتدبر؛ حيث إن سعادة المرء بذلك التدبّر يدفعه إلى المزيد والمزيد، ويحمله على المواصلة بعزم أكيد وهمّة تفل الحديد، ولا أدلّ على ذلك من قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: الآية ٥٨]، فينبغي أن لا يُنسِي الفرح دعاء الرب سبحانه بدوام التدبر والتفكر، والابتهال إليه

---

(١) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب، لزين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ١/ ٣٥٠ بتصرف.

باستمرار لذة الاستنباط والتأمّل، فهو كريم سبحانه لا يَرد دعاء من ناداه.

❑ ٣- إبراز ثمرة التدبر في التطبيق والتنفيذ:

وهذه ثمرة الثمار، وغاية الغايات، والمقصود الأهم للتدبر، أن يُترجم ذلك كله إلى واقع عملي، فنرى للمتدبر خلقًا فاضلًا وعملًا صالحًا، ومشاركة في الخير وبناء، وتأسيًا بالنبي ﷺ واقتداء وإلا تحوّلت عنه نعمة التدبر، وكان علمه وقراءته وبالًا عليه، نعوذ بالله من الخذلان.

ولا أدلّ على ذلك من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٨٢].

وقال الحسن رَحِمَهُ اللهُ: «نزل القرآن ليُتدبر ويُعمل به فاتخذوا تلاوته عملًا، فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته: من تدبر القرآن، وإطالة التأمل، وجَمْع الفكر على معاني آياته»[١] نسأل الله تعالى أن نكون من العاملين المخلصين، اللهم آمين.

---

(١) مدارج السالكين ١/٤٥١ بتصرف.

❑ ٤- **المواظبة على حزب يومي للتدبر:**

لا بدّ للمسلم بعد أن تذوق حلاوة التدبر أن يجعل له وِرْدًا يوميًّا أو أسبوعيًا أو شهريًّا حسب استطاعته، وإن كان قليلًا حتى يداوم عليه، فأحب العمل إلى الله تعالى أدومه وإن قلّ.

«ومن الرائع أن لا يُغلب الإنسان على وِرْده من التدبر مهما كانت الظروف. والورد اليومي من القرآن كما يقول البعض في اليوم الأول كالجبل، وفي الثاني كنصف الجبل، وفي الثالث كلا جبل، وفي اليوم الرابع مثل الغذاء الذي تتألم لفقده»(١).

ويقترح في هذا المضمار أن يجعل المسلم لنفسه وِردَيْن بختمتين، الأولى للمراجعة وتثبيت الحفظ حتى لا يتفلّت منه القرآن، وتكون في أسبوع أو ثلاثة أيام، والثانية للتدبر، يتأنّى فيها ويتدبر، قد تكون كل شهرين أو ثلاثة، أو سنة... كلٌّ بحسبه، ويدوِّن ما يفتح الله تعالى عليه به، فالعلم صَيْد والكتابة قَيده.

❑ ٥- **التعوُّذ بالله من الشيطان خوفًا من العُجب:**

إذا كان التعوُّذ من الشيطان الرجيم مأمورًا في بداية التلاوة والتدبر، فإنه كذلك مأمور به في نهايتها، في قول مَنْ أخذ بظاهر قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: الآية ٩٨]؛ وذلك أن القارئ حصّل بقراءته ثوابًا، فحتى لا يأتيه الشيطان بالعُجب، ويفوّت عليه ثواب التلاوة ينبغي أن يستعيذ بالله تعالى منه.

وفي ذلك يقول الرازي عمن أخذ بظاهر الآية: «قالوا: يجب أن تكون الاستعاذة متأخرة عن قراءة القرآن، ثم قالوا: وهذا موافق لما في العقل؛ لأن من قرأ القرآن

---

(١) الطريق إلى القرآن، د. إبراهيم السكران ص١١٦ بتصرف.

فقد استوجب الثواب العظيم، فلو دخله العُجْب في أداء تلك الطاعة سقط ذلك الثواب، فلهذا السبب أمره اللّه ﷻ بأن يستعيذ من الشيطان؛ لئلا يحمله الشيطان بعد قراءة القرآن على عمل يُحبط ثواب تلك الطاعة»[1] والله أعلم.

المعيار الخامس: بعض الأسباب المعينة على التدبر:

أولًا: القراءة في الصلاة:

الصلاة صلة بين العبد وبين ربه، يتوجّه فيها إلى الله وحده ويخلص له، وينقطع عن مشاغل الحياة الأخرى، ولا شك أنه عندما تكون تلاوة القرآن في الصلاة فإن ذلك يعين على تدبر القرآن؛ وذلك أن العبد في صلاته يتعبّد الله ﷻ بكل أفعاله وأقواله، فيستشعر وقوفه بين يدي الله سبحانه، ويزداد خشيته له، وقد وردت الأخبار الصحيحة عن طول قيام النبي ﷺ وأصحابه ﷺ والتابعين لهم بإحسان، وإنما يكون القيام بقراءة القرآن، فجمعوا بين القيام والتلاوة.

وقد كانت قراءة النبي ﷺ للقرآن في كثير من الأحوال أثناء الصلاة؛ عملًا بقوله سبحانه: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: ٧٨: ٧٩].

وأخبر النبي ﷺ بأن من حق القيام بواجب القرآن القيام به آناء الليل وآناء النهار، فقال ﷺ: **«لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار»**[2].

---

(١) مفاتيح الغيب لفخر الدين محمد بن عمر الرازي ١/ ٦٦ .

(٢) أخرجه البخاري كتاب التوحيد باب قول النبي ﷺ: **«رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار...»** ح ٧٥٢٩، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها ح٨١٥ .

فينبغي أن يجعل المسلم جزءًا من تلاوته في صلاته وبخاصة صلاة الليل؛ لارتباط الصلاة بالتلاوة، ولحضور القلب في الصلاة أكثر منه خارج الصلاة، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ [المزمل: ١ - ٦].

ثانيًا: التفكر في معاني الآيات:

من عوامل التدبر لكتاب الله تعالى التفكُّر في معنى الآيات، فيُعمِل القارئ فِكْره في معاني الآية ودلالاتها وما اشتملت عليه من وعْظ، أو ترغيب، أو ترهيب، أو دلائل على وحدانية الله تعالى وعظمته، وقد ورد أن النبي ﷺ كان يتفكّر في بعض الآيات ويتأملها، بل ورد الوعيد لمن لم يتفكّر فيها.

ففي الحديث عن عطاء قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة، فقالت لعبيد بن عمير: قد آن لك أن تزورنا، فقال: أقول يا أُمَّهْ كما قال الأول: زُر غِبًا تزدد حبًّا، قال: فقالت: دَعُونا من رَطَانتكم هذه، قال ابن عمير: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ، قال: فسكتت، ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي قال: **«يا عائشة، ذريني أتعبد الليلة لربي»**. قلت: والله إني لأحب قُربك وأحب ما سرَّك، قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بلّ حجره، قالت: ثم بكى، فلم يزل يبكي حتى بلّ لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بلّ الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله، لِمَ تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟ قال: «**أفلا أكون عبدا شكورًا؛ لقد نزلت علي الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾** [البقرة: الآية ١٦٤] الآية كلها»[1].

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب التوبة، باب ذكر البيان بأن المرء عليه إذا تخلى =

فبين ﷺ أهمية التفكر في آيات القرآن الكريم، وذكَر الوعيد لمن لم يتفكر فيها.

وهذه الآية إحدى الآيات التي تتحدث عن خلق السموات والأرض وما فيهما من آيات، وها هو النبي ﷺ يتفكر فيها فيبكي حتى بلَّ حجرَه، ثم يستمر في البكاء حتى بلَّ لحيته، ثم يستمر في البكاء حتى بلّ الأرض، ويجيء بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيتعجب من بكائه ﷺ وقد غفر الله ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، فيخبره صلوات الله وسلامه عليه بسبب بكائه: «**لقد نزلت عليّ الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر**».

إن التفكّر في آيات القرآن الكريم منهج نبوي في التدبر، يعمّق المعنى في نفس القارئ، ويفتح له آفاقًا إيمانية واسعة، فعندما يتفكر المرء في خلق السموات والأرض وما فيهما من المخلوقات العلوية أو السفلية وتنوّعها وكثرتها وسعة هذا الكون - تجعل الإنسان يوقن ويزداد يقينًا أن هذا الكون لم يُخلق عبثًا وإنما خلقه الله تعالى لحكمة عظيمة، فلا يملك إلا أن يقول: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٩١].

ثالثًا: اختيار الوقت المناسب للتدبر:

لكي يتأثر القلب بالقرآن ويُحسن تدبّره لا بد من اختيار الوقت المناسب للتدبر، وهو الوقت الذي يختفي فيه ما يُشتِّت ذهن القارئ؛ بحيث لا يكون هناك ما يشغل قلبه أو يشوِّش عليه.

وأجمل وقت وأنسبه هو وقت الليل، عندما تهدأ الحياة ويسكن الناس، فلا ضجيج ولا إزعاج فيتفرّغ القلب لسماع القرآن وتلاوته.

وقد أمر الله نبيه محمدًا ﷺ بقيام الليل وأمره بترتيل القرآن فيه، فقال تعالى:

= لزوم البكاء على ما ارتكب من الحوبات... حديث رقم ٦٢٠، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ [المزمل: ١ - ٦].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويعني بقوله: ﴿هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا﴾: ناشئة الليل أشد ثباتًا من النهار وأثبت في القلب، وذلك أن العمل بالليل أثبت منه بالنهار»(١).

وأخرج الطبري عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قوله: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ قال: أدنى من أن تفقهوا القرآن، وأخرج عن مجاهد: أثبت قراءة(٢).

وذلك لفراغ القلب عن سائر الأشغال التي يتعلق بها في النهار؛ ولهذا كان دأب الصالحين قيام الليل، كما قال سبحانه: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: الآية ١٦].

وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يتهجد بالقرآن، والتهجد إنما يكون بعد النوم، قال سبحانه: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٨ - ٧٩].

وقد كان النبي ﷺ يكثر من صلاة الليل وتلاوته ويخلو بربه، فيتدبر القرآن ويخشع لله تعالى.

ومن تأمّل حال أصحاب النبي ﷺ والسلف الصالح علم أن غالب أحوالهم أنهم إنما كانوا يقرؤون أحزابهم من القرآن بالليل، فيجعلون النهار لقضاء حاجاتهم ويجعلون الليل لمناجاة ربهم، كما وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨﴾ [الذاريات: ١٦ - ١٨].

---

(١) جامع البيان ٢٣/ ٣٧٠ .

(٢) المصدر السابق ٢٣/ ٣٧٤ .

وفي «الصحيح» عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كُتب له كأنما قرأه من الليل»**(١).

وهذا دليل على أن الأصل في قراءة القرآن أن تكون في الليل، وذلك الوقت أجمع للقلب، وأصفى للذهن، وأبعد عن الانشغال بسائر الملهيات؛ فهو أدعى لتدبر كتاب الله تعالى.

رابعًا: ترديد الآيات وتكرارها:

الوقوف عند الآية القرآنية وترديدها طريق إلى التدبر والخشوع؛ ذلك أن كثرة التأمل وترديد الآيات يثبتها في قلب القارئ ويجعل القلب يتأملها ويتأثر بها، وكلما زاد تردادها زاد التأثر بها، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يردد بعض الآيات.

فعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: «قام رسول الله ﷺ ليلة من الليالي في صلاة العشاء فصلى بالقوم، ثم تخلّف أصحاب له يصلون، فلما رأى قيامهم وتخلفهم انصرف إلى رحله، فلما رأى القوم قد أخلوا المكان رجع إلى مكانه فصلى، فجئت فقمت خلفه فأومأ إليَّ بيمينه، فقمت عن يمينه، ثم جاء ابن مسعود فقام خلفي وخلفه، فأومأ إليه بشماله، فقام عن شماله، فقمنا ثلاثتنا يصلي كل رجل منا بنفسه، ويتلو من القرآن ما شاء الله أن يتلو، فقام بآية من القرآن يرددها حتى صلى الغداة، فبعد أن أصبحنا أومأت إلى عبد الله بن مسعود: أن سله ما أراد إلى ما صنع البارحة؟ فقال ابن مسعود بيده: لا أسأله عن شيء حتى يحدث إليّ، فقلت: بأبي أنت وأمي، قمت بآية من القرآن ومعك القرآن، لو فعل هذا بعضنا وجدنا عليه، قال:

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض ح ٧٤٧ .

«دعوت لأمتي»، قلت: فماذا أُجِبْتَ؟ -أو ماذا رُدَّ عليك؟ - قال: «**أُجبت بالذي لو اطّلع عليه كثير منهم طلْعة تركوا الصلاة**». قلت: أفلا أبشر الناس؟ قال: «**بلى**». فانطلقتُ مُعْنقًا قريبًا من قَذْفة بحجر، فقال عمر: يا رسول الله، إنك إن تبعث إلى الناس بهذا نَكَلوا عن العبادة، فناداه أن ارجع فرجع، وتلك الآية: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: الآية ١١٨]»[١].

وكذا كان حال الصالحين، فقد أخرج ابن أبي شيبة عن سعيد بن عبيد الطائي قال: سمعت سعيد بن جبير وهو يصلي بهم في شهر رمضان يردّد: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [غافر: ٧٠ - ٧٢][٢].

وذكر النووي عن عبّاد بن حمزة قال: «دخلت على أسماء رضي الله عنها وهي تقرأ: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الطور: الآية ٢٧]، فوقفتْ عندها، فجعلت تعيدها وتدعو، فطالت عليّ ذلك، فذهبت إلى السوق فقضيت حاجتي، ثم رجعت وهي تعيدها وتدعو[٣].

خامسًا: استماع القراءة من الآخرين:

للصوت الحسن طريقه إلى القلوب والتأثير على السامعين، وبخاصة إذا كان القارئ من أهل القرآن العارفين المُجوِّدين؛ فإنه يسلب القلوب ويجذبها لسماع القرآن والتأثر بها.

قال النووي: «اعلم أن جماعات من السلف كانوا يطلبون من أصحاب القراءة

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣٥/ ٣٩٠ ح ٢١٤٩٥، قال محققه شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٥/ ٤٤٤، ح ٨٤٥٤ .

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن ص ٨٤ .

بالأصوات الحسنة أن يقرؤوا وهم يستمعون، وهذا متفق على استحبابه، وهو عادة الأخيار والمتعبدين، وعباد الله الصالحين، وهو سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ»[١].

وقد استمع النبي ﷺ إلى قراءة بعض أصحابه، بل وطلب من ابن مسعود رضي الله عنه أن يقرأ عليه القرآن، وتأثر بالقراءة، ففي «الصحيحين» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «**اقرأ عليّ القرآن**» قلت: آقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**».

وفي رواية: «فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية، قال: «**حسبك الآن**»، فالتفتُّ إليه فإذا عيناه تذرفان[٢].

وقد ثبت أن النبي ﷺ استمع إلى قراءة أبي موسى، فقال له: «**لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود**»[٣].

ولا مانع أن يستمع المفضول من الفاضل، والعالم ممن هو أقل منه علمًا، كما فعل النبي ﷺ في استماعه لابن مسعود.

وعلى المسلم أن يختار في استماعه من يجوّد القرآن ويترسّل في تلاوته، ويحسن الوقف والابتداء، ويقيم القرآن كما نُقل لنا عن رسول الله ﷺ.

---

(١) المصدر السابق ص١١٢ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد..﴾ح ٤٥٨٣، ومسلم كتاب صلاة المسافرين باب فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر ح٨٠٠ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن ٥٠٤٨، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن ح٧٩٣ واللفظ له.

سادسًا: التفاعل العملي مع القرآن:

من عوامل التدبر التي كان النبي ﷺ يمارسها في تلاوته للقرآن: التفاعل مع القرآن الكريم، والإحساس بخطاب القرآن والتأثر به.

وكان النبي ﷺ يتفاعل مع تلاوة القرآن، فيطبق ما يمكن تطبيقه، كما روى حذيفة رضي الله عنه قال: «صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسّلًا: إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبّح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوّذ تعوّذ...» الحديث[1].

وعلى قارئ القرآن أن يتدبر آيات القرآن وأن يتفاعل معها، فإذا مرّ بآية فيها ذِكر الجنة سأل الله الجنة، وإذا مرّ بآية فيها ذِكر النار استعاذ بالله من النار، وهكذا.

ومن التفاعل مع القرآن: ما ثبت عن النبي ﷺ من قول: «آمين» بعد قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧] فهو نوع من التفاعل مع القرآن بمعنى: استجب يا رب.

ومن ذلك: مشروعية سجود التلاوة عند تلاوة الآيات التي يذكر فيها حال المؤمنين الساجدين الراكعين؛ فإن ذلك نوع من التفاعل مع القرآن والاستجابة المباشرة لتوجيهاته، مع مراعاة المواضع التي يكون فيها سجود التلاوة.

---

(١) أخرجه مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ح ٧٧٢ .

ولا شك أن لهذه الأفعال أثرًا في تدبر القرآن وتعلق القلب به.

سابعًا: البكاء عند سماع القرآن:

من الأسباب التي تعين على تدبر القرآن وفهْمه البكاء عند سماعه، وذلك بأن يتدبر المرء ما اشتملت عليه آيات القرآن الكريم من المعاني ويستحضرها، ويعيش معها بقلبه وكأنه يشاهد حقيقة ما يتحدث عنه القرآن، فيبكي متأثرًا، مُوقنًا بحقيقة ما جاء في كتاب الله، طامعًا في وعد الله، حذرا من وعيده، وَجِلًا من خشية الله، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: الآية ٢].

والبكاء عند سماع القرآن علامة على إيمان العبد وتصديقه بما يسمع، وهو شأن أولي العلم العارفين بالله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا۩ ۝١٠٩﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩].

وقد بكى النبي ﷺ وهو يستمع إلى ابن مسعود عندما قرأ عليه سورة النساء فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «**اقرأ عليّ**»، قلت: يا رسول الله، آقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «**نعم**» فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ۝٤١﴾ [النساء: الآية ٤١]، قال: «**حسبك الآن**»، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان[1].

وفي رواية مسلم: «حتى إذا بلغتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ۝٤١﴾ [النساء: الآية ٤١] رفعت رأسي - أو غمزني رجل إلى جنبي،

---

(١) أخرجه البخاري كتاب التفسير باب ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: الآية ٤١] ح ٤٥٨٣.

فرفعت رأسي - فرأيت دموعه تسيل»[1].

فقد تأثر النبي ﷺ بسماع هذه الآية التي تذكر ذلك الموقف العظيم عند مجيء الأنبياء للشهادة على أممهم، ومجيئه ﷺ ليشهد على أمته.

وقد بوّب البخاري لهذه الأحاديث بقوله: «باب البكاء عند قراءة القرآن»، وبوّب له الإمام مسلم لهذه الأحاديث بقوله: «باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظه، والبكاء عند القراءة والتدبر».

قال الغزالي: «ووجه إحضار الحزن أن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد، والمواثيق والعهود، ثم يتأمل تقصيره في أوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكي، فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية؛ فليبكِ على فقد الحزن والبكاء فإن ذلك أعظم المصائب»[2].

المعيار السادس: مجالات تدبر القرآن وضبطها:

مما ينبغي أن نهتم به في هذا الصدد بيان المجالات التي يمكن لقارئ القرآن أن يهتم بها، حتى تبعد النظرة ويتسع الأفق، **ومن تلك المجالات التي يمكن أن يتدبر القارئ لكتاب الله من خلالها، ما يأتي:**

١ - السورة الكاملة.

٢ - الموضوع الواحد في السورة أو في القرآن كله.

٣ - آيات محددة.

٤ - قصص القرآن.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر ح ٨٠٠ .

(٢) إحياء علوم الدين ٣/ ٥٠٢ .

٥ - أمثال القرآن.

٦ - أقسام القرآن.

٧ - نداءات القرآن.

وإن مجالات التدبر لا تكاد تحصى؛ لأن هذا الكتاب هو كلام الخالق الذي لا يُحاط علمه، ولا يدرك سعة ملكه وملكوته مخلوق؛ لذلك على المؤمن أن يبذل وسعه وطاقته في التقرب إلى الله بهذه العبادة، فنحن لن نستطيع حصر تلك المجالات لأنها غير محدودة، وهي بسعة ملك الله وعلمه، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٥]. وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: الآية ٢٧].

وقال سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: الآية ٥٣].

ويكفي أن نعلم أن آيات الله الكونية فقط تبلغ ألفًا وثلاثمائة آية كونية، فضلًا عن آياته التكوينية وهي أفعاله، ثم آياته في قرآنه وهو كلامه[١]، ويمكن الخلوص بعد هذه الإشارات بملخصين:

الأول: مجالات التدبر كثيرة، وتتلخص في الآتي:

أولًا: التركيب القرآني فريد في بابه:

إن التركيب القرآني جاء بلغة العرب لكنه اتسم بتفردٍ عجيب، يقول بعضهم واصفًا هذا الأسلوب الفريد للقرآن: «وتقتحم عليّ العبارة القرآنية سكون طفولتي

(١) سلسلة محاضرات الدكتور محمد راتب النابلسي على الإنترنت - قناة اليوتيوب.

فأتذكر في ظلام الليل إلقاء الشيخ وهو يردد: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢٠﴾ [القصص: الآية ٢٠]. فتسعى العبارة إلى خيالي وكأنها مخلوق حي مستقل يسعى، له حياته الخاصة، وهذا سر من أعمق الأسرار في التركيب القرآني، إنه ليس بالشعر ولا بالنثر ولا بالكلام المسجوع، وإنما معيار خاص وتركيب متفرد من الألفاظ صُفّت بطريقةٍ تكشف عن إعجاز لا يدركه إلا المتدبر، ويمضي قائلًا: «وإن الكلمات لتذوب وتصطف وتتراصّ في معمار ورصف هو نسيج وحده بين كل ما قيل أو كُتب بالعربية سابقًا ولاحقًا» -إلى أن يقول مرة أخرى: «تأمل قوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾ [طه: الآية ٦٦]، ﴿فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ۝٢٠﴾ [طه: الآية ٢٠].

ما الفرق بين السعيين؟ هذا مجال من مجالات التدبر والنظر، فالمتأمل يدرك أن السعي الأول سعي الحبال التي تخيّل للناظر أنها حقيقية وهي في الواقع ليست كذلك، وإنما هو مجرد تخيل!

أما السعي في الآية رقم (٢٠) فهو سعي حقيقي، فإن عصا موسى عليه السلام صارت حيّة حقيقية وابتلعت حيات الخيال السحري، قال تعالى: ﴿فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ۝١٠٧﴾ [الأعراف: الآية ١٠٧]، فما أروع هذا الإعجاز!! وما أجمل هذا التركيب للمفردة القرآنية!!»[١].

والمتأمل في هذه القصة التي وردت في سياق الصراع بين الحق والباطل، الحق الذي يمثله سيدنا موسى عليه السلام، وقد ذكر اسمه مائة وعشرين[٢] مرة في الكتاب العزيز، وبين الباطل الذي يمثله فرعون - يدرك مدى أهمية التدبر؛ فهذه القصة التي تكررت مرات عديدة أعطتنا مؤشرًا ونموذجًا لصمود الحق أمام الباطل حتى

---

(١) ينظر: القرآن محاولة لفهم عصري ص ٩-١١، د. مصطفى محمود.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ٦٧٨ .

أذن الله بالنصر والفرج، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الشعراء: ٦٣ - ٦٧].

ثانيًا: النفس البشرية وأسرارها:

إن النفس البشرية هي إحدى أهم مجالات التدبر، وذلك لما تنطوي عليه هذه النفس من أسرار وعجائب، فالنفس كلمة تطلق ويراد بها الإنسان بما اشتمل عليه من روح وجسد، وهي المخاطبة بالتشريع في القرآن، وهي المأمورة والمنهية والمكلفة والمحاسبة.

ولأهمية النفس فإن الله تعالى أقسم بها ضمن ثمانية أشياء في سورة واحدة، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧ - ١٠] وقد ذكرت مائتين وخمسة وتسعين مرة في القرآن(١)، والنفس البشرية ليست فقط لحمًا ودمًا وأعصابا وشرايين وخلايا بآلاف الملايين. ولكنها فوق ذلك مشاعر وأحاسيس: قلب ينبض، وعقل يفكر، ونفس تسمو بالاستقامة، وقد أودع الله فيها من الأسرار ما لا يعلمها إلا هو، قال تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: الآية ٢١]، وقال تعالى بعد أن بيّن نشأة النفس وتكوينها: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: الآية ١٤].

فانظر أيها الإنسان كيف أن الله تعالى أخبرك بأنه خلقك من سلالة من طين، ثم قال لك: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ يقول ابن العربي: «ليعرّفك أن الشرف للتربية لا

---

(١) ينظر: المصدر السابق.

للتربة»(١).

ثالثًا: النبوءات والغيبيات:

١- لقد أخبر القرآن عن مصرع المشركين وهزيمتهم في غزوة بدر قبل وقوعها، قال تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر: الآية ٤٥].

٢- وأخبر عن فتح مكة قبل حدوثه، فقال: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح: الآية ٢٧].

٣- كما أخبر مؤكدًا انتصار الروم بعد هزيمتها من الفرس قال تعالى: ﴿الم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [الروم: ١ - ٦] والبضع هو: ما دون العشرة وفوق الثلاثة، وقد حدث أن انتصرت الروم بعد سبع سنوات فقط من هزيمتها؛ إنه وعد الله الحق الذي لا يخلف الميعاد.

٤- وعد إسرائيل بالفساد في الأرض مرتين، فها هي ذي إسرائيل تعلو في الأرض وتعيث فسادًا وتصول وتجول طغيانًا واستكبارًا وتحلم باجتياح العالم الإسلامي والعربي في مشروعها العدواني الاستيطاني: إسرائيل من النيل إلى الفرات، ولكنه أملٌ مكذوبٌ وعلوٌّ مؤقت وإلى زوال، قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإسراء: الآية ٤]، ويحدد الله مصيرهم فيؤكد: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا

---

(١) ينظر: قانون التأويل للقاضي أبو بكر بن العربي ص ٤٥٨ .

تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإسراء: ٧، ٨].

وهنا نطرح سؤالًا يتعلق بالغيبيات وعالم الأجنة والأرحام:

سئل الدكتور مصطفى محمود ذات مرة: هل الإنسان يمكنه علم الغيب؟ وجاء في قول السائل: إن الله تعالى انفرد بعلم الغيب كما جاء في القرآن، ولكن العلم الآن يستطيع أن يعرف نوع الجنين في رحم أمه ذكرًا كان أم أنثى، من التحليل المعملي للدم أو البول، ومن السائل الأمنيوسي، وأحيانًا بمجرد صورة أشعة يستطيع الطبيب أن يحدد على وجه القطع والجزم جنس الجنين ؟!

فكانت الإجابة: «علم ما في الأرحام الذي ورد في الآية القرآنية هو: أن يعلم الله تاريخك وقدرك وقصة حياتك كلها وأنت ما زلت مضغة في رحم أمك، وليس أن يعلم فقط جنسك ذكرًا أم أنثى، وكون الإنسان ذكرًا أو أنثى في بطن أمه هذه مسألة جزئية بسيطة جدًّا لا أهمية لها، وليست هي المقصود بالعلم الإلهي لما في الأرحام، فعلم الله تعالى علم واسع شامل محيط، وهو الذي علّم الإنسان كيف يحدد النوع بتلك الأجهزة الحديثة»[1]. قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: الآية ١١٣].

٥- الدنيا الفانية والآخرة الباقية:

لقد تناول القرآن الحياة الدنيا بمتقلباتها وتفاصيل حركتها ومحدودية أجلها وهي تمثل الزمان الفاني، فالدنيا منذ خلقها الله إلى أن يطوي سماءها كطي السجل للكتاب لا تمثل إلا قدرًا محدودًا من الزمن؛ لذلك الإنسان فيها محدود العمر، محدود الإدراك والمعرفة، محدود الرزق، فكل شيء في الدنيا مؤقت وإلى

(١) ينظر: القرآن محاولة لفهم عصري، د. مصطفى محمود، ص ٢٥٩ .

زوال؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس: الآية ٢٤].

أما الزمان الخالد: فهو الزمان السرمدي الباقي بإذن الله الواحد قيوم السماوات والأرض، لا يتبدل ولا يفنى، إنه زمان الآخرة، وهو الزمان الذي يتحدد فيه مصير الخلق بحسب كسبهم وعطائهم في الزمان الدنيوي.

إن الزمان الخالد كل شيء فيه مختلف، العمر فيه ممدود، والنعيم فيه بلا حدود، والعطاء غير مجذوذ، هذا للسعداء أهل الإيمان والكسب الخالص، قال تعالى: ﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود: الآية ١٠٨].

أما الأشقياء أهل الشرك والكسب الخبيث فمصيرهم محدد كذلك؛ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود: ١٠٦ - ١٠٧].

هذا الزمان بشِقَّيْه الزائل والخالد تناوله القرآن الكريم بأسلوب وتفصيل يستوجب من الإنسان المؤمن التدبر - الوقوف - عنده كثيرًا، حتى يستدرك ما فاته ويستعد لحياة الخلود والبقاء الأبدي في النعيم، قال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: الآية ٦٤].

الثاني: ضبط التدبر من خلال سمات مقاصد القرآن الكريم الأساسية:

❐ وذلك من خلال الأمور التالية:

❍ ١- انضباط التدبر من خلال سمة الربانية:

لمقاصد الكتاب العزيز سماتٌ متنوِّعة وأوصافٌ متميزةٌ، تلوح في أفق سمائه، فتعطيه من المهابة شكلًا فخمًا ومكانةً عظيمةً، وإن استصحاب هذه السمات البارزة عند تدبر كتاب الله جلَّ وعلا فيه العصمة عن الانزلاق في مهاوي النهايات المخالفة للشرع الشيء الكثير.

فإن المتدبر لكتاب الله عندما يلحظ ربانية القرآن الكريم ومقاصده، ينشأ لديه تصوُّرٌ لما يتدبره، ويتنبَّه لما يصل إليه. وذلك أن ربانية القرآن الكريم يراد بها مراعاة جانب الهيبة والتوقير للقرآن الكريم، على أنه كلام الله ﷻ ومحفوظٌ بحفظ الله جلَّ وعلا، من التغيير والتبديل والزيادة والنقصان، وهذا مما يراعيه المتدبر لكتاب ربه ابتداءً.

ويتنبَّه لأن العقائد والأحكام والأخلاق المنثورة في أرجائه منزَّلةٌ من عند الله جلَّ وعلا، فيُجيل نظره في القرآن الكريم وهو معظمٌ لما فيه من شرائع وتشريعات، ومنزِّه لكلام ربه عن كل زيغٍ فكريٍّ أو انحرافات.

ويكون معظِّمًا لمقاصد القرآن الكريم، ومبجلًا لغايات الذكر الحكيم، فإن التعامل مع كتاب الله بهذه المنزلة في القلب يورث العلم به ويوصل إلى الغاية المرجوَّة منه، وذلك منتهى ما يطلبه أهل التدبر[1].

---

(١) للاستزادة ينظر: كيف نتعامل مع القرآن الكريم ص: ٢١، ومنهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع ص: ٣٧٥ .

○ ٢- انضباط التدبر من خلال سمة الشمولية:

يُستمدُّ الشمول في مقاصد القرآن الكريم من شمولية القرآن الكريم لكل مناحي الحياة: في الاعتقاد والتعبد والتعامل. وتتضح هذه الشمولية كذلك في مخاطبة هذا القرآن للإنسان فقد «خاطب عقله بالتدبر والتأمل، وخاطب قلبه بالموعظة والتذكير، وخاطب جوارحه بتعليمها ما أراد الله عزَّ وجلَّ منها: من البصر وغضِّه، والسمع وكفِّه عن الحرام. وفي هذا القرآن ذِكرٌ للجبال الساجدة، والألسن الذاكرة، كلُّ ذلك مذكورٌ في كتاب الله عزَّ وجلَّ، فهو شاملٌ لكل شيءٍ في حياة الإنسان»[1].

فإذا كانت مقاصد الكتاب العزيز بهذه المثابة في شموليتها لجميع المناحي في حياة الإنسان، فهذا يفتح الباب للعقل في التجوُّل بالفكر في ميادين التدبر، مع مراعاة أن لا يخالف ذلك ما نصَّ عليه الشرع، فلا يحكم على جواز ولاية المرأة بما جاء في قصة ملكة سبأ مثلًا؛ لمخالفته للسياق، وهو مجيء ذلك للخبر لا التشريع، ولأنها وردت على سبيل استنكار ولايتها عليهم[2]، ولمصادمته صريح السنة في ذلك[3]. فمراعاة الشمول في المقاصد القرآنية أمرٌ مهمٌّ، ولكن بالانضباط بالأصول التي يقوم عليها التدبر.

○ ٣- انضباط التدبر من خلال سمة الواقعية:

المقصود بواقعية المقاصد القرآنية: إمكانيةُ بلوغها والوصول إليها على أرض الواقع، وذلك أن منهج القرآن الكريم قد اتسم بالربط بين الأسباب ومسبباتها،

---

(١) أفلا يتدبرون القرآن ص: ٢٢٠ .

(٢) الاستدلال الخاطئ بالقرآن والسنة على قضايا الحرية ص: ٦٤٤ .

(٣) لحديث أبي بكرة ﷺ: «**لن يفلح قومٌ ولَّوا أمرهم امرأة**». رواه البخاري، كتاب الفتن، باب الفتن تموج كموج البحر رقم ٦٦٨٦ .

والوسائل وغاياتها، في كل مناحي الحياة. وهذا الربط هو الذي أعطى المقاصد القرآنية هذه السمة البارزة، فإن العباد لم يطالبوا بما يستحيل عليهم تحصيله، وإنما طولبوا بما في مقدورهم، وما تقدر عليه نفوسهم، ولا أدلَّ على ذلك في أمر العبادة من قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [العنكبوت: الآية ٥٦]. فالإنسان مأمورٌ بالعبادة أينما حلَّ، وإن تعسرت عليه في مكانٍ ما فأرض الله واسعةٌ، فهو غيرُ مقيدٍ بالتعبُّد في موضعٍ بعينه. فالبساطة والمثالية الموجودة في دين الإسلام هي ما تجعله يتماشى مع واقع الناس، أيًّا كانت أحوالهم وظروفهم.

فواقعية القرآن الكريم هي قابلية تحقيقه في الحياة. ومن هذا المنطلق؛ فإن التدبر لكتاب الله تعالى لا ينبغي أن ينفكَّ عن تقرير هذا المفهوم، وإلا لم يكن له ثمرةٌ واضحةٌ.

فإن واقعية مقاصد القرآن الكريم تستوحي أصولها من المجالات الثلاثة التي يدور عليها النظام الإنساني: في العقيدة والتشريع والأخلاق[1]، ولذلك كان هذا هو أساس قوة الإسلام وانتشاره؛ لأنه تحقيق ما يتناسب مع جميع الخلق، وذلك لرسوخ اعتداله، واستقامة منهاجه، وتلبيته لحوائج كل البشر، ومعالجته لجميع مشكلاتهم بشتى صورها.

فلا غرو أن ينعقد التدبر على مثل هذا المفهوم، وينطلق منه لتجلية حقائق القرآن ومحاسن الإسلام في أبهى حللها وأحسن صورها.

❍ ٤- انضباط التدبر من خلال سمة الوسطية:

ومعنى وسطية القرآن: «كونه وسطًا جامعًا لحقوق الروح والجسد، ومصالح

---

(١) واقعية المنهج القرآني ص: ٥٣، ٢٤٠، ٣٨٥.

الدنيا والآخرة»(١).

فالقرآن الكريم قد جاءت الوسطية فيه ناصعة الملامح في معظم آياته، وهذه الملامح تتجلى في خيرية هذه الأمة على غيرها من الأمم، وفي قيام العدل أساسًا لمنهجها، وفي التيسير على العباد ورفع الحرج عنهم، وفي اعتبار الحكمة في تشريعاتها، وفي الاستقامة والثبات على مبادئها، وفي توسطها جانبي الإفراط والتفريط(٢).

فإذا كانت هذه أبرز ملامح الوسطية التي تعد من أوضح سمات مقاصد القرآن الكريم، فإن هذا يعطي مؤشرًا على أهميَّة اعتباره عند تدبر الكتاب العزيز؛ فإنه بالعدل تنال الحقوق وترفع المظالم، وبالتيسير تنشط النفس على فعل الطاعات، وتستهل الاستمرار لمداومة العبادات، وبمعرفة الحكمة تتضح الغايات وتسعى الهمم للنهايات، وبحصول الاستقامة تصلح المجتمعات، وتسعد الجماعات، وبالتوسط يزول التقصير والتفريط، وينعدم الجفاء والغلو.

والمتدبر إن انضبط بهذه المعاني وأجالها على آيات القرآن الكريم، سيقف على معانٍ متعددة الفوائد جمَّة الفرائد، وهذا من بركة القرآن الكريم على المشتغل به والمطالع له.



---

(١) الوحي المحمدي ص: ٢٦٧ .

(٢) الوسطية في القرآن الكريم ص: ٦٥، ١٦٣ .



المنهج القويم في تدبر القرآن الكريم

المعيار الأول: المنهج النبوي في تدبر القرآن:

أهمية المنهج النبوي في التدبر:

النبي ﷺ أعرف الأمة بربه سبحانه وبكتابه العزيز، فهو المنزّل عليه القرآن، وهو ﷺ المُخرِج للبشرية بإذن الله من الظلمات إلى النور بهذا القرآن؛ ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ①﴾ [إبراهيم: الآية ١].

وقد أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بتلاوة القرآن وإنذار الناس به، فقال سبحانه: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [العنكبوت: الآية ٤٥]، وقال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: الآية ٣٠]، وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: الآية ٧].

وأمره ﷻ ببيان القرآن للناس: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: الآية ٤٤]، فهو المبيّن عن الله تعالى، ولا يكون البيان إلا من عالمٍ عارفٍ بما يبيّنه للناس.

وقد أمرنا الله ﷻ باتباع رسوله ﷺ والاقتداء به والاهتداء بهديه، فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: الآية ٧]، وقال: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ

ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٨].

وقد كان النبي ﷺ أتقى الناس لله تعالى وأخشاهم له، ومن آثار ذلك: بكاؤه عند تلاوة القرآن وتأثُّره به.

ومن المهم أن نقف على حال النبي ﷺ عند تلاوته للقرآن؛ لنقتدي به في ذلك ونسير على نهجه، فخير الهدي هدي محمد ﷺ.

❑ **ويتبين المنهج النبوي في تدبر القرآن في المسائل الموجزة التالية:**

أولًا: ترتيل القرآن:

يُعدّ ترتيل القراءة وتجويدها من أهم أسباب التدبر. والتجويد: إخراج كل حرف من مخْرجه وإعطاؤه حَقّه ومستحَقّه من الصفات[(١)].

وللقرآن الكريم خاصية تختلف عن سائر الكلام العربي؛ من حيث النطق به وكيفية أدائه، وهو التجويد الذي يختص به القرآن الكريم، والذي تلقّاه الصحابة ﷺ من فِي النبي ﷺ، ثم نقلوه إلينا.

قال النووي: «قال العلماء: الترتيل مستحب للتدبر وغيره، قالوا: ولهذا يُستحب الترتيل للأعجمي الذي لا يفهم معناه؛ لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام، وأشد تأثيرًا في القلب»[(٢)].

وللتجويد أثره في التأثير في النفوس ولفْت انتباه المستمع وشدّه نحو القارئ، وهو إحدى خصائص القرآن الكريم الذي يتميز به عن سائر كلام العرب.

---

(١) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح بن السيد عجمي ص٤٥ .

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن ص٨٩ .

وقد أمر الله ﷻ رسوله ﷺ بترتيل القرآن، فقال سبحانه: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: الآية ٤].

وكانت طريقة النبي ﷺ أنه يرتِّل القرآن كما أمره الله تعالى، كما روت أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ صلى في سُبحته[١] قاعدًا، حتى كان قبل وفاته بعام، فكان يصلي في سُبحته قاعدًا، وكان يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها»[٢]. وعن قتادة رحمه الله أنه قال: «سُئِلَ أنس رضي الله عنه: كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟ فقال: «كانت مدًّا، ثم قرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١] يمد بـ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾، ويمد بـ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾، ويمد بالرحيم»[٣].

وإخراج كل حرف من مخرجه دون تداخل بين الحروف يوضّح معنى الآية، ويعطي فرصة للعقل ليفهمها، وللقلب كي يتأملها، ومِنْ ثَمَّ تقع الموقع المناسب فيتأثر بها القارئ والمستمع.

ولهذا ذهب علماء التجويد إلى أن القراءة بالتجويد واجب على القارئ[٤].

وذلك أن القراءة سُنة متبعة تلقاها الصحابة عن النبي ﷺ، وقد كان يرتّل القرآن ويجوّده، فوجب القراءة بالتجويد.

ثانيًا: الترسل في القراءة:

وقد امتثل نبينا ﷺ أمر ربه في ترتيل القرآن، فكانت قراءته هادئة مترسّلة حزينة

---

(١) السُّبحة - بضم السين وإسكان الباء: النافلة. صحيح مسلم بشرح النووي ٥/ ٢١ .

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جواز النافلة قائمًا وقاعدًا، وفعل بعض الركعة قائمًا وبعضها قاعدًا ح ٧٣٣ .

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب مد القراءة رقم ٥٠٤٦ .

(٤) ينظر: شرح زكريا الأنصاري لمتن الجزرية في معرفة تجويد الآيات القرآنية لابن الجزري ص١٥ .

كما أمره ربه، فكان يرتّل السورة حتى تبدو وكأنها أطول من أطول منها.

وكان يمدّ الحروف في نهاية الآية ليسمح للعقل بتفهم الخطاب الإلهي، وللقلب بالتجاوب معه والاتعاظ به.

ولقد وصفت أم سلمة رضي الله عنها قراءة رسول الله ﷺ بأنها «قراءة مفسّرة حرفًا حرفًا»(١). وفي حديث حفصة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان يقرأ بالسورة فيرتّلها حتى تكون أطول من أطول منها»(٢).

وهو أمر زائد على التجويد والترتيل، وذلك بأن يقرأ القارئ القرآن متمهّلا، ولا يقتصر على جودة الأداء فقط كما هو الحال في التجويد، بل يتأمل ما يقرأ ويفهمه ويقف عنده.

وقد ثبت الترسُّل في قراءة القرآن من فعْل رسول الله ﷺ: فعن حذيفة رضي الله عنه قال: «صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسِّلًا . . .» الحديث(٣). فقول حذيفة رضي الله عنه في وصف قراءة النبي ﷺ: «يقرأ مترسّلا» دليل على أهمية التأني في القراءة.

ولا شك أن التأني في القراءة يعطي القارئ والسامع الوقت الكافي لفهم النص، ويجعل القلب يتأثر بالنص المسموع ويركّز عليه.

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء كيف كانت قراءة النبي ﷺ ح ٢٩٢٣، وأحمد في مسنده ح ٢٦٥٢٦ ٤٤/١٤٧، والنسائي، كتاب الافتتاح، باب تزيين القرآن بالصوت ح ١٠٢٢ . وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب جواز النافلة قائمًا وقاعدًا ح ٧٣٣ .

(٣) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ح ٧٧٢ .

وقد أخبر ﷻ أن من واجب النبي ﷺ أن يقرأ القرآن على أمته بتمهّل ورويّة، فقال سبحانه: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝١٠٦﴾ [الإسراء: الآية ١٠٦]؛ وذلك لتحصل الاستفادة والاتعاظ من سماع القرآن، وذلك لا يكون إلا مع التمهل وعدم العجلة.

ولم تكن عادة النبي ﷺ الاستعجال في القراءة، ولم يثبت أنه ﷺ ختم القرآن في ليلة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ولا أعلم نبي الله ﷺ قرأ القرآن كله في ليلة، ولا صلى ليلة إلى الصبح»[1].

وكانت طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين التأني في القراءة وكراهية قراءة القرآن بسرعة تخل بالمعنى، ويدل على ذلك: ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأصحابه: **«أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة»**، فشقّ ذلك عليهم، وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟! فقال: **«الله الواحد الصمد[2]: ثلث القرآن»**[3].

والشاهد من هذا الحديث أنه ﷺ لما ندبهم إلى قراءة ثلث القرآن شقّ ذلك عليهم واستعظموه وجعلوه أمرا صعب المنال، بقوله: «وأينا يطيق ذلك يا رسول الله؟!» وهذا يدل على أن قراءتهم كانت قراءة متأنية، ولو كانت قراءة سريعة

---

(١) أخرجه مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض ح ٧٤٦ .

(٢) أي: سورة الإخلاص، قال النووي: «قوله: **«الله الواحد الصمد: ثلث القرآن»** عند الإسماعيلي من رواية خالد الأحمر عن الأعمش، فقال: **«يقرأ** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: الآية ١] **فهي ثلث القرآن»**، فكأن رواية الباب بالمعنى، وقد وقع في حديث أبي مسعود المذكور نظير ذلك، ويحتمل أن يكون سمى السورة بهذا لاشتمالها على الصفتين المذكورتين» فتح الباري ٩/ ٦٠ .

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: الآية ١] ح ٥٠١٥ .

مستعجلة لما صعُب على أحدهم قراءة ثلث القرآن - وهو عشرة أجزاء - وهم الذين يمضون ليلهم رُكّعًا وسجودًا.

وهذا يدل على خطأ من يسرع في القراءة بحيث يُخلّ بتجويد القرآن، وقد جاء رجل إلى ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: قرأت المفصّل الليلة في ركعة، فقال: «ونثرًا كنثر الدقل!! إني أفصِّل لتفصِّلوه، ولقد علمت النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرأ سورتين في ركعة...»[1].

وفي رواية عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «لا تنثروه نثْر الرمل، ولا تهذّوه هذّ الشعر، قِفوا عند عجائبه، وحرِّكوا به القلوب، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة»[2].

وبيّن النبي ﷺ أن القراءة السريعة سبب في عدم فقه القرآن الكريم: فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث**»[3].

وفي لفظ: «**اقرأ في سبع ولا تزيدن على ذلك**»[4].

ويجب على قارئي القرآن وعلى أئمة الصلوات - وبخاصة في رمضان - أن

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب الجمع بين السورتين في الركعة ح ٧٧٥، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ترتيل القراءة واجتناب الهذ، وهو الإفراط في السرعة، وإباحة سورتين فأكثر في ركعة ح ٨٢٢ .

(٢) أخلاق حملة القرآن ١/ ٤ ح ٢، وإسناده صحيح. وأخرجه البيهقي في الشعب ٣/ ٤٠٧ ١٨٨٤ مختصرًا.

(٣) سنن ابن ماجه كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في كم يستحب يختم القرآن ١٣٤٧، والترمذي في الجامع، كتاب القراءات، باب في كم يختم القرآن ح ٢٩٤٧، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب أبواب قراءة القرآن وتحزيبه، باب في كم يقرأ القرآن ح ١٣٨٨، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ١٢٥٥ .

يترسّلوا في قراءتهم تأسيًا بالنبي ﷺ، وألا يكون هَمّ أحدهم ختْم القرآن أو أجزاء منه دون فهْم وتدبُّر.

ثالثًا: تحسين الصوت بالقرآن:

من أسباب تدبّر القرآن التي حثَّ عليها النبي ﷺ تحسين الصوت بالقرآن الكريم، وهو قدرٌ زائد على التجويد والترتيل، فقد قال ﷺ: «**زيِّنوا القرآن بأصواتكم**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به**»(٢).

وعن عبدالجبار بن الورد قال: سمعت ابن أبي مليكة يقول: قال عبيد الله بن أبي يزيد قال: مَرَّ بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته فدخلنا عليه، فإذا رجل رثّ البيت رثّ الهيئة، فسمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن**» قال: فقلت لابن أبي مليكة: يا أبا محمد، أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت؟ قال: يحسّنه ما استطاع(٣).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤/ ٢٨٣ ح ١٨٥١٧، والدارمي ٢/ ٥٦٥ ح ٣٥٠٠، وأبو داود ح ١٤٦٨، وابن ماجه ح ١٣٤٢، وابن خزيمة في صحيحه ٣/ ٢٤ ح ١٥٥١، وابن حبان في صحيحه ٣/ ٥٢ ح ٧٤٩، والحاكم في المستدرك ١/ ٧٦٢ ح ٢١٠١ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ح ١٣٢٠ .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: «**الماهر بالقرآن مع الكرام البررة**» ح ٧٥٤٤، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن ح ٧٩٢ واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ﴾ ح٧٥٢٧ .

وقد كان النبي ﷺ يستمع إلى بعض الصحابة الذين يُحسِّنون أصواتهم بالقرآن، ويوصي بالقراءة عليهم والتلقّي منهم، فقد استمع ﷺ إلى قراءة أبي موسى وامتدحه لحُسن صوته، فقال له: «**لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود**»[١].

وفي رواية: أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «والله يا رسول الله، لو علمت أنك تسمع قراءتي لحبّرته لك تحبيرًا»[٢].

وقد أوصى النبي ﷺ بقراءة القرآن على عبد الله بن مسعود؛ لحُسن صوته وجوْدة قراءته، فقال ﷺ: «**من أحب أن يقرأ القرآن غضًّا كما أنزل؛ فليقرأه على قراءة ابن أم عبد**»[٣].

إن الصوت الجميل يجلب السامعين لسماعه، وكلما ازداد تحسينا ازداد حرص الناس على سماعه وعلى التفكر فيه وعدم الانشغال بغيره عنه.

رابعًا: الجهر بالقراءة:

من عوامل التدبر لكتاب الله تعالى الجهر بالقرآن الكريم، وقد كان النبي ﷺ يجهر بالقرآن، وبيّن أن ذلك محمود، فقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ما أذن[٤] الله لشيء ما أذن لنبي حسن**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن ح ٥٠٤٨، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن ح٧٩٣ واللفظ له.

(٢) هذه الزيادة أخرجها النسائي في الكبرى ٥/ ٢٣ ح ٨٠٥٨، وذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٧١، وقال: وفيه خالد بن نافع الأشعري، وهو ضعيف.

(٣) أخرجه ابن ماجه في افتتاحية الكتاب، باب فضل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ح ١٣٨، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ص٣٩ .

(٤) «ما أذن»: ما استمع. فتح الباري ٩/ ٦٩ .

الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به»[١].

قال الغزالي بعد أن ذكر النصوص الدالة على الإسرار بالقراءة والجهر بها: «فالوجه في الجمع بين هذه الأحاديث أن الإسرار أبعد عن الرياء والتصنُّع، فهو أفضل في حق من يخاف ذلك على نفسه، فإن لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوّش الوقت على مصلٍّ آخر فالجهر أفضل؛ لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائدته أيضًا تتعلق بغيره، فالخير المتعدي أفضل من اللازم، ولأنه يوقظ قلب القارئ، ويجمع همَّه إلى الفكر فيه ويصرف إليه سمعه، ولأنه يطرد النوم في رفع الصوت، ولأنه يزيد في نشاطه للقراءة، ويقلله من كسله»[٢].

خامسًا: إطالة القراءة:

كلما أطال المرء القراءة كان أدعى لحضور القلب وارتباطه بما يتلو، وانسجامه مع الآيات التي يقرأها واجتماع الذهن حولها، وهذا بخلاف القراءة القصيرة التي قد لا يتمكن بعض الناس من استحضار القلب والخشوع معها.

وقد كان من نهج رسول الله ﷺ إطالة القراءة في الصلاة: فعن حذيفة رضي الله عنه قال: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسّلًا: إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبّح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوّذ تعوّذ، ثم ركع فجعل يقول: «**سبحان ربي العظيم**»، فكان ركوعه نحوًا من قيامه، ثم قال: «**سمع الله لمن حمده**»، ثم قام طويلًا قريبًا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: «**الماهر بالقرآن مع الكرام البررة**» ح ٧٥٤٤، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن ح ٧٩٢ واللفظ له.

(٢) إحياء علوم الدين ٣/ ٥٠٤ .

مما ركع، ثم سجد فقال: «**سبحان ربي الأعلى**»، فكان سجوده قريبًا من قيامه[١].

بل بلغ من طول قيامه ﷺ في الصلاة والتهجد بالقرآن أن يطيل القيام حتى يُتعب من يصلي معه: فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «صليت مع النبي ﷺ ليلة، فلم يزل قائمًا حتى هممت بأمر سوء، قلنا: وما هممت؟ قال: هممت أن أقعد وأذر النبي ﷺ»[٢].

سادسًا: البكاء والخشوع عند القراءة:

كان إمام المتقين وخير عباد الله الصالحين صلوات الله وسلامه عليه تدمع عيناه حتى تنهمران ويسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل: فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اقْرَأْ عَلَيَّ**». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قَالَ: «**نَعَمْ**». فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الآيَةِ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: الآية ٤١] قَالَ: «**حَسْبُكَ الآنَ**». فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ[٣].

فبكى صلوات الله وسلامه عليه رحمة ورأفة بأمته؛ لأنّه علم أنه لا بدّ أن يشهد

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ح ٧٧٢ .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب طول القيام في صلاة الليل ح ١١٣٥، واللفظ له، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ح ٧٧٣ .

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: الآية ٤١] ح ٤٥٨٣، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر ح ٨٠٠ .

عليهم بعملهم، وعملهم قد لا يكون مستقيمًا فقد يُفضي إلى تعذيبهم[١].

وعن عبد اللّه بن الشِّخِّير ﷺ قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ مِنَ الْبُكَاءِ»[٢].

وعن عائشة ﵂، أنها سُئلت عن أعجب شيء رأته من رسول الله ﷺ. قالت: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي**». قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الأَرْضَ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾**»[٣].

سابعًا: ربط الآية بالواقع أو الحدث:

إنَّ مما يعين على تدبر القرآن استغلال الأحداث والمناسبات والوقائع وربطها بالآيات القرآنية؛ لما في ذلك من الأثر الكبير في فهم القرآن وتدبره، وقد استخدم

---

(١) ينظر: فتح الباري ٩/ ٩٩.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢٦/ ٢٣٩ ح ١٦٣١٢، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه ح ٩٠٠، وابن حبان ٣/ ٣١ ح ٧٥٤، والحاكم في المستدرك ١/ ٢٦٤ ح ٩١٧ وقال ابن حجر: «إسناده قويّ» فتح الباري ٢/ ٢٠٦.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب التوبة، باب ذكر البيان بأن المرء عليه إذا تخلى لزوم البكاء على ما ارتكب من الحوبات... حديث رقم ٦٢٠. وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

النبي ﷺ هذا الأسلوب التربوي مع أصحابه: فمن ذلك ما روي عن أَبِي سعيد بن الْمُعَلَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَدَعَانِي فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ ثُمَّ أَتَيْتُهُ، فَقَالَ: «**مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَ، أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ:** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٢٤]»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَالَ: «**مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ**». قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «**وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا قُومُوا...**». الحديث، وفيه قصة استضافة الأنصاري لهم، فجاءهم بعذق فيه بُسر وتمر ورطب، وذبح لهم شاة فأكلوا وشربوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ**»[2]. يشير عليه الصلاة والسلام إلى الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: الآية ٨].

ثامنًا: نماذج من تدبر النبي ﷺ غير ما سبق التمثيل به:

سأل عبيد الله بن عمير عائشة رضي الله عنها فقال: «أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ، قال: فسكتت، ثم قالت: لما كانت ليلة من الليالي قال ﷺ: «**يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي**». قلت: والله إني لأحب قربك وأحب ما سرك. قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي. قالت: فلم يزل يبكي حتى بَلَّ حجره، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بَل لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بَلَّ الأرض. فجاء

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ ح ٤٦٤٧.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك... ح ٢٠٣٨.

بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله، لِمَ تَبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟ قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا؛ لقد نزلت عليَّ الليلة آيةٌ ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾** [البقرة: الآية ١٦٤] **الآية كلها**»[١].

لا شكّ أن التفكر هنا بمعنى التدبر، وهكذا بكى النبي ﷺ في صلاته من تدبره وتفكره، كيف وقد أراه الله ﷻ سرًّا من أسرار ملكوته، حتى بكت الأرض من بكائه ﷺ.

وعن أُبَي بْن كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: كَان رَسُول اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ الليل قَامَ فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اذْكُرُوا اللَّهَ اذْكُرُوا اللَّهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَة تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ**»[٢]. ولا يخفى ما في الحديث من تضمين لآيتي النازعات: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝﴾ [النازعات: ٦ - ٧]، وفي هذا تدبر عجيب لهذه الحقيقة الإيمانية خاصة في جوف ليل بهيم:

- فشبه الليل بظلمة القبر من جهة، ولأن الليل من جهة أخرى هو موت لحركة النهار.

- إشارة إلى أن على المؤمن أن يجعل تفكيره في الظواهر الكونية مرتبطًا بتدبره للآيات القرآنية.

- لا شكّ أن هذا ينتج عنه تشمير وجدّ وعمل، فالآيات القرآنية يكون لها وقع

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» كتاب التوبة، باب ذكر البيان بأن المرء عليه إذا تخلى لزوم البكاء على ما ارتكب من الحوبات... حديث رقم ٦٢٠ . وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب أبواب صفة القيامة - والباب بدون اسم- حديث رقم ٢٤٥٧، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف جامع الترمذي.

على النفس الكسولة الغافلة كوقع السوط على ظهر الدابة الخاملة، فتقفز مسرعة بصاحبها في الطريق.

وروى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، «أنه صلى مع النبي ﷺ ذات ليلة، فكان يقرأ مترسلًا: إذا مرّ بآية فيها تسبيح سَبَّحَ، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوذ تعوذ»[1].

فهذا يُعد تطبيقًا عمليًا للتدبر ظهر بالتسبيح والسؤال والتعوذ.

وعن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ ليلة فقرأ بآية حتى أصبح، يركع بها ويسجد بها: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: الآية ١١٨][2]. وهكذا قدّم رسول الله ﷺ التدبر على كثرة التلاوة، فيقرأ آية واحدة فقط في ليلة كاملة.

المعيار الثاني: منهج السلف الصالح في تلقّي القرآن وتدبّره:

إن من تأمل حياة سلفنا الصالح مع القرآن وجد لهم منهجًا في تلقّي القرآن وتدبّره، وحقيق بمن يريد سلوك طريقهم أن يتعرّف على منهجهم في تلقّي القرآن وتدبّره.

ويمكن تحديد معالم منهج السلف فيما يلي:

❏ ١- يقينهم بمنزلة القرآن، وإيمانهم بقيمته:

فمن عرف قيمة الشيء اعتنى به واهتم به، والقلب إذا أحب شيئًا تعلّق به،

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ح ٧٧٢ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٥٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٣٩ ح ١١١٦١، والحاكم في المستدرك ١/ ٣٦٧ ح ٨٧٩، وابن ماجه في السنن ١/ ٤٢٩ ح ١٣٥٠، وقال النووي: رواه النسائي وابن ماجه بإسناد حسن. خلاصة الأحكام ١/ ٥٩٥ .

واشتاق إليه، فإذا أحب القلب القرآن تلذّذ بقراءته واجتمع على فهمه، فيصل بذلك إلى مقصوده - وهو التدبر - والعمل بالقرآن.

والرعيل الأول هم أكثر الأجيال إيمانًا بالقرآن وبالثقة الكبيرة فيه كمصدر متفرّد للهداية. وقد ظهر ذلك من خلال آثارهم المنقولة في بيان عظمة القرآن وقيمته.

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «من أحب أن يعلم أنه يحب الله ورسوله فلينظر؛ فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله وَرَسُولَهُ»(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «ضمن الله لمن قرأ القرآن واتبع ما فيه أن لا يضل ولا يشقى، ثم تلا: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: الآية ١٢٣]»(٢).

ويقول البخاري: «لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن بالقرآن، ولا يحمله بحقّه إلا الموقن»(٣).

فسلفنا الصالح عظّموا نعمة القرآن، واستشعروا مِنّة الله بها على هذه الأمة، وقدروها حق قدرها، ومن ذلك: ما ورد أنه لما قدم خَراج العراق إلى عمر رضي الله عنه خرج عمر رضي الله عنه ومولى له فجعل يعدّ الإبل فإذا هو أكثر من ذلك، فجعل عمر رضي الله عنه يقول: الحمد لله، وجعل مولاه يقول: هذا والله من فضل الله ورحمته، فقال عمر رضي الله عنه: كذبتَ، ليس هذا، هو الذي يقول الله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ح ٨٦٥٧ ٩/ ١٣٢، والبيهقي في شعب الإيمان ح ١٨٦١ ٣/ ٣٩٤ .

(٢) قيام الليل للمروزي ص١٧٣ .

(٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد عند باب قول الله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ﴾ [آل عمران: الآية ٩٣].

﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس: الآية ٥٨] وهذا مما يجمعون[١].

فسلفنا الصالح كانوا يعدّون الفضل الأول والرحمة الأولى هي ما جاءهم من الله من موعظة وهدى، وأما المال والثراء الذي يأتيهم من الله فهو تبَعٌ لذلك.

❑ ٢- تعلّمهم الإيمان قبل القرآن:

فالرعيل الأول من الأمة المحمدية غُرِسَ في قلوبِهم تعظيمُ الله وتعظيمُ أمره ونهيه، فسَهُلَ عليهم بعد ذلك تلقِّي الأحكامِ الشرعية.

«وهذا المنهج قد اتخذهُ القرآنُ في تربيتِهِ للصحابةِ أوَّل الإسلام؛ حيث كان أوَّل نزولِ القرآنِ تَرْبِيةً على الإيمانِ في السُّور المكية وخاصّةً المُفصَّل منها، فكلُّه في تَرسِيخِ الإيمانِ باللهِ واليومِ الآخر، فأَوْرَثَ في نفوسِهم الإيمانَ الصحيحَ والتعظيمَ للقرآن، وهَيَّأَ نفوسَهم لِتَلَقِّي تَوجيهاتِه»[٢].

وورد في هذا المعنى آثار تبيّن أن النبي ﷺ اتبع هذا المنهج مع صحابته، ونقلوه لمن بعدهم، فكان له عظيم الأثر في انتفاعهم بالقرآن.

يقول عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: «لقد عشنا بُرْهة من دهرنا وإن أَحْدَثَنَا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلّم حلالها وحرامها، وما ينبغي أن يُوقف عنده فيها كما تعلّمون أنتم القرآن»، ثم قال: «لقد رأيت رجالًا يؤتى أحدهم القرآن فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما آمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يُوقف عنده منه، ينثره نثْر الدَّقَل»[٣].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٢٧٥، وينظر: كنز العمال ٢/ ٤٣٢ ح ٤٤٢٢.
(٢) منهج السلف في تلقي القرآن وتدبره، د. محمد الربيعة.
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ح ١٠١ ١/ ٩١، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولا أعرف له علة ولم يخرجاه.

ويؤكد على هذا المعنى الصحابي الجليل جُندب بن عبد الله رضي الله عنه بقوله: «كنا مع النبي ﷺ ونحن غلمان حَزَاوِرة[١] فتعلّمنا الإيمان قبل القرآن، ثم تعلّمنا القرآن فازددنا إيمانًا»[٢].

❑ ٣- حرصهم على التلاوة اليومية للقرآن:

إن كثرة ملازمة القرآن وتلاوته يوشك بها المسلم أن يُفتح له باب التدبر، ومن أكثر الطرق قارب الدخول، وعلى قدر ما يعطي الإنسان للقرآن سيعطيه القرآن، ومن هنا تأتي أهمية التلاوة اليومية للقرآن كمِفْتاح للتدبر.

وكان النبي ﷺ حريصًا على قراءة القرآن كل يوم، فلما جاء وفد ثقيف إلى المدينة أنزلهم رسول الله ﷺ في قُبّة بين المسجد وبين أهله، فكان يأتيهم ويُحدِّثهم بعد العشاء، وفي ليلة من الليالي تأخر عليهم ثم أتاهم فقالوا له: يا رسول الله، لبثتَ عنا الليلة أكثر مما كنت تلبث؛ فقال: «**نعم، طرأ عليّ حِزْبي من القرآن، فكرهت أن أخرج من المسجد حتى أقضيه**»[٣].

وقد انتقل هذا الحرص من النبي ﷺ إلى أصحابه من بعده، وكان هذا الأمر

---

(١) حزاورة: جمع الحزور، وهو الغلام إذا اشتد وقوي. ينظر: النهاية ح ز و ر.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب المقدمة، باب في الإيمان ح ٦١، والطبراني في المعجم الكبير ح ١٦٧٨ ٢/ ١٦٥، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجة ٦١.

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن ح ١٣٩٣، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في كم يستحب يُختم القرآن ح ١٣٤٥، وأحمد في مسنده ح ١٦١٦٦ ٢٦/ ٨٨-٨٩ . وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف؛ لضعف عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، وعثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال الذهبي في «الميزان»: محله الصدق. وقال ابن حجر في «التقريب»: مقبول.

مشهورًا بينهم، يقومون به ويؤدّونه كما طُلب منهم، لا يتهاونون به.

قال الأوزاعي: «كان يقال: خمسٌ كان عليها أصحاب محمد ﷺ والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتِّبَاعُ السنة، وعِمَارة المسجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله»(١).

وقد قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «لو أن قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربنا، وإني لأكره أن يأتي عليّ يوم لا أنظر في المصحف وما مات عثمان حتى خُرق مصحفه من كثرة ما كان يديم النظر فيه»(٢).

وقد كان للسلف وِرد يومي من القرآن لا يتكاسلون في القيام به، ويحاسبون أنفسهم على ذلك، فمن ذلك:

عن أبي بكر بن عمرو بن حزم، أن رجلًا استأذن على عمر رضي الله عنه بالهاجرة فحجبه طويلًا ثم أذن له فقال: «إني كنت نمتُ عن حزبي فكنت أقضيه»(٣).

وعن القاسم بن محمد بن أبي بكر قال: كنا نأتي عائشة رضي الله عنها قبل صلاة الفجر، فأتيناها ذات يوم فإذا هي تصلي، فقالت: «نمتُ عن حزبي في هذه الليلة فلم أكن لأدعه»(٤).

وما ورد عن عروة بن الزبير رحمه الله، «أنه كان يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف نظرًا ويقوم به الليل، فما تركه إلا ليلة قُطعت رِجْله، ثم عاود حِزبه من الليلة المقبلة»(٥).

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ٦/ ١٤٢ .
(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ح ٢٠٣٠ ٣/ ٥٠٩ .
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ح ٤٧٨٢ ١/ ٤١٦ .
(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ح ٤٧٨٤ ١/ ٤١٦ .
(٥) حلية الأولياء لأبي نعيم ٢/ ١٧٨، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٤/ ٤٢٦ .

إنه الحرص على عدم تَرْك هذا الورد اليومي مهما حالت دونه الحوائل أو اعترضته العوارض؛ لأنهم يعلمون يقينًا أن هذا هو غذاء القلب الذي لا يحيا بدونه.

والمقصود من المداومة اليومية على تلاوة القرآن: «أن الإنسان من طبيعته النسيان، وكذلك لتعرّضه المستمر للمغريات والملهيات خلال يومه وليلته؛ كان من الأهمية بمكان أن يداوم على قراءة القرآن لتحدث له دوام التذكرة والتبصرة، وليُعَوِّض بالقرآن ما فقده من إيمان، وليس ذلك فحسب، بل وليغذي قلبه بالروح التي تجعله دومًا في إقبال على الله.

من هنا كانت التوجيهات النبوية المتعددة بكثرة تلاوة القرآن وتعاهده كل يوم، وحتى لا تملّ النفس كان رصد الجوائز والأجر العظيم لكل من قرأ حرفًا من القرآن، ليستمر الحافز والدافع لديها للقراءة؛ كل ذلك ليتحقق المقصود من اللقاء بالقرآن»[١].

❑ ٤- اهتمامهم بترتيل القرآن:

أمر الله رسوله ﷺ بترتيل القرآن مؤكّدًا هذا الأمر بمصدر الفعل، فقال: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: الآية ٤]، وقال سبحانه: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: الآية ١٠٦]؛ لأن الترتيل له وظيفة كبيرة في الطرق على المشاعر، ومِنْ ثَمّ استثارتها وتجاوبها مع الفهم الذي سيولّده التدبر؛ لينشأ بذلك الإيمان حينما يتعانق الفهم مع التأثر، ومن هنا تأتي أهمية الترتيل كمِفْتاح من مفاتيح التدبر التي حرص عليها سلفنا الصالح.

وقد اعتنى الصحابة ﷺ بالترتيل، ووجّهوا نظر من بعدهم إليه؛ لأن القراءة

---

(١) تحقيق الوصال بين القلب والقرآن، د. مجدي الهلالي ص١٣٤ .

المتأنية أدعى لحسن الفهم، ولأن الترتيل معناه التمهل والتأمل والتدبر، وذلك مُعِين على الفهم والعمل والمعرفة والامتثال.

فقد أنكر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه على نهيك بن سنان سرعته في القراءة لما قال له: إني لأقرأ المفصّل في ركعة. فقال عبد الله: «هَذًّا كهذِّ الشِّعر[1]!! إن أقوامًا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه؛ نفع»[2].

وسئل مجاهد بن جبر رحمه الله عن رجلٍ قرأ البقرة وآل عمران، ورجلٍ قرأ البقرة، قيامهما واحد، وركوعهما واحد، وسجودهما واحد، وجلوسهما واحد، أيهما أفضل؟ فقال: (الذي قرأ البقرة، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: الآية ١٠٦] [3].

وقال محمد القرظي: «لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح بـ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ [الزلزلة: الآية ١]، و﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١﴾ [القارعة: الآية ١] لا أزيد عليهما وأتردد فيهما وأتفكر- أحبّ إليّ من أن أهذّ القرآن ليلتي هذًّا!!» أو قال: «أنثره نثْرا»[4].

٥- قيامهم الليل بالقرآن:

إن قراءة القرآن والقيام به في الليل من أعظم الوسائل المساعدة على تدبر القرآن وتذكّر معانيه، وتثبيتها في القلب. وقد أكد النص الشرعي على هذه

---

(١) الهذّ: سرعة القطع. أراد أتهذ القرآن هذا فتسرع فيه كما تسرع في قراءة الشعر؟! النهاية هـ ذ ذ.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ترتيل القراءة، واجتناب الهذ، وهو الإفراط في السرعة، وإباحة سورتين فأكثر في ركعة ح ٨٢٢

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ح ٤١٨٨ ٢/ ٤٨٩، وابن المبارك في الزهد ١/ ١٥٥ .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢/ ٢٥٦رقم ٨٧٣٢، وإسناده ضعيف، لضعف عبيد الله ابن عبد الرحمن، تقريب التهذيب ص٣٧٣ .

المعاني:

فقال ربنا: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ٧٩﴾ [الإسراء: الآية ٧٩] «فدلت الآية على أن التهجد بالقرآن طريق للوصول إلى المقامات العالية في الآخرة»[١].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلًا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلًا ثَقِيلًا ٥﴾ [المزمل: ١ - ٥]. «فدلت الآية على أن القيام بالقرآن هو السبيل لتحمّل الأحمال الثقيلة، سواء في ذلك الدينية أو الدنيوية، فهو الطريق لمواجهة وحل مشاكل وصعوبات الحياة كلها»[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره، وإذا لم يقم به نسيه**»[٣].

ويقول ابن حجر رحمه الله عن مدارسة جبريل لرسول الله ﷺ في كل ليلة من رمضان: «المقصود من التلاوة الحضور والفهم؛ لأن الليل مظنة ذلك، لما في النهار من الشواغل والعوارض الدنيوية والدينية»[٤].

وهناك شواهد كثيرة تدل على اقتران قراءة القرآن بالليل، قد أدرك سلفنا الصالح قيمة وأهمية قيام الليل بالقرآن فحرصوا عليه، وربّوا عليه أنفسهم ومَن بعدهم، وكان هذا شعارهم رجالًا ونساء، ومن كان يسير في طرقات المدينة ليلًا لا تخطئ أذنيه آيات القرآن وهي تنساب من كل بيت، فالجميع يقرأ ويترنم ويبكي، ويستشعر حلاوة الإيمان، فيدفعه ذلك إلى مزيد من القراءة بتدبر وترتيل، حتى في

---

(١) مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، د. خالد اللاحم ص٦١ .
(٢) المصدر السابق.
(٣) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الأمر بتعهد القرآن ح ٧٨٩ .
(٤) فتح الباري لابن حجر ٩/ ٤٥ .

أصعب أوقاتهم - أوقات الجهاد - لم يكونوا يتركون قيام الليل؛ لعلمهم بقيمته وأهميته.

فعن أبي موسى الأشعري ﵁ قال: قال النبي ﷺ: **«إني لأعرف أصوات رُفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار»**[(١)].

ومر النبي ﷺ على امرأة تقرأ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾ [الغاشية: الآية ١] فقام يستمع ويقول: **«نعم، قد جاءني»**[(٢)].

وتصف هند بنت عتبة قبل إسلامها لأبي سفيان حال الصحابة بعد دخولهم مكة فتقول: أريد أن أبايع محمدًا، قال أبو سفيان: قد رأيتك تكفرين؟ قالت: إي والله، والله ما رأيت الله تعالى عُبد حق عبادته في هذا المسجد قبل الليلة، والله إن باتوا إلا مصلِّين قيامًا وركوعًا وسجودًا»[(٣)].

بعد انتهاء معركة القادسية وانتصار المسلمين، كتب سعد بن أبي وقاص ﵁ إلى عمر بن الخطاب ﵁ كتابًا يخبره فيه بالفتح، فكان مما فيه: «... وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القاري وفلان وفلان ورجال من المسلمين لا يعلمهم إلا الله، فإنه بهم عالم... كانوا يُدوّون بالقرآن إذا جنّ عليهم الليل كدوي

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ح ٤٢٣٢، ومسلم كتاب الفضائل، باب من فضائل الأشعريين ح ٢٤٩٩.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ١٠/ ٣٤١٤ ١٩٢١٠، وابن كثير في التفسير ٨/ ٣٨٤.
وقال الدكتور علوي السقاف في تخريج أحاديث الظلال ص٥١٠: مرسل، رواه ابن أبي حاتم نقلًا عن ابن كثير بإسناده من مرسل عمرو بن ميمون، وهو مخضرم، أدرك الجاهلية، ولم يلقَ النبي ﷺ، وبقية رجاله ثقات، والله أعلم.

(٣) البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار في الشرح الكبير ٨/ ٥٩٥، ولم أقف عليه إلا في هذا الموضع.

النحل، وهم آساد في النهار لا تشبههم الأسود»[١].

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: «إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبّرونها بالليل، ويتفقّدونها في النهار»[٢].

وقد نعى سلفنا على من نام عن قيام الليل بالقرآن، وعدّوا ذلك ذمًّا في حق المسلم: فعن أبي رجاء قلت للحسن رحمه الله: (ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ولا يقوم به، إنما يصلي المكتوبة؟ قال: لعمر الله ذاك إنما يتوسد القرآن[٣])[٤].

فبهذه الآثار يتبيّن أن قيام الليل بالقرآن «يمكن أن يُشبّه باجتماع الأكسجين مع الهيدروجين، حيث ينتج من تركيبهما الماء الذي به حياة الأبدان؛ فكذلك اجتماع القرآن مع الصلاة ينتج معه حياة القلب وصحته وقوته»[٥].

❑ ٦- ترديد الآيات التي تؤثّر في القلب:

إن من منهج السلف الصالح في تدبر القرآن: ترديد الآية أو الآيات التي حدث معها تجاوب وتأثر قلبي، حتى يتسنّى للقلب الاستزادة من النور الذي يدخل، والإيمان الذي يزيد في هذه اللحظات. فتكرار الآية أو الآيات أدعى إلى حُصُول الإيمان وذوْق حلاوة الْقرْآن، وقد نصّ العلماء على أن هذا كان دأب السلف الصالح.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٩/٦٣٦ .

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص٥٤ .

(٣) يتوسد القرآن: لا ينام الليل عن القرآن ولم يتهجد به، فيكون القرآن متوسدًا معه، بل هو يداوم قراءته ويحافظ عليها. النهاية و س د.

(٤) قيام الليل للمروزي ص٢٥ .

(٥) مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، د. خالد اللاحم ص٦٣ .

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد بات جماعة من السلف يتلون آية واحدة يتدبرونها، ويردّدونها إلى الصباح»(١). وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذِه كَانَت عَادَة السّلف يردد أحدهم الآية إلى الصَّباح»(٢).

وهذه نماذج تدل على ثبات هذا المنهج عندهم:

قال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «صلى بنا رسول الله ﷺ ذات ليلة العشاء، ثم رجع إلى أهله، فلما تكفأت عنه العيون رجع إلى مقامه فجئت فقمت خلفه قبل أن يركع، فأومأ إليّ بيده فقمتُ عن يمينه، ثم جاء عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقام خلفنا فأومأ إليه بيده فقام عن شماله، فقام رسول الله ﷺ حتى أصبح يتلو آية واحدة من كتاب الله بها ويركع بها ويسجد بها يدعو حتى أصبح ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: الآية ١١٨]»(٣).

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه ردّد قول الله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: الآية ١١٤](٤).

وعن مسروق قال: قال لي رجل من أهل مكة: «هذا مقام أخيك تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح - أو كاد أن يصبح - يقرأ آية من كتاب الله، يركع ويسجد ويبكي: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: الآية ٢١]»(٥).

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص٨٣ .

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم ص١٨٧ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٥٦، والنسائي في الكبرى، ٦/ ٣٣٩ ح ١١١٦١، والحاكم في المستدرك ١/ ٣٦٧ ح ٨٧٩، وابن ماجه في السنن ١/ ٤٢٩ ح ١٣٥٠، وقال النووي: رواه النسائي وابن ماجه بإسناد حسن. خلاصة الأحكام ١/ ٥٩٥ .

(٤) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص٨٦ .

(٥) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ح ١١٨٣٣ ١٠/ ٤٠٠، والطبراني في المعجم الكبير ح ١٢٥٠ ٢/ ٥٠ .

وعن القاسم بن أبي أيوب، أن سعيد بن جبير ردّد هذه الآية: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: الآية ٢٨١] بضعًا وعشرين مرة[١].

وعن هشام الدستوائي قال: «لما تُوفي عمرو بن عتبة بن فرقد دخل بعض أصحابه على أخته، فقال: أخبرينا عنه. فقالت: قام ذات ليلة فاستفتح سورة حم، فلما أتى على هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ [غافر: الآية ١٨]فما جاوزها حتى أصبح»[٢].

وقال زيد بن الكميت: كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله، فقرأ بنا علي بن الحسين المؤذن ليلة في عشاء الآخرة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ [الزلزلة: الآية ١] وأبو حنيفة خلفه، فظل قائمًا إلى الصباح وهو يقول: «يا من يجزي مثقال ذرة خير خيرًا، ويا من يجزي مثقال ذرة شر شرًّا، أجِر النعمان عبدك من النار، وما يقرّب منها من السوء، وأدخِله في سعة رحمتك»[٣].

ولأهمية تكرار الآيات في حصول التأثر بالقرآن فقد أوصى العلماء بالحرص عليه، فقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكّر حتى مرّ بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كرّرها ولو مائة مرة ولو ليلة، فقراءة آية بتفكّر وتفهّم خيرٌ من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان، وذوْق حلاوة القرآن»[٤].

❑ ٧- مدارسة القرآن:

مدارسة القرآن صورة من صور الرغبة في تفهّم القرآن، والوقوف على حروفه

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ح ٣٥٣٥١، ٧/٢٠٣ .
(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ٤/١٥٨ .
(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٥/٤٨٧ .
(٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم ١٨٧ .

وحدوده، واستنباط حِكمه ومعانيه، فالمدارسة تعين على توقّد الذهن، وحضور العقل، وتكامل الفكر، حتى يفيد المتدارسون للقرآن أكبر فائدة.

ومن أبلغ الدلائل على فضيلة مدارسة القرآن ما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطّأ به عمله لم يُسرع به نسبه**»(١).

وقد قدّم لنا نبينا ﷺ نموذجًا عمليًا لمدارسة القرآن: فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»(٢).

وقد استقر هذا المبدأ عند سلفنا الصالح، فعلى الرغم من أنهم كانوا أقرب الناس إلى القرآن: معايشة ولغة وفهمًا، فإنهم كانوا حريصين على مدارسة القرآن، وقد ورد عنهم ما يدل على أهميتها:

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «الدراسة صلاة»(٣). وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «تذاكر العلم بعض ليلة أحب إليّ من إحيائها»(٤).

وعن ابن أبي مليكة، «أن عائشة زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئًا لا تعرفه إلا

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ح ٢٦٩٩ .

(٢) أخرجه البخاري، باب بدء الوحي ح ٦، ومسلم كتاب الفضائل، باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة ح ٢٣٠٨ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ١٠٤ .

(٤) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ١١٧ .

راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال: «**من حُوسب عُذِّب**» قالت عائشة رضي الله عنها: فقلت: أوليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: الآية ٨]؟ قالت: فقال: «**إنما ذلك العرض، ولكن من نُوقش الحساب يهلك**»(١).

وعن عبيد بن عمير قال: قال عمر رضي الله عنه يومًا لأصحاب النبي ﷺ: «فيم ترون هذه الآية نزلت: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ [البقرة: الآية ٢٦٦]؟ قالوا: الله أعلم. فغضب عمر، فقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم. فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين. قال عمر: يا بن أخي قُل، ولا تحقر نفسك. قال ابن عباس: ضُربت مثلًا لعملٍ. قال عمر: أي عمل؟ قلت: شيء ألقي في روعي فقلته. فتركني، وأقبل وهو يفسّرها صدقت يا بن أخي، عُنِيَ بها العمل، ابن آدم أفقر ما يكون إلى جنته إذا كبرت سنه وكثر عياله! وابن آدم أفقر ما يكون إلى عمله يوم القيامة!. صدقت يا بن أخي»(٢).

❏ ٨- حرصهم على الفهم والعمل:

بيّن لنا ربنا الهدف الأسمى من نزول القرآن ألا وهو تدبّره والعمل به فقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: الآية ٢٩].

وحرص نبينا ﷺ على بيان هذا الهدف لأمته، فعندما سأله عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن ختم القرآن في أقل من ثلاثة أيام قال له: «**لا يفقهه من يقرؤه في أقل من ثلاث**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من سمع شيئًا فلم يفهمه فراجع فيه حتى يعرفه. ح ١٠٣.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قولِهِ: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [البقرة: الآية ٢٦٦] ح ٤٥٣٨، ٦/٣١ بنحوه، وذكرها السيوطي في الدر المنثور ٢/٤٧ .

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في كم يستحب يختم =

و«كان ﷺ دائم التحذير لصحابته ولأمته من بعده من أن يتحوّل القرآن من وسيلة عظيمة لإحياء القلب وبثّ الروح فيه إلى قراءة حنجرية فقط؛ طلبًا للأجر والثواب دون الانتفاع الحقيقي به»(١).

ووعي الصحابة توجيهات القرآن ونبيهم ﷺ حول فهم القرآن والعمل به، فاستقر هذا منهجًا عندهم.

❑ ٩- التمهل وعدم الإسراع في حفظ القرآن:

وليس أدل على ذلك من قول أبي عبد الرحمن السُّلمي: حدّثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي ﷺ، أنهم «كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا: فعلمنا العلم والعمل»(٢).

وذكر الإمام مالك في «الموطأ»، أنه بلغه «أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مكث على سورة البقرة ثماني سنين يتعلمها»(٣).

«إن حفظ سورة البقرة لا يستغرق عدة أسابيع أو شهور إن كان الأمر يقتصر على حفظ ألفاظها فقط، أما إذا كان الأمر مرتبطًا بتأثير القرآن على العقل ليعيد تشكيله،

= القرآن ح ١٣٤٧ . والترمذي في الجامع، كتاب القراءات، باب في كم يختم القرآن ح٢٩٤٧، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(١) تحقيق الوصال بين القلب والقرآن، د. مجدي الهلالي ص٧٣ .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٦/ ١١٧، والإمام أحمد في مسنده ٣٨/ ٤٦٦ وصحَّحه محققو المسند، والطبري في جامع البيان ١/ ٧٤ . قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٧/ ٤٠٨: وهذا أمر مشهور، رواه الناس عن عامة أهل الحديث والتفسير، وله إسناد معروف.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ح ٦٩٥ ٢/ ٢٨٧ .

وعلى القلب ليعبّده لله ﷻ، فالأمر بلا شك سيختلف، وسيحتاج إلى سنين كما فعل عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما»[(١)].

١٠- الوقوف عند المعاني:

والمقصود من ذلك: «أن يقف القارئ عند المعنى فلا يتجاوزه إلى غيره، متأملًا له ومعتبرًا به، وهو المقصود من حُسن الاستماع والتلاوة، ومن ترتيل القرآن والتغني به»[(٢)].

وهذا المبدأ كان دأب السلف مع القرآن، إمامهم في ذلك سيد المتدبرين ﷺ:

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها، يقرأ مترسّلًا: إذا مر بآية فيها تسبيحٌ سبّح، وإذا مرّ بسؤالٍ سأل، وإذا مرّ بتعوّذٍ تعوّذ ثم ركع»[(٣)].

وعن ابن أبي مليكة قال: سافرت مع ابن عباس رضي الله عنه من مكة إلى المدينة، وهم يسيرون إليها وينزلون بالليل، فـ(كان ابن عباس رضي الله عنه يقوم نصف الليل فيقرأ القرآن حرفًا حرفًا، ثم حكى قراءته، قال: ثم يبكي حتى تسْمَع له نشيجًا)[(٤)].

يقول إسحاق بن إبراهيم الطبري عن الفضيل بن عياض: «كانت قراءته حزينة شهيّة بطيئة مترسّلة كأنه يخاطب إنسانًا، وكان إذا مر بآية فيها ذكر الجنة، يردّد فيها وسأل»[(٥)].

---

(١) العودة إلى القرآن، د. مجدي الهلالي ص٨٤ .

(٢) تدبر القرآن للسنيدي ص١٢٤ .

(٣) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ح ٧٧٢ .

(٤) مختصر قيام الليل للمروزي ص١٣١ .

(٥) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢٧ - ٤٢٨ .

❑ ١١- حرصهم على تعليم غيرهم القرآن بطريقة تربط بين اللفظ والمعنى:

كان الصحابة ﷺ يجتهدون في تعليم من بعدهم القرآن بطريقة تربط بين اللفظ والمعنى، وتحقّق مفهوم التعليم، وكانوا يقتصرون في الجِلْسة الواحدة على آية أو بضع آيات حتى يتم الانتفاع بها[(١)].

قال أبو رجاء العطاردي: (كان أبو موسى رضي الله عنه يعلّمنا القرآن خمس آيات خمس آيات)[(٢)].

وقال أبو العالية: (تعلّموا القرآن خمس آيات خمس آيات؛ إنه أحفظ لكم، وإن جبريل صلوات الله عليه كان ينزل بخمس آيات متواليات)[(٣)].

❑ ١٢- النصيحة والوصية بفهم القرآن والعمل به، والتحذير من عدم العمل:

أوصى جُندب بن عبد الله رضي الله عنه أهل البصرة بوصية فقال فيها: (وعليكم بالقرآن؛ فإنه هُدَى النهار، ونور الليل المظلم، فاعملوا به على ما كان من جَهد وفاقة)[(٤)].

ويوصى الحسن بن علي رضي الله عنهما بوصية مهمةٍ وضابطة لقراءة القرآن، فيقول: (اقرأ القرآن ما نهاك، فإذا لم ينهك فلست تقرؤه)[(٥)].

«لذلك لما بدأ المسلمون في عصر التابعين يُقبلون على حفظ القرآن بشكل مختلف عما كان يفعله الصحابة، ازداد تحذير الصحابة لهم وتخويفهم من خطورة

---

(١) تحقيق الوصال بين القلب والقرآن، د. مجدي الهلالي ص٩٤ .
(٢) معرفة القراء الكبار للذهبي ص٣١ .
(٣) فضائل القرآن للمستغفري ١/ ٣٢٠ .
(٤) فضائل القرآن لأبي عبيد ص٧٧ .
(٥) فضائل القرآن لأبي عبيد ص٧٨ .

حمْل ألفاظ القرآن دون إدراك معانيه ومعرفة أحكامه، والعمل بما تدل عليه آياته»[١].

فقد جمع أبو موسى الأشعري رضي الله عنه الذين حفظوا القرآن في الكوفة، وكان عددهم يبلغ قرابة الثلاثمائة، فعظَّم القرآن، وقال: (إن هذا القرآن كائن لكم ذُخرًا، وكائن عليكم وزرًا، فاتبعوا القرآن ولا يتبعكم، فإنه من اتبع القرآن هبط به على رياض الجنة، ومن اتبعه القرآن زجَّ به في قفاه فقذفه في النار)[٢].

وقد وعى التابعون توجيهات الصحابة بضرورة فهم القرآن والعمل به فأثّرت فيهم هذه التوجيهات، فقد قال الحسن البصري: (إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله، ولم يتأولوا الأمر من قِبل أوله، وقال الله سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: الآية ٢٩]، وما تدبر آياته إلا اتباعه لعلمه، والله يعلمه، أما والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: لقد قرأت القرآن كله فما أسقطت منه حرفًا، وقد والله أسقطه كله، ما يُرى له القرآن في خُلق ولا عمل، حتى إن أحدهم ليقول: إني لأقرأ السورة في نَفَس!! والله ما هؤلاء بالقراء ولا العلماء ولا الحكماء ولا الورعة، متى كانت القُرَّاء مثل هذا؟! لا كثّر الله في الناس مثل هؤلاء)[٣].

إن منهج سلفنا الصالح في فهم القرآن والعمل به يؤكّد أنهم: «لم يكونوا يقرءون القرآن بقصْد الثقافة والاطلاع، ولا بقصْد التذوق والمتاع. لم يكن أحدهم يتلقى القرآن ليستكثر به من زاد الثقافة لمجرد الثقافة، ولا ليضيف إلى حصيلته من القضايا العلمية والفقهية محصولًا يملأ به جعبته. إنما كان يتلقى القرآن ليتلقى أمر

---

(١) تحقيق الوصال بين القلب والقرآن، د / مجدي الهلالي ص٩٣ .
(٢) فضائل القرآن للفريابي ص١٢٨ .
(٣) الزهد والرقائق لابن المبارك ص٢٧٤ .

الله في خاصة شأنه وشأن الجماعة التي يعيش فيها، وشأن الحياة التي يحياها هو وجماعته، يتلقى ذلك الأمر ليعمل به فور سماعه، كما يتلقى الجندي في الميدان «الأمر اليومي» ليعمل به فور تلقيه»(١).

❐ ١٣- عدم قصرهم معاني الآيات على أحوال خاصة:

ينبغي لمن أراد الانتفاع بالقرآن أن يجعل القرآن خطابًا موجّهًا إليه، وأن «يقدّر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن، فإن سمع أمرًا أو نهيًا قدّر أنه المنهي والمأمور، وإن سمع وعدًا ووعيدًا فكذلك»(٢).

وهكذا كان سلفنا الصالح يتلقون القرآن على أنه موجّه لهم في كل شيء، فلا يقصرونه على أوضاع مضت، أو أحوال خاصة قد انتهت.

يقول محمد بن كعب القرظي: (من بلغه القرآن فكأنما كلّمه الله)(٣).

وهذا نموذج عملي يبيّن كيف تعامل الصحابة مع القرآن من خلال هذا المبدأ الذي ذكرناه:

فعن عبد الله بن عمر، أن عمر رأى في يد جابر بن عبد الله ﷺ درهمًا فقال: (ما هذا الدرهم؟ قال: أريد أن أشتري به لحما لأهلي قَرِمُوا إليه(٤). فقال: أكلّما اشتهيتم شيئًا اشتريتموه؟! أين تذهب عنكم هذه الآية: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: الآية ٢٠])(٥).

---

(١) معالم في الطريق، سيد قطب ص١٤ .
(٢) إحياء علوم الدين للغزالي ١/ ٢٨٥ .
(٣) إحياء علوم الدين للغزالي ١/ ٢٨٥ .
(٤) قرموا إليه: اشتهوه. ينظر: اللسان ق ر م.
(٥) أخرجه الحاكم ٢/ ٤٥٥، والبيهقي في شعب الإيمان ٥٦٧٢ .

فعمر رضي الله عنه لم يقصر معنى الآية على الكافرين، وإنما رأى أنها صالحة لأن تكون في حق غيرهم، وبهذا كان سلفنا الصالح يحسنون التعامل مع القرآن في أوامره ونواهيه.

وهذا يؤكد لنا «أن التدبر عند سلفنا لم يكن درسًا يُسمع أو كتابًا يُتلى بقدر ما كان شعورًا ينبض في قلب القارئ وهو يتجه لقراءة القرآن، وثمرة يقصدها حين تلاوة الآيات، وموردًا ينهل منه القلب حين تدارسه»[١].

❑ ١٤- حث السّلف على المداومة على تلاوة القرآن وتدبره:

آثار السلف في قراءتهم القرآن نظرًا وغيبًا وحفاظهم على حزبهم وورْدهم في الصلاة وفي غير الصلاة أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر، ولا بأس بذكر طرف منها:

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (أَدِيمُوا النَّظَرَ فِي الْمُصْحَفِ)[٢].

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: (إنِّي لأَقْرَأُ حِزْبِي - أَوْ عَامَّةَ حِزْبِي - وَأَنَا مُضْطَجِعَةٌ عَلَى فِرَاشِي)[٣].

وعن خيثمة قال: دخلت على عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وإنسان قد أخذ عليه المصحف وهو يقرأ، فقلت: ما هذا؟ قال: (أقرأ حزبي الذي أقوم به الليل)[٤].

---

(١) تدبر القرآن للسنيدي ص٨ .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ح ٨٦٤٦، وأبو عبيد في فضائل القرآن ص١٠٤، والفريابي في فضائل القرآن ح ١٤٩ .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ح ٨٦٥٩، والفريابي في فضائل القرآن ح ١٥٤، والمستغفري في فضائل القرآن ح ٥٢٤ بإسناد صحيح.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ح ٨٦٤٧، وأبو عبيد في فضائل القرآن =

وعن أم موسى[(١)]: (إنّ الحسن بن علي كان يقرأ ورده من أول الليل، وإن حُسينًا كان يقرؤه من آخر الليل)[(٢)].

وعن إبراهيم النخَعي قال: «كان أحدهم إذا بقي عليه من جزئه أو حزبه شيء فنشط قرأه بالنهار، أو قرأه من ليلة أخرى وربما زاد أحدهم»[(٣)].

❐ ١٥- **إظهارهم قيمة التدبر وإعلانها:**

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (أَلا لَا خَيْرَ فِي عِبَادةٍ لَيْسَ فِيها تَفَقّه، ولَا خَيْرَ في فِقْه لَيْسَ فِيهِ تَفَهّم، ولَا خَيْرَ في قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّر)[(٤)].

وعن الضّحاك في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: الآية ٨٢] قال: «يتدبّرون النظر فيه»[(٥)]، أي: النظر في عاقبة الشيء.

وعن قتادة قال: «إذن واللهِ يجدون في القرآن زاجرًا عن معصية الله لو تدبّره

= ص١٠٥، والفريابي في فضائل القرآن ح ١٥١، والمستغفري في فضائل القرآن ح٥٢٠ وإسناده صحيح.

(١) أم موسى هي سُرِّية علي رضي الله عنه، قيل: اسمها فاختة، وقيل: حبيبة، مقبولة. التقريب ترجمة رقم ٨٧٧٧ .
وقال العجلي: «كوفية تابعية ثقة». معرفة الثقات ترجمة رقم ٢٣٦٥

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص١٨٦، والمستغفري في فضائل القرآن ح ٥٢١ بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص١٨٧، والفريابي في فضائل القرآن ح ١٥١، والمستغفري في فضائل القرآن ح ٥٢٦ وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه أبو داود في الزهد ح ١١١، وابن بشران في الأمالي ٨٨٢، والآجري في «أخلاق العلماء» ص٧٢-٧٣ رقم ١٠٥٦، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٧٧ بإسناد حسن.

(٥) أخرجه الطبري في «جامع البيان» ٧/ ٢٥٢، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٣/ ١٠١٣ .

القومُ وعقلوه، ولكنّهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا عند ذلك»(١).

وعن الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ قال: «إنَّ هَذَا الْقُرْآنَ قَدْ قَرَأَهُ عَبِيدٌ وَصِبْيَانٌ، لا عِلْمَ لَهُمْ بِتَأْوِيلِهِ، وَلَمْ يَتَأَوَّلُوا الأَمْرَ مِنْ أَوَّلِهِ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩﴾ [ص: الآية ٢٩]، وَمَا تَدَبُّرُ آيَاتِهِ إلا اتِّبَاعَهُ وَاللهُ يَعْلَمُ، أَمَا وَاللهِ مَا هُوَ بِحِفْظِ حُرُوفِهِ وَإِضَاعَةِ حُدُودِهِ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَقُولُ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ، فَمَا أَسْقَطْتُ مِنْهُ حَرْفًا، وَقَدْ وَاللهِ أَسْقَطَهُ كُلَّهُ، مَا يُرَى لَهُ الْقُرْآنُ فِي خُلُقٍ وَلا عَمَلٍ»(٢).

ويقول محمد بن الحسين الآجرّي رَحِمَهُ اللهُ: «إنّ الله عَزَّ وَجَلَّ حثّ خلقه على أن يتدبّروا القرآن، فقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾ [محمد: الآية ٢٤]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ [النساء: الآية ٨٢]. ألا ترون - رحمكم الله - إلى مولاكم الكريم كيف يحث خلقه على أن يتدبروا كلامه، ومن تدبّر كلامه عرف الرّب عَزَّ وَجَلَّ، وعرف عظيم سلطانه وقدرته، وعرف عظيم تفضله على المؤمنين، وعرف ما عليه من فرض عبادته فألزم نفسه الواجب، فحذر مما حذره مولاه الكريم، ورغب فيما رغبه فيه، ومن كانت هذه صفته عند تلاوته للقرآن وعند استماعه من غيره، كان القرآن له شفاء فاستغنى بلا مال، وعزّ بلا عشيرة، وأنس بما يستوحش منه غيره، وكان همّه عند التلاوة للسّورة إذا افتتحها متى أتعظ بما أتلو؟ ولم يكن مراده متى أختم السّورة؟ وإنما مراده متى أعقل عن الله الخطاب؟! متى أزدجر؟! متى أعتبر؟! لأن

---

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» ٢١/ ٢١٦، والسيوطي في «الدر المنثور» ١٣/ ٤٤٧ .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٣/ ٣٦٤، وابن المبارك في الزهد ٧٩٣، والآجري في أخلاق حملة القرآن ٣٤ .

تلاوته للقرآن عبادة، والعبادة لا تكون بغفلة، والله الموفق»[١].

□ ١٦- حثهم على قراءة القرآن على مكث دون استعجال:

إن طريقة تلاوة القرآن لم توكل إلينا بل جاء وصفها في كتاب الله تعالى، فقال جلّ وعلا: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: الآية ١٠٦]، قال ابن جرير الطبري: «وقوله: ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: الآية ١٠٦] يقول: لتقرأه على الناس على تُؤَدة فترتله وتبينه، ولا تعجل في تلاوته فلا يفهم عنك»[٢].

وقال الله جلّ وعلا: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: الآية ٤] قال القرطبي: «أي: لا تعجل بقراءة القرآن بل اقرأه في مَهَل وبيان مع تدبر المعاني»[٣].

فامتثل النبي ﷺ أمر ربّه ﷻ، فكانت قراءته للقرآن مترسلًا بتأنٍّ وتمهل وتبيين لحروفه، يقف على رأس كلّ آية، قال أبو العباس القرطبي: («يقرأ مترسلًا» أي: مترفِّقًا متمهِّلًا، من قولهم: على رسلك أي: على رفقك)[٤].

وقد أنكر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه على نَهيك بن سنان لما قال: إِنِّي لأَقْرَأُ الْمُفَصَّلَ فِي رَكْعَةٍ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: (هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ! إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ؛ نَفَعَ)[٥].

وقال أيضًا: (لا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقْلِ[٦]، وَلا تَهُذُّوهُ هَذَّ الشِّعْرِ، قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ،

---

(١) أخلاق حملة القرآن ص٢ .
(٢) جامع البيان ١٥/١١٦ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢١/ ٣٢٢ .
(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢/ ٤٠٥ .
(٥) أخرجه مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب ترتيل القراءة، واجتناب الهذ، وهو الإفراط في السرعة، وإباحة سورتين فأكثر في ركعة ح ٨٢٢ .
(٦) أي: كما يتساقط الرُّطَب اليابس من العِذْق إذا هُزَّ. النهاية في غريب الحديث ٥/ ١٥ .

وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَة)[١].

وعن أبي جَمْرَةَ الضُّبَعِيِّ قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: إني رجل خفيف القراءة أُهَذْرِمُها[٢]؟ فقال ابن عباس: (لَأَنْ أَقْرَأَ البَقَرَةَ فَأُرَتِّلَهَا وَأَتَدبَّرُها أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْرأَ هَذْرَمَةً)[٣].

وفي لفظ قال: (إني سريع القراءة، وإني أقرأ القرآن في ثلاث. . .)[٤].

وعن محمّد بن كعب القُرَظيّ قال: «لَأَنْ أقرأ في ليلتي حتى أصبح بـ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ [الزلزلة: الآية ١] و﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝﴾ [القارعة: الآية ١] لا أزيد عليهما أردّدهما وأتفكّر فيهما أحبّ إليّ من أن أَهُذّ القرآن ليلتي هذًّا، أو قال: أَنْثُره نَثْرًا»[٥].

وعن مجاهد في قوله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: الآية ٤] فقال: «وبيِّن القرآن تَبْيينًا بعضَه على أَثر بعض، على تُؤَدة». وفي رواية، قال: «ترسَّل فيه تَرسُّلًا»[٦].

ولما سُئل رحمه الله عن رجل قرأ البقرة وآل عمران، ورجل قرأ البقرة؛ قيامهما واحد، وركوعهما واحد، وسجودهما واحد، وجلوسهما واحد، أيهما أفضل؟ فقال: «الذي قرأ البقرة». ثم قرأ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا

---

(١) أخلاق حملة القرآن ١/ ٤ ح ٢، وإسناده صحيح. وأخرجه البيهقي في الشعب ٣/ ٤٠٧ ١٨٨٤ مختصرًا.

(٢) الهَذْرَمَةُ: السّرعة في الكلام. النهاية في غريب الحديث ٥/ ٢٥٦ .

(٣) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن رقم ٣٢ .

(٤) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص١٥٧، وابن نصر المروزي في قيام الليل، كما في مختصره للمقريزي ص١٤٩ .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢/ ٢٥٦ رقم ٨٧٣٢، وإسناده ضعيف، لضعف عبيد الله ابن عبد الرحمن، تقريب التهذيب ص ٣٧٣ .

(٦) جامع البيان ٢٣/ ٣٦٣ .

﴿ ﴾ [الإسراء: الآية ١٠٦] [1].

❑ ١٧- حثهم على ترديد الآية الواحدة في الصّلاة وفي خارجها:

عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه قال: «قَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِآيَةٍ حَتَّى أَصْبَحَ يُرَدِّدُهَا، وَالآيَةُ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: الآية ١١٨]»[2].

وعن قتادة بن النُّعمان قال: قَامَ رَجُلٌ مِنَ اللَّيْلِ فَقَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص: الآية ١] السُّورَةُ يُرَدِّدُهَا لا يَزِيدُ عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ رَجُلًا قَامَ اللَّيْلَةَ مِنَ السَّحَرِ يَقْرَأُ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص: الآية ١] لَا يَزِيدُ عَلَيْهَا! كَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَلَّلُهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»**[3].

وعن صفوان بن سُليم قال: (قامَ تميمٌ الدّاريّ رضي الله عنه في المسجد بعد أنْ صلّى العِشَاء فمرَّ بهذه الآية ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المؤمنون: الآية ١٠٤]فَمَا خَرَجَ منها حتّى سَمِع أذانَ الصُّبْح)[4].

وعن عباد بن عبد الله بن الزبير قال: (افتتحت أسماء بنت أبي بكر سُورةَ الطُّور، فلمّا انتهتْ إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الطُّور: الآية ٢٧] ذهبتُ إلى السُّوق في حاجة، ثم رجعتُ وهي تُكرّرها ﴿وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [الطُّور: الآية ٢٧]قال: وهي في الصّلاة)[5].

---

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص١٥٨، والطبري في «جامع البيان» ١٥/ ١١٧ .
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٥٦، والنسائي في الكبرى، ٦/ ٣٣٩ح١١١٦١، والحاكم في المستدرك ١/ ٣٦٧ ح٨٧٩، وابن ماجه في السنن ١/ ٤٢٩ح١٣٥٠، وقال النووي: رواه النسائي وابن ماجه بإسناد حسن. خلاصة الأحكام ١/ ٥٩٥ .
(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب فضل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ح ٥٠١٣ .
(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في قيام الليل ح ٥٠ . وقال محققه: إسناده حسن.
(٥) أخرجه القاسم بن سلام في فضائل القرآن ص١٤٧، وأبو نعيم في حلية الأولياء =

وعن القاسم بن أبي أيوب قال: «سمعت سعيد بن جبير يردِّدُ هذه الآية في الصّلاة بضعًا وعشرين مرّة: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٨١]»(١).

وعن عبد الرحمن بن عجلان قال: «بتُّ عند الرّبيع بن خُثَيْم ذات ليلة فقام يُصلي فمرَّ بهذه الآية ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ...﴾ الآية [الجاثية: الآية ٢١] فمكثَ ليلته حتّى أصبح ما جاوز هذه الآية إلى غيرها ببكاء شديد»(٢).

وعن جعفر بن سليمان الضبعي قال: «سمعت مالك بن دينار قرأ هذه الآية ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: الآية ٢١]، فبكى، وقال: أقسم لكم لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا صدع قلبه»(٣).

وعن نُعيم بن حمّاد قال: «قال رجل لابن المبارك: قرأتُ البارحةَ القرآن في ركعة! فقال ابن المبارك: لكني أعرفُ رجلًا لم يزل البارحة يقرأ ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾﴾ [التكاثر: الآية ١] إلى الصُّبح ما قدر أن يجاوزَها، يعني: نفسه»(٤).

والآثار عن السّلف في ذلك كثيرة، وقد أخرج جملة منها الإمام محمد بن نصر المروزي في كتابه «قيام الليل»(٥) وترجم لها بقوله: «ترديد المصلي الآية مرّة بعد

= ٢/ ٥٥ بإسناد لا بأس به.

(١) أخرجه القاسم بن سلام في فضائل القرآن ص١٤٧-١٤٨ .

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» رقم ١٩٢٥، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» ٢/ ١١٢ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» رقم ١٨٥٩، وأبو نعيم في «الحلية» ٢/ ٣٧٨، وإسناده حسن.

(٤) أخرجه أبو بكر الدِّينَوريّ في «المجالسة وجواهر العلم» رقم ١٢٣٢، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٣٢/ ٤٣٥ .

(٥) ينظر: «مختصر قيام الليل» لأحمد بن علي المقريزي ص١٤٨-١٥١ .

مرّة يتدبّر ما فيها».

وعقد له النووي فصلًا في كتابه «التبيان في آداب حملة القرآن» فقال: «فصل في استحباب ترديد الآية للتدبر». وقال: «وقد بات جماعة من السّلف يتلون آية واحدة يتدبّرونها ويردّدونها إلى الصّباح»(١).

قال ابن قدامة: «وليعلم أن ما يقرأه ليس كلام البشر، وأن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه ويتدبر كلامه؛ فإن التدبر هو المقصود من القراءة، وإن لم يحصل التدبُّر إلا بترديد الآية فليرددها»(٢).

□ ١٨- حثهم على اتِّباع القرآن والعمل به:

إنّ الغاية من إنزال القرآن الكريم هو العمل به باتباع أوامره واجتناب نواهيه، والوقوف عند حدوده، كما قال الله جلّ وعلا: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: الآية ١٥٥]، وقال: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [الأعراف: الآية ٣].

وعن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: الآية ١٢١] قال: (يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ اتِّبَاعِهِ). قال: وقال عكرمة: «ألا ترى أنّك تقول: فلان يتلو فلانًا، أي يتبعه؛ ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ [الشمس: ١ - ٢] أي: تبعها»(٣).

وقال ابن عباس في رواية أخرى: «يُحِلُّونَ حَلالَهُ، وَيُحَرِّمُونَ حَرَامَهُ، وَلا يُحَرِّفُونَهُ عَنْ مَوَاضِعِهِ»(٤).

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن ص٨٣ .

(٢) مختصر منهاج القاصدين ص٥٧ .

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص١٣٠، والطبري في جامع البيان ٢/ ٤٨٨، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٣١٩ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٣١٩، والطبري في جامع البيان ٢/ ٤٨٨، =

وعن مجاهد رَحِمَهُ اللهُ في قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: الآية ١٢١]، قال: «يَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِه»(١).

وهكذا كان حال السلف مع القرآن الجمع بين العلم والعمل: فعن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن»(٢).

وعن السُّلَمِيِّ قال: «إِنَّا أَخَذْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَنْ قَوْمٍ أَخْبَرُونَا أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزُوهُنَّ إِلَى الْعَشْرِ الْأُخَرِ حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِيهِنَّ، فَكُنَّا نَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ بِه»(٣).

❑ ١٩- سرعة استجابة السّلف للقرآن الكريم:

عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا؛ أنه لما أنزل الله تعالى براءتها في القرآن الكريم في قصة الإفك، قالت: (قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ: وَاللَّهِ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: الآية ٢٢].

= والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٦٦ وصححه.

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ٢/ ٤٩٠، والآجري في أخلاق حملة القرآن ح ٥، ٣٥.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣٨/ ٤٦٦ ح ٢٣٤٨٢، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ح ٢٣٤٨٢، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٦/ ١٧٢، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٥/ ٤٣٦ رقم ٣٠٥٤٩، والطبري في جامع البيان ١/ ٧٤. وصحّح إسناده العلامة أحمد شاكر في تعليقه على جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ١/ ٨٠.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ : بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي فَرَجَعَ إِلَى، مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا)(١).

وعن عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما، قال: (قَدِمَ عُيَيْنَةُ بن حِصْنِ بن حُذَيْفَةَ بن بدر فنزل على ابن أخيه الْحُرِّ بن قيسِ بن حصن، وكان من النَّفر الَّذين يُدْنيهم عُمَرُ، وكان القُرَّاءُ أصحاب مجلس عمر ومُشاورته كُهُولًا كانُوا أو شُبَّانًا، فقال عُيَيْنَةُ لابن أخيه يا بن أخي، هل لك وجْهٌ عند هذا الأمِير فتستأذن لي عليه، قال: سأستأذنُ لك عليه قال ابن عبَّاس: فاستأذن لعُيينة، فلمَّا دخل قال: يَا بن الخطَّاب، واللَّه ما تُعطينا الجزْلَ وما تَحكُمُ بيننا بالعدل!! فغضب عُمرُ حتَّى هَمَّ بأن يقع به. فقال الحُرُّ: يا أمير المؤمنين، إنَّ اللَّه تعالى قال لنبيِّه ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩] وإنَّ هذا من الجاهلينَ، فواللَّه ما جَاوَزَهَا عُمَرُ حينَ تلاها عليه، وكان وقَّافًا عند كتاب الله)(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه في قصة تحريم الخمر قال: (إِنِّي لَقَائِمٌ أَسْقِيهَا أَبَا طَلْحَةَ وَأَبَا أَيُّوبَ وَرِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِنَا، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: هَلْ بَلَغَكُمُ الْخَبَرُ؟ قُلْنَا: لَا. قَالَ: فَإِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ، فَقَالَ: يَا أَنَسُ أَرِقْ هَذِهِ الْقِلَالَ. قَالَ: فَمَا رَاجَعُوهَا وَلَا سَأَلُوا عَنْهَا بَعْدَ خَبَرِ الرَّجُلِ)(٣).

وعن الفضل بن موسى قال: «كان الفضيل بن عياض شاطرًا يقطع الطريق بين

---

(١) جزء من حديث الإفك عند البخاري، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضا، ح ٢٦٦١، ومسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف ح ٢٧٧٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ح٧٢٨٦.

(٣) أخرجه البخاري ح ٢٤٦٤، ٤٦٢٠، ٥٥٨٢، وأخرجه مسلم ح ١٩٨٠.

أَبْيَوَرْدَ وَسَرْخَسَ، وكان سبب توبته أنّه عشق جاريةً، فبينا هو يرتقي الجدران إليها إذْ سمع تاليًا يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: الآية ١٦]، فلمّا سمعها قال: بلى يا ربِّ، قد آن، فرجع فآواه الليل إلى خَرِبة، فإذا فيها سَابلَةٌ، فقال بعضهم: نرتحل وَقَال بعضهم: حتى نصبح، فإنّ فضيلًا على الطّريق يقطعُ علينا. قال: ففكرتُ وقلتُ: أنا أسعى بالليل في المعاصي وقوم من المسلمين ها هنا يخافونني، وما أرى الله ساقني إليهم إلّا لأرتدع، اللّهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورةَ البيت الحرام»[1].

٢٠- بكاء السّلف وخشوعهم عند تلاوة القرآن أو سماعه:

لقد مدح الله تعالى مسلمي أهل الكتاب بأعظم صفتين عند تلاوتهم القرآن وهما: البكاء والخشوع، فقال جلّ وعلا: ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩].

وكان حال السلف الصالح مع القرآن أن تتحرك قلوبهم وتقشعر جلودهم وتنهمر أعينهم بالدموع، فعن عبد اللّه بن عروة بن الزُّبَير رضي الله عنهما قال: «قُلْتُ لِجَدَّتي أَسْمَاءَ رضي الله عنها: كَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ إذَا قَرَأُوا الْقُرْآنَ؟ قَالَتْ: كَانُوا كَمَا نَعتَهُمُ اللّهُ تَعالَى، تَدْمَعُ أَعْيُنُهُمْ وَتَقْشَعِرُّ جُلُودُهُمْ»[2]. تشير رضي الله عنها إلى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٨/ ٣٨٢، والقصة أوردها الحافظان المزي في تهذيب الكمال، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢٣ عند ترجمة الفضيل بن عياض رحمه الله.

(٢) رواه حسين المروزي في زوائده على الزهد لابن المبارك ح ١٠١٦ . بإسناد رجاله كلهم ثقات.

جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: الآية ٢٣].

وعن عائشة ﵂ قَالَتْ: (لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَرَفَيِ النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، ثُمَّ بَدَا لأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَقِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً لَا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ؛ فَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)(١).

وعن عُبيد بن عُمير قال: (صلّى بنا عُمر بنُ الخطّاب ﵁ صَلاةَ الفَجْر، فَافتتحَ سُورةَ يُوسُفَ فقرأها حتّى إذا بلغ: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: الآية ٨٤] بكى حتى انقطع فركع)(٢).

وعن أبي الضُّحى، عن مسروق قال: قرأتُ على عائشةَ ﵂ هذه الآيات: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الطور: الآية ٢٧] فبكَتْ وقالَتْ: (رَبِّ مُنَّ عليَّ، وَقِني عَذَابَ السَّمُوم)(٣).

وعن نافع مولى ابن عمر ﵁ قال: (كان ابن عمر ﵄ إذا قرأ هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: الآية ١٦] بكى حتى يغلبه البكاء)(٤).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة باب المسجد يكون في الطريق من غير ضرر بالناس ح٤٧٦.

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص١٣٧ بإسناد لا بأس به.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء ح ٩٨. ورواه الإمام أحمد في الزهد ح ٩٠٩، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» ٢/ ٤٨ من طريق أبي الضّحى قال: حدثني من سمع عائشة.

(٤) الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا ح ٧٧، وحلية الأولياء ١/ ٣٠٥، وتاريخ دمشق ٣١/ ١٢٧. وعزاه ابن حجر لأبي العباس السراج في تاريخه وقال: وسنده جيد. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ١٧٨.

وعن ابن أبي مليكة قال: (سافرتُ مع ابن عباس رضي الله عنهما من مكّة إلى المدينة وهم يسيرون إليها وينزلون بالليل، فكان ابن عباس رضي الله عنهما يقوم نصف اللّيل فيقرأ القرآن حرفًا حرفًا، ثم حكى قراءته، ثم يبكي حتى تسمع له نشيجًا)[١].

وعن مسروق قال: قَالَ لِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ: هَذَا مَقَامُ أَخِيكَ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ، قَامَ لَيْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ - أَوْ كَرُبَ[٢] أَنْ يُصْبِحَ - بِآيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ يُرَدِّدُهَا يَبْكِي، فَيَرْكَعُ بِهَا وَيَسْجُدُ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: الآية ٢١] [٣].

وعن أبي المليح قال: قرأ يومًا ميمون بن مهران رحمه الله ﴿وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يس: الآية ٥٩] فَرَقَّ حتّى بَكَى، ثم قال: «مَا سَمِعَ الخلائقُ بِعَتَبٍ أَشَدَّ منهُ قَطّ». رواه أبو نعيم[٤].

والآثار عن السلف في بكائهم عند تلاوة القرآن أو سماعه[٥] أكثر من تحصر، وقد أورد جملة منها أبو بكر بن أبي الدنيا في كتابه «الرقة والبكاء» وعنون لها بقوله: «البكاء عند قراءة القرآن».

❏ ٢١- تذكير السّلف بآيات القرآن عند المناسبة:

إنَّ مما يعين على تدبر القرآن استغلال الأحداث والمناسبات والوقائع وربطها

---

(١) أخرجه محمد بن نصر المروزيّ في قيام الليل كما في مختصره ص١٣١ .

(٢) كَرُب: بمعنى دَنَا وقرُب. النهاية في غريب الحديث ٤/ ١٦١ .

(٣) أخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد رقم ٩٤، وأبو داود في الزهد رقم ٣٩٤، وأبو عبيد في فضائل القرآن ص١٤٥، والطبراني في المعجم الكبير ٢/ ٥٠، والمستغفري في فضائل القرآن رقم ٥٤ .

(٤) حلية الأولياء ٤/ ٩٢، والسيوطي في الدر المنثور ١٢/ ٣٦٥ .

(٥) والأسباب الحاملة على البكاء والخشية أحوال كثيرة، أشار إليها ابن القيم رحمه الله في كتابه «الفوائد» ص١٩٧-١٩٨ .

بالآيات القرآنية؛ لما في ذلك من الأثر الكبير في فهم القرآن وتدبره، وقد استخدم السلف هذا الأسلوب التربوي:

عن عبد الله بن عقيل بن شمير الرباحي، عن أبيه قال: شَرِبَ عبدُ الله بنُ عُمَرَ مَاءً بَارِدًا فَبَكَى فاشتدَّ بُكاؤُه، فقيل: مَا يُبكِيكَ؟ قال: «ذكرتُ آيةً في كتابِ الله ﷻ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: الآية ٥٤] فعرفتُ أنّ أهلَ النّارِ لا يَشْتَهُونَ إلّا الماءَ البَارِدَ، وقد قال اللهُ ﷻ: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ﴾ [الأعراف: الآية ٥٠]»[1].

وقد جعل الله تبارك وتعالى في هذه الدار أشياء كثيرة تذكّر بالدار الآخرة، منها: الحمّام الذي ذكّر الصالحين بنار جهنّم[2]، فقد صحّ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «نعم البيت الحمام، يذهب الوسخ ويذكّر النار»[3].

وعن أحمد بن سعيد الهمداني قال: «دخل ابن وهب الحمام فسمع قارئًا يقرأ: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾ [غافر: الآية ٤٧]فسقط مغشيًّا عليه»[4].

٢٢- تنويه السّلف ببعض الآيات من القرآن الكريم:

فإنَّ القرآن الكريم وإنْ كان كلّه كلامَ الله غير أنّه يتفاضل[5]، فالآيات المشتملة

(١) رواه عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» رقم ١٠٥٥، والبيهقي في «شعب الإيمان» ٤/ ١٤٩ ح ٤٦١٤.

(٢) ينظر: لطائف المعارف لابن رجب ص٦٨٨ وما بعدها.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١١٧٦، وإتحاف الخيرة المهرة ٥٠٤ للبوصيري وقال: إسناد رجاله ثقات.

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٨/ ٣٢٤.

(٥) من شاء الاستزادة في هذه المسألة فليطالع مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٧/ ٥٧ فما بعدها.

على توحيد الله والخبر عن أسمائه وصفاته أفضل من غيرها، كما قال أحدُ أهل العلم: كلام الله في الله أفضلُ من كلامه في غيره، فمعاني ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: الآية ١] ليست هي معاني ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المَسَد: الآية ١].

وهذا التفاضل بين السُّوَر والآيات ليس باعتبار نسبتِهِ إلى المتكلِّم، فإنَّ المتكلِّمَ به واحدٌ وهو الله سبحانه، ولكن باعتبار مَعانيه التي تكلَّم بها وباعتبار ألفاظه المبيِّنة لمعانيه، والنصوص في تفضيل كلام الله بعضه على بعض كثيرةٌ.

فقد صحّ عن النبي ﷺ أنَّه فضَّل مِنَ السور سورةَ الفاتحة: ففي «صحيح البخاري» من حديث أَبِي سَعِيدِ بنِ الْمُعَلَّى قال: مَرَّ بِيَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا أُصَلِّي، فَدَعَانِي فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ ثُمَّ أَتَيْتُ، فَقَالَ: «**مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَ؟**» فَقُلْتُ: كُنْتُ أُصَلِّي. فَقَالَ: «**أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: الآية ٢٤]»، ثُمَّ قَال: «**أَلَا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ**»، فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ لِيَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ فَذَكَّرْتُهُ فَقَالَ: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: الآية ٢] **هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**»[(١)].

وفضّل من الآيات آية الكرسي: فعن أُبَيِّ بن كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**». قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ**». قَالَ: قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٥]. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ: «**وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير باب﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ ح ٤٦٤٧ .

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي رقم ٨١٠ .

وعن عامر الشّعبيّ قال: «جَلَسَ مَسْرُوقٌ وَشُتَيْرُ بن شَكَلٍ فِي مَسْجِدِ الأَعْظَمِ، فَرَآهُمَا نَاسٌ فَتَحَوَّلُوا إِلَيْهِمَا، فَقَالَ مَسْرُوقٌ لِشُتَيْرٍ: إِنَّمَا تَحَوَّلَ إِلَيْنَا هَؤُلاءِ لِنُحَدِّثَهُمْ، فَإِمَّا أَنْ تُحَدِّثَ وَأُصَدِّقَكَ، وَإِمَّا أَنْ أُحَدِّثَ وَتُصَدِّقَنِي، فقال مسروق: حَدِّثْ أُصَدِّقْكَ، قَالَ شُتَيْرٌ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّ أَعْظَمَ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ...﴾ [البقرة: الآية ٢٥٥] إِلَى آخِرِ الآيَةِ، فَقَالَ مَسْرُوقٌ: صَدَقْتَ. وأَنَّ أَجْمَعَ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ...﴾ [النحل: الآية ٩٠] إِلَى آخِرِ الآيَةِ»، قَالَ مَسْرُوقٌ: صَدَقْتَ. وإِنَّ أَكْثَرَ - أَوْ أَكْبَرَ - آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَرَحًا ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ...﴾ [الزمر: الآية ٥٣] إِلَى آخِرِ الآيَة، فَقَالَ مَسْرُوقٌ: صَدَقْتَ. وإِنَّ أَشَدَّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَفْوِيضًا ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٣ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣] إِلَى آخِرِ الآيَةِ، فَقَالَ مَسْرُوقٌ: صَدَقْتَ»[1].

وعن جويرية بن بشير قال: سمعت الحسن قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ...﴾ [النحل: الآية ٩٠] الآية ثم وقف، فقال: «إنَّ الله جمع لكم الخير كلَّه والشّر كلَّه في آية واحدة، فوالله ما ترك العدلُ والإحسانُ شيئًا من طاعة الله ﷻ إلا جمعه، ولا ترك الفحشاءُ والمنكرُ والبغيُ من معصية الله شيئا إلا جمعه»[2].

عن سعيد بن جبير قال: مَا أعطِيَ أحدٌ ما أعطيت هذه الأمة: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٣/ ٣٧١، وأبو عبيد في فضائل القرآن ص٢٧٥-٢٧٦، والبخاري في الأدب المفرد ح ٤٨٩، والطبراني في المعجم الكبير ٩/ ١٣٣، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٤٥٨ بتمامه. والطبري في جامع البيان ١٤/ ٣٢٧، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٥٦ ببعضه، وإسناده صحيح، وصحّحه الحاكم على شرط الشيخين.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢/ ١٥٨، والبيهقي في شعب الإيمان ١/ ١٦١ ح ١٤٠ .

مُصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾، ولو أعطيها أحدٌ لأعطيها يعقوب عليه السلام، ألم تسمعْ إلى قوله: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: الآية ٨٤]»[(١)].

المعيار الثالث: نماذج من تدبر السلف الصالح:

نماذج من تدبر الصحابة:

- نزلت: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾﴾ [الزلزلة: الآية ١] وأبو بكر الصدِّيقُ رضي الله عنه قاعدٌ، فبكى أبو بكر، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما يُبْكيك يا أبا بكر؟**» قال: أبكاني هذه السورةُ[(٢)].

- ذكر أن ابْن عمرَ شرب مَاء بَارِدًا فَبكى. فَقيل لَهُ: مَا يبكيك؟ فَقَالَ: ذكرت آيَة فِي كتاب الله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ [سبأ: الآية ٥٤] فَعرفت أَن أهل النَّار لَا يشتهون إِلَّا المَاء الْبَارِد وَقد قَالَ الله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأعراف: الآية ٥٠][(٣)].

- وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره، فلما قال مسطح ما قال في عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك، قال أبو بكر: والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال في عائشة ما قال. فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ٢/٧٠٨، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/٢٦٥، والبيهقي في «شعب الإيمان» ٧/١١٧ ح ٩٦٩١ وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان ٣/٢٧٠، والبيهقي في الشعب ٩/٣١٢، ٦٧٠١ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ١٠/٣١٦٩ ١٧٩٠٩، والسيوطي في الدر المنثور ٣/٤٦٩ . والبيهقي في الشعب ٦/٣٣٨ ٤٢٩٤ .

أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ [النور: الآية ٢٢] قال أبو بكر: بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي. فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها أبدًا[١].

- وعن عبد الله بن شداد بن الهاد يقول: سمعت عمر يقرأ في صلاة الصبح سورة يوسف، فسمعت نشيجه[٢]، وإني لفي آخر الصفوف وهو يقرأ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ [يوسف: الآية ٨٦][٣].

- وكان عبّاد بن بشر يقوم بحراسة المسلمين بعد أن عسكروا في مكان وأخلدوا للنوم، وهم في طريق عودتهم من غزوة ذات الرقاع، ولما وجد الجو هادئًا بدأ في الصلاة وقراءة القرآن، وفي أثناء ذلك لمحه أحد المشركين فأصابه بسهم فلم يتحرك من مكانه، بل نزعه وأكمل صلاته، ثم رماه بسهم ثانٍ فنزعه وأكمل صلاته، ثم رماه بثالث فنزعه وركع وسجد وسلَّم وأيقظ صاحبه عمار بن ياسر، فلما رأى ما به من الدماء قال له: أفلا أهببتني أول ما رماك؟ قال له: كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها، فلما تابع عليَّ الرمي ركعتُ فآذنتك، وايم الله لولا أن أُضيِّع ثغرًا أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها[٤].

لقد كان شعوره رضي الله عنه بلذة القراءة، أشد بكثير من شعوره بالألم!!

---

(١) جزء من حديث الإفك عند البخاري، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضا، ح ٢٦٦١، ومسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف ح ٢٧٧٠.

(٢) النشيج: تردد البكاء في الصدر من غير انتحاب. المعجم الوجيز ص٦١٥.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ح ٢٧٠٣ ٢/ ١١١ وذكره ابن الجوزي في مناقب عمر ص١٥٩.

(٤) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٣/ ٣٧٩ وينظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٠٨.

- كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالًا من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيْرُحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما أُنزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: الآية ٩٢] قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إليّ بيْرُحاء، وإنها صدقة لله، أرجو بِرّها وذُخرها عند الله، فضعْها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**بخٍ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلتَ، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين**» فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه[١].

نماذج من تدبر التابعين ومن بعدهم:

- عن ميمون بن مهران قرأ قول الله تعالى: ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٩﴾ [يس: الآية ٥٩] فبكى طويلًا ثم قال: ما سمع الخلائق بعتب قط أشد منه[٢].

- وقال زائدة: صليت مع أبي حنيفة في مسجده عشاء الآخرة وخرج الناس ولم يعلم أني في المسجد، وأردت أن أسأله عن مسألة من حيث لا يراني أحد، قال: فقام فقرأ، وقد افتتح الصلاة حتى بلغ إلى هذه الآية: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧﴾ [الطور: الآية ٢٧]، فأقمت في المسجد أنتظر فراغه فلم يزل يرددها حتى أذن المؤذن لصلاة الفجر[٣].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب ح ١٤٦١، ومسلم، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة، والصدقة على الأقربين ح ٩٩٨ .

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ٩٢ .

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣/ ٣٥٧ .

- وعن مَالِك بنِ دِينَارٍ قَرَأَ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾، فبكى، وقَالَ: «أُقْسِمُ لَكُمْ لَا يُؤْمِن عَبْدٌ بِهَذَا الْقُرْآنِ إِلَّا صُدِعَ قَلْبُهُ»[(١)].

- وعن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال: سمعت عبد الله بن حنظلة يومًا وهو على فراشه وعُدتُه من عِلته، فتلا رجل عنده هذه الآية: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [الأعراف: الآية ٤١] فبكى حتى ظننت أن نفسه ستخرج، وقال: صاروا بين أطباق النار، ثم قام على رجليه، فقال قائل: يا أبا عبد الرحمن اقعد، قال: منعني القعودَ ذكرُ جهنم، ولا أدري لعلي أحدهم[(٢)].

- قال إبراهيم بن الأشعث: سمعت فضيلًا ليلة وهو يقرأ سورة محمد ﷺ ويبكي ويردد هذه الآية: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: الآية ٣١] وجعل يقول: ﴿وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ ويردّد ويقول: وتبلو أخبارنا، إن بلوتَ أخبارنا فضحتنا وهتكتَ أستارنا، إن بلوتَ أخبارنا أهلكتَنا وعذّبتنا[(٣)].

هذه الآثار وغيرها الكثير تبيّن لنا أن سلفنا «ذاقوا حلاوة الإيمان من خلال القرآن، وأدركوا قيمته وقدرته الفذّة على التغيير وبثّ الروح، فأقبلوا عليه وانشغلوا به، وأعطَوه الكثير من أوقاتهم، وانجذبت مشاعرهم نحوه عند لقائهم به لدرجة الاستغراق والهيمنة»[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٣٧٨ .

(٢) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار لابن رجب الحنبلي ص٣١-٣٢ .

(٣) ينظر: التوابين لابن قدامة ص١٢٧ .

(٤) تحقيق الوصال بين القلب والقرآن، د/ مجدي الهلالي ص٨١ .

المعيار الرابع: البرنامج التطبيقي:

يُقَدِّم الدارس - بعد إتقانه - بعض الوحدات نموذجًا تطبيقيًا على آياتٍ من القرآن، وذلك في ثلاث مراحل:

أ- أن يُقدم بحثًا يجمع فيه عددًا من التدبرات - وفق ما درسه - دراسة استقرائية وصفية.

وذلك بالمواصفات التالية:

١-يكون بعد دراسته للمجال الأول والثاني.

٢-أن يعرض النصوص التي يراها تدبرات ويوثقها من المصادر الأصلية.

٣-أن تكون تلك النصوص من مصادر موثوقة إن لم تكن مسندة.

٤-أن يبحث عند العلم المنقول عنه مفهوم التدبر، أو يحاول الباحث استخراجه من مجموع النصوص.

ب- أن يُقدم نموذجًا لآيات مختارة يجمعُ فيها بين الجمع والاجتهاد الذاتي بما لا يقل عن الثلث.

وذلك بالمواصفات التالية:

١ - أن يكتب البحث بعد دراسة المجالات الثلاث من المنهج.

٢ - أن يضبط الباحث حدود بحثه ومعاييره التي يسير عليها في الجمع أو الكتابة.

٣ - أن لا يغلب جانب الإنشاء على الكتابة، بل يحاول محاكاة ما كتبه أهل العلم قبله.

٤ - أن لا يتداخل عنده التدبر مع الاستنباط والتفسير، بل يحاول التمييز بينها

بشكل واضح.

٥ - يحاول تنويع المنقولات بين المدارس أو الطبقات، فلا تكون من مؤلف واحد أو عصر واحد أو مدرسة متشابهة.

ج- أن يُقدم بحثًا عن دراسة نقدية لنماذج من التدبر التي خالفت المنهج الصحيح للتدبر.

وذلك بالمواصفات التالية:

١- أن يكون ذلك بعد استكمال دراسة المقرر أو انتهى من المجالات الثلاث.

٢- أن تكون لغة النقد والتقويم علمية فلا إفراط ولا تفريط، بل النظر إلى المادة العلمية فقط.

٣- أن يبين وجه الصواب وأسباب الخطأ ويعلل ويجيب عما يمكن الجواب عليه أو يقع فيه الاحتمال.

٤- يحاول تنويع تلك الدراسة بحيث لا تكون من باب واحد فقط، ولا يمنع أن تكون عند مدرسة محددة أو شخص اشتهر بشيء ما.

٥- أن تكون لديه القدرة على إبراز موضوع تدبر القرآن وتصحيح ما يتعلق به من أخطاء وتحرير المسائل.

٦- أن تظهر شخصية الباحث العلمية والأدبية في الموضوع، ولا يمنع من توقفه في بعض المسائل.

❐ مواصفات مشتركة لبحوث البرنامج التطبيقي:

١- عرض الدراسات السابقة في المجال الذي يبحث فيه.

٢- أن يقدم نموذجًا للبحث قبل البدء في استكماله

٣-أن يحدد النشاط الذي يستهدفه البحث بوضوح وتلاؤم مع هدف البحث.

٤- الرجوع لكتب أهل السنة أصالة، فإن لم يكن فيعرض الكلام المنقول على أحد المشايخ ليعرف سلامته من جهة الاعتقاد والمسلك.

٥- أن يتوافر في البحث العمق العلمي، مع استيفاء المادة العلمية.

٦- أن يبرز النتائج التي توصل إليها بوضوح والمشكلات التي يرى دراستها، والمقترحات التي يرى أهميتها في تدبر القران.

٧- أن تكون لغة البحث سليمة وواضحة لغويًا وإملائيًا.

٨- أن يتفق حجم البحث مع محتواه.

❑ **معايير عامّة لمن يرغب أن يكتب بحثًا محكمًا، أو رسالة علمية في موضوع تدبر القرآن:**

١-معرفة الدراسات السابقة في تدبر القران (المحكمة، الرسائل، الكتب العلمية المتخصصة) وعلاقتها بما يرغب دراسته.

٢-أن يكون للبحث المقترح إسهام في حل بعض إشكالات التخصص، أو يعالج ما يشوب الكتابة فيه ويحددها.

٣-أن يحدد الأهداف للبحث وأن يتوفر لديه مادة علمية لتلك الأهداف.

٤-معرفة قدرة الباحث على إبراز موضوع البحث في ضوء الأهداف التي حددها، ومشكلات البحث التي نص عليها.

٥-أن يتوفر في الموضوع عمق في التحليل والمناقشة واستنباط النتائج بشكل علمي واضح.

٦-أن يستفيد من المراجع العلمية المتنوعة، من كتب ودوريات ومؤتمرات

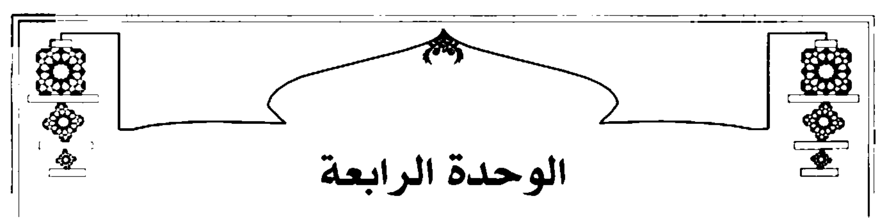
ودراسات ذات علاقة بالموضوع.

٧-أن يحرص على توافر التسلسل المنطقي والموضوعي في عرض المسائل التي يناقشها، مع دقة الصياغة وسلامة اللغة ووضوحها.

٨-أن يبرز جانب الإضافة العلمية في الموضوع للتخصص أو المجتمع أو التعليم.

والله ولي التوفيق





الوحدة الرابعة

موانع تدبر القرآن وأسباب الخطأ فيه وعلاجها

المعيار الأول: موانع التدبر:

تمهيد:

الناظر في دنيا الناس يجد أن بعضًا من الأمور الشخصية، نفسية أو خُلقية أو عقدية مذهبية أو بيئية اجتماعية - تشكل حجابًا حاجزًا بين أصحابها وبين تعاملهم مع كتاب ربهم ﷻ تدبرًا وفهمًا؛ لذا من الأهمية بمكان أن نقف هنا مع هذه الموانع للتعرف عليها وتفاديها أو التخلص منها، وتقديمنا إياها على منهجية التدبر من باب «التخلية قبل التحلية» وهذا ما سنعرضه فيما يلي:

أولًا: الموانع الشخصية:

يُقصد بالموانع الشخصية: الأمور النفسية أو الصفات الخُلقية التي يتّسم بها الشخص، أو الآراء والمذاهب التي يعتقدها وتؤثر سلبًا في تعامله مع كتاب الله تعالى. **وهي عديدة متنوعة، وأبرزها ما يلي:**

❐ ١- أمراض القلب:

إن من أعظم ما يمنع القارئ من الانتفاع بمواعظ القرآن وحِكَمه وأحكامه أن يكون قلبه مصابًا ببعض الأدواء التي تحجب أنوار القرآن عنه، فالقلب هو أساس الجوارح كلها، وصلاحها بصلاحه.

ولقد نعى القرآن الكريم على قوم عايشوا نزول القرآن واستمعوا إليه ممن نزل

عليه ﷺ لكنهم ما استفادوا وما انتفعوا، وفيهم يقول تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾ [محمد: الآية ١٦].

هذا ومن الأمراض القلبية المانعة من التدبر: الحسد والحقد والنفاق والرياء والعُجب والكِبْر... ونحوها، وفي الكِبْر يقول الله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٤٦].

وكذلك تُحجَب أنوار القرآن عن قلب صاحب البدعة، والمُصرّ على ذنب أو معصية، أو المتمذهِب بمذهب يتبع فيه هواه أو عقيدة باطلة، أو المقبِل على القرآن بخلفيات فكرية سابقة... وكلّها حجب كثيفة تتفاوت فيما بينها في منع التدبر والانتفاع بالقرآن.

وفي ذلك يقول الزركشي: «واعلم أنه لا يحصل للناظر فَهْم معاني الوحي حقيقة، ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة، أو إصرار على ذنب، أو في قلبه كِبْر أو هوى، أو حب الدنيا، أو يكون غير متحقّق الإيمان، أو ضعيف التحقيق... وهذه كلها حُجُب وموانع بعضها آكد من بعض»(١).

❑ ٢- انشغال القلب أو الجوارح بغير المتلوّ:

من أعظم الصوارف: أن يكون القلب منشغلًا بغير القرآن من التفكير أثناء التلاوة في أمور الدنيا والمال والولد، أو حلّ مشكلة ما أو قضية من القضايا تشغل بال القارئ، فتصبح العين والأذن عاملتين، ويصير القلب والذهن شاردين، أو أن يكون في مكان ذي ضوضاء، غير مهيأ للتلاوة، فتنشغل الجوارح هي الأخرى، ومن ثَمّ فلا فَهْم ولا تدبّر ولا عمل.

---

(١) البرهان للزركشي ٢/ ١٨٠ .

يؤكّد لنا هذه المعاني الإمام ابن القيم معلّقًا على قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: الآية ٣٧]، ومقسّمًا الناس إلى ثلاثة أصناف قائلًا: «والناس ثلاثة: رجل قلبه ميت، فذلك الذي لا قلب له، فهذا ليست هذه الآية ذكرى في حقه. والثاني: رجل له قلب حي مستعد لكنه غير مستمع للآيات المتلوّة: إما لعدم ورودها، أو لوصولها إليه ولكن قلبه مشغول عنها بغيرها، فهو غائب القلب ليس حاضرًا.. والثالث: رجل حيّ القلب مستعد، تُليت عليه الآيات فأصغى بسمعه، وألقى السمع، وأحضر قلبه، ولم يشغله بغير فَهْم ما يسمعه، فهو شاهد القلب، ملقي السمع، فهذا القسم هو الذي ينتفع بالآيات المتلوة والمشهودة...»[١].

❑ ٣- قَصْر حضور القلب على أوقات أو آيات معينة:

من أعظم الخطأ أن يعتقد بعض الناس أنه لا يمكن أن يتدبر المسلم القرآن إلا في أوقات محددة أو أحوال معينة؛ كرمضان، أو القنوت، أو التراويح، أو عند خشوع الإمام، أو عند ذكر آيات العذاب، أو الجنة والنار وأهوال القيامة... ونحو ذلك، ثم تكون بقية الأوقات خلوًا من هذه الفوائد والمنافع، وهذا تحجّرٌ لما هو واسع، وتحكُّم ليس في محله، ولعل هذا مدخل من مداخل الشيطان لمن يريد التدبر ليثني عزيمته عنه؛ لأن التدبر به حياة القلوب والنفع، وهو ما لا يريده الشيطان للقارئ أبدًا.

وحضور القلب في هذه الأوقات طيّب، لكن الأطيب أن يدوم التدبر في كل قراءة وتلاوة لكتاب الله تعالى، في جميع الأوقات والأحوال، حيث إن رسول الله ﷺ سئل: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: **«أدومه وإن قلّ»**[٢].

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٤٤٢ بتصرف.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضيلة العمل الدائم، ح ١٨٦٤ .

وأحواله ﷺ مع القرآن كانت كلها تدبرًا وتفكّرًا، ولم يُقْصُر التدبر على آيات دون آيات، أو أحوال دون أحوال، وهو المعلِّم الأول فوجب اقتفاء أثره واتباع نهجه.

❑ ٤ - **توهُّم عدم تنزيل الواقع على القرآن، وقَصْره على أحوال انتهت:**

من عظيم الصوارف عن التدبر بل عن التلاوة أصلًا توهُّم البعض أن القرآن كان لأناس خلَوا، وظروف وأحوال مضت، وأن الواقع لا يدخل تحت ما في القرآن من الهدى والإرشاد؛ ولذا كان هذا حاجبًا لكثير من الناس عن إمعان النظر في القرآن والبحث عن هداياته وبيّناته، وتنزيل آياته على أرض الواقع، وإيجاد الحلول القرآنية للمشاكل الحياتية المعاصرة وغيرها، حيث إنه صالح لكل زمان ومكان، وعصر وآن.

ويكفي أنه تعالى وصفه بقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥﴾ [الفرقان: ١-٥].

وفي ذلك يقول ابن القيم: «أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته - أي: القرآن - وتضمنه له، ويظنونه في نوع وفي قوم قد خلَوْا من قبل ولم يُعْقِبوا وارثًا، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن، ولَعْمر الله! إن كان أولئك قد خلَوْا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم، وتناوُل القرآن لهم كتناوُله لأولئك...»[١]، ولَحَقٌّ ما قال، ولصِدْقٌ ما وصف.

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٣٤٣.

❐ ٥- تَرْك التدبّر تورعًا عن القول في كلام الله بغير علم:

من أعظم موانع التدبر أيضًا: ظنُّ البعض أن فَهْم القرآن وتدبّره مقصور على قوم مضَوا من السلف الصالح والعلماء المخلصين، «ويعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عنهم، وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأي، ومَن فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»[١]، ويعتقد أنه ليس في الإمكان الآن أحسن مما كان، أو يترك البعض التدبّر والتأمّل في القرآن بحجة التدين والتورّع عن القول في كلام الله بغير علم، واعتقادهم أن مهمة القارئ تنحصر في القراءة دون التدبّر، فيصرف القارئ همته إلى القراءة فقط، ولا يُعنَى بالتدبر والوقوف مع الآيات أمرًا ونهيًا وحلالًا وحرامًا، ويخرج من التلاوة كما دخل.

وفي ذلك يقول ابن رجب: «من مكايد الشيطان: تنفيره عباد الله من تدبر القرآن لعلمه أن الهدى واقع عند التدبر، فيقول: هذه مخاطرة. حتى يقول الإنسان: أنا لا أتكلم في القرآن تورعًا»[٢].

وهو بالفعل مدخل عظيم من مداخل الشيطان على بني الإنسان، فقد يفتح الله تعالى على متدبّر بما لم يكن لأحد من العلماء السابقين، فعِلْم القرآن ليس حِكرًا على قوم دون قوم، وكم سمعنا وقرأنا تدبّرات وتأمّلات أكثر من رائعة لأناس لا علاقة لهم بالتخصص القرآني، وربما لا يحملون شيئًا من الشهادات إلا شهادة التوحيد وحُبّ مطالعة القرآن وتدّبره، ورُبّ صغير مفضول يفتح الله تعالى له بما لم يفتح به لكبير فاضل.

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ١/ ٢٨٥ بتصرف. وكيف نتعامل مع القرآن العظيم، د. يوسف القرضاوي، ص ١٧٦بتصرف.

(٢) ينظر: ذيل طبقات الحنابلة، لأبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ٢/ ١٥٦ .

❑ ٦- الوقوف عند جمال الصوت، وانصراف الهمّة إلى تكثيرعدد الختمات فقط:

دبّ في أمتنا منذ زمن ليس بالقصير داء خطير يتعلّق بتعاملهم مع كتاب ربهم سبحانه، وهو الوقوف عند جمال صوت القارئ وحسن ترنيماته، دون التعلق بأدنى شيء من معاني الآيات وفقهها، وكثيرًا ما تسمع أحدهم يصيح بأعلى صوته مادًّا إياه بقوله: (اللّه اللّه)، طربًا لعذوبة صوت القارئ، في حين أن القارئ قد يقرأ آيات تتعلق بالنار أو العذاب أو أهوال القيامة. . . ونحوها، وغاب عقل الأكثرين تمامًا عن المعاني والتدبّر وما ينبغي أن يكون في مثل هذه المواطن.

وتجد آخرين يُقبِلون على كتاب ربهم قراءة وتلاوة، ويحدو بهم الشوق نحو الإسراع في التلاوة وتكثير عدد الختمات، وليس لأحدهم هَمّ إلا آخر السورة ولا شيء سواه، دون وقوف مع الفوائد والعوائد، والاتعاظ بالأوامر والزواجر. . .

وكلا المسلكين على غير صواب؛ حيث إن ذلك يخالف المقصود الأسمى لنزول القرآن، ويخالف كذلك منهج النبي ﷺ والسلف الصالح في تعاملهم مع القرآن الكريم.

نعم، حضَّ النبي ﷺ على تحسين الصوت عند تلاوة القرآن[1]، لكن ليس مع التطريب والتغنّي المتكلّف والمُخرِج عن حدّ الخشوع والوقوف مع الآيات تدبرًا وفقهًا.

وكان السلف يقفون مع الآيات ويكررونها مرات ومرات، وربما أمضى أحدهم ليلة كاملة مع آية واحدة. فهذا تميم الداري رضي الله عنه يقوم بآية يردّدها حتى أصبح،

---

(١) وذلك في مثل ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن»** أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ...﴾ ح ٧٠٨٩ .

وهي قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: الآية ٢١]، وغيره الكثير، حتى قال القرطبي عن هذه الآية: «كانت هذه الآية تسمى: مَبْكاة العابدين»[(١)].

٧- قَصْر الهمّة على تحقيق الحروف والمخارج:

وهذا داء ينخر في جسد أمة القرآن منذ فترات، حيث إنك تجد القارئ تنصرف كلّ همّته ويتجّه جُلّ تركيزه أثناء التلاوة إلى الحروف ومخارجها وأحكام التجويد وإتقانها.. دون أدنى تعلّق بالمعاني والتدبر.

«فقد يُعاب الإنسان أيّ عيب إذا رَقّق المفخّم، أو فخّم المرقق، أو لحن جليًّا أو خفيًّا، ولا يُعاب إذا لم يدرك بدهيات قضايا القرآن الكريم أو المعاني الظاهرة المتبادرة؛ لأن طريقة التعلّم غَرست فينا هذا الجانب، ولا يقول أحد بأن جودة الأداء ليست غرضًا ولا هدفًا لكن هناك فرق بين غرض هو مقدمة لغيره، وغرض هو المقصود الأسمى للقرآن الكريم...»[(٢)].

ولْيعلم المسلمون عمومًا والقَرَأة خصوصًا أن هذا مدخل من مداخل الشيطان على بني الإنسان فليحذروه. وفي ذلك يقول الإمام الغزالي في معرِض حديثه عن موانع فهم القرآن، ومنها: «أن يكون الهمّ منصرفًا إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها، وهذا يتولى حفظه شيطان وُكِّل بالقرّاء ليصرفهم عن فَهْم معاني كلام الله ﷻ، فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف، يخيّل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه، فهذا يكون تأمّله مقصورًا على مخارج الحروف، فأنّى تنكشف له

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٦/١٦٦.

(٢) فهم القرآن بين القواعد الضابطة والمزالق المهلكة، أ.د. رمضان خميس زكي، ص٦، بحث منشور على موقع «الإسلام اليوم» بشبكة المعلومات الدولية.

المعاني، وأعظم ضُحْكة للشيطان ممن كان مطيعًا لمثل هذا التلبيس»[1].

والسبب في ذلك: عدم الترتيب بين الغاية والوسيلة، فالقراءة التي هي وسيلة الفهم أصبحت هي الغاية والمبتغى، وصار مبلغ علمنا إلا من رحم الله أن نجوّد الحروف، ونحقّق صفاتها ومخارجها، فكان الاهتمام بالشكل على حساب المضمون[2].

والعلاج سهل وميسور، حيث تُراعَى أحكام التجويد مع الفهم والتدبر والوقوف على المعاني، والله أعلم.

❏ ٨- **تقديم ما دون التدبّر من العلوم والمعارف:**

ومن ذلك: أن يتجه البعض إلى حفظ القرآن، ثم لا يتجه بعده إلى تحصيل علم تفسيره وتدبره والوقوف على معانيه، بل ينصرف إلى غيره من العلوم التي تكون قليلة النفع أو عديمة الجدوى بالنسبة لفهم القرآن وتدبره، وهذا لا شك صارف عظيم من الصوارف عن التدبر.

سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية: أيهما أفضل: طلب القرآن أو العلم؟

فأجاب: «أما العلم الذي يجب على الإنسان عينًا كعِلْم ما أمر الله به وما نهى الله عنه، فهو مقدّم على حفظ ما لا يجب من القرآن، فإنّ طلب العلم الأول واجب، وطلب الثاني مستحب، والواجب مقدّم على المستحب.

وأما طلب حفظ القرآن: فهو مقدّم على كثير مما تسميه الناس علمًا، وهو إما باطل أو قليل النفع، . . والمشروع في حق مثل هذا أن يبدأ بحفظ القرآن فإنه أصل علوم الدين . .

---

(١) إحياء علوم الدين ١/ ٢٨٤بتصرف.

(٢) فهم القرآن بين القواعد الضابطة والمزالق المهلكة أ.د. رمضان خميس ص٦ بتصرف.

والمطلوب من القرآن هو فَهم معانيه وتدبره والعمل به، فإن لم تكن هذه همّة حافظه لم يكن من أهل العلم والدين، والله سبحانه أعلم»[١].

وعلى هذا فينبغي على المسلمين عامة، وطلاب العلم خاصة - أن يتجهوا نحو كتاب ربهم أولًا فيحفظوه ويفهموه ويتدبروه ويطبّقوه.. فهو أصل لكل العلوم، ومفتاح لغيره من الفهوم.

وهذا ليس بالمستحيل أو المستصعب، فالله ﷻ وَعَد بالتيسير والفتح في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: الآية ١٧]، ووعْده ﷻ لا يتخلف أبدًا.

❑ ٩- الذنوب والمعاصي:

فالمعاصي كلها أضرار في الدين والدنيا، وهي من أكبر أسباب الطبع على القلب، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: الآية ١٤]، قال الحسن ومجاهد: «الران: هو الذنب على الذنب حتى تحيط الذنوب بالقلب وتغشاه فيموت القلب»[٢]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: الآية ٤٦] قال السعدي: «أي: هذا العمى الضار في الدين عمى القلب عن الحق، حتى لا يشاهده كما لا يشاهد الأعمى المرئيات»[٣].

وصاحب القلب المريض بالمعاصي أبعد الناس عن تدبر القرآن؛ لأنه حُجب عن طريق العلم وهي التقوى، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

فالتدبر في كتاب الله وتفهّمه عِلمٌ من الله ﷻ، ولا يُنال العلم بمعصية الله؛ لأن

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٧٢٨هـ ٢/ ٢٣٥ بتصرف.

(٢) مفاتيح الغيب ٣١/ ٨٦ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٥٤٠ .

حقيقة العلم نور يقذفه الله في القلب، والذنوب والمعاصي سبب الحرمان من هذا العلم.

وقال الزركشي: «واعلم أنه لا يحصل للناظر فَهْم معاني الوحي حقيقة، ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة، وفي قلبه بدعة، أو إصرار على ذنب، أو في قلبه كِبْر، أو هوى، أو حب الدنيا، أو يكون غير متحقق الإيمان»[1].

١٠- الغفلة عن سماع القرآن:

قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء١-٣].

فلو تأملنا الآية لوجدنا أن أعظم مانع من تدبر القرآن هو الغفلة، فالقلب الغافل بسبب اللهو والانشغال بالدنيا لا يتدبر، فصاحب هذا القلب يستمع القرآن بأذنه، ولا يصل إلى قلبه؛ لأن حضور القلب وصفاءه يجعل صاحبه يرى معاني القرآن بوضوح ويحيا بها عملًا وسلوكًا ودعوة وتربية.

ثانيًا: الموانع الأُسْرية والاجتماعية:

من المعلوم أن الأسرة والبيئة التي ينشأ فيها الفرد لها أثر فاعل في تكوين ثقافته والتأثير عليه سلبًا وإيجابًا، فإن كانت البيئة المحيطة مستقيمة دينيًّا وعقديًّا، ناضجة علميًّا وثقافيًّا، ومتزنة فكريًّا وخُلقيًّا؛ أنتجت أفرادًا أسوياء ناضجين، والعكس بالعكس.

«ولا يخفى أن طريقة حفظ القرآن وتعلّمه وتعامل المجتمع معه - تكون ذات أثر فعّال في استجلاء مكنونات النص والوقوف على معانيه وأسراره، وقد تكون مانعة من الوصول إلى ذلك، صابغة العقل بصبغة تحجبه عن روح النص، إما بلَيّ عنقه،

(١) البرهان في علوم القرآن، ٢/ ١٨٠ .

أو بإخراجه عن سياقه، أو بحشو تفسيره بالأباطيل والإسرائيليات. . . وغير ذلك مما يجعل تفسير القرآن وتدبره أمرًا شاقًّا على العامّة، خاصًّا بطائفة معينة من العلماء»(١).

ومن هنا تبرز أهمية البيئة، وبيان دورها في كونها صارفة من صوارف التدبر، ويتلخّص هذا الدور فيما يلي:

❑ ١- تقصير الأسرة في جانب التدبّر، وعدم إذكائه وضبطه بين أفرادها: .

الأسرة هي المحضن الأول للأفراد، فإن كان رب الأسرة مصليًا، قارئًا متدبرًا، خلوقًا ملتزمًا بآداب الإسلام عقيدةً وسلوكًا، مطبِّقًا ذلك على نفسه وأبنائه وأهله، أنبتت هذه الأسرة نباتًا حسنًا، وكانت في طلائع الأسر المؤمنة.

وإن أهمل قائدها كان ما نراه الآن من البعد الحقيقي عن القرآن وتلاوته، فضلًا عن تفهمه وتدبره وتطبيقه والعمل به، ومن ثمّ ينبغي للأسرة المسلمة أن تدرك قيمة التدبر، وتعقد مجلسًا خاصًا كل أسبوع أو شهر على الأقل لتدبّر القرآن وتدارسه، وإن تم هذا اللقاء بين رب الأسرة وأفرادها ستجني ثمارًا يانعة، كتوطيد العلاقة بكتاب الله تعالى، وتأصيل منهج التدبر فيها، وترابط أفرادها، وبُعدها عن التيارات الجارفة، فضلًا عن تحصيل الأجر والمثوبة، وهذا مجرّب بالفعل من كثير من الأُسر، وله الأثر البالغ بإذن الله تعالى.

❑ ٢- قَصْر اهتمام المجتمع بحفظ القرآن دون فهم معانيه وتدبّره: .

وهذا الأمر يتجلى واضحًا لكل ناظر في طريقة تلقّي القرآن وتعليمه لدى الأشخاص أو المؤسسات التعليمية القرآنية، فتجد معظمها إلا من رحم ربك لا تُعنى بهذا الجانب على الإطلاق، بل لا نكاد نجد له ذِكْر أو في خططهم أو

---

(١) صوارف فهم القرآن وعلاجها أ. سامية حرب ص١١٥بتصرف.

مناهجهم في مختلف مراحل التلقي الأولّية أو النهائية، وجُلّ عنايتهم مُنصبّ على حفظ النص وتثبيته، وهذا شيء طيب إلا أنه لا ينبغي الاكتفاء به وحده، بل لابد من ضميمة الفهم والتدبر حتى يكون للقرآن أثره البالغ في الفرد والمجتمع.

والمقترح أمران لمعالجة هذا الموضوع والتغلّب عليه:

أولهما: الرجوع إلى طريقة السلف رضوان الله عليهم في تلقّي القرآن وتعلّمه، وذلك بحفظ قدر من الآيات، وعدم مجاوزتها إلى غيرها إلا بعد معرفة معانيها وتدبرها، والوقوف على ما فيها من العلم والعمل.

وما المانع أن يُطبق هذا المنهج في دُور القرآن وحلقاته، على الأقل مع كبار الناشئة، بعد دراسة الموضوع ووضْع خطته، وإعداد المعلمين، واختيار الطرق المناسبة، والله الموفّق والمعين.

ثانيهما: استغلال المرحلة العمرية الأولى للطفل في حفظ الحروف وإتقانها، وبعد ختم القرآن يتم توجيهه إلى المعاني والتدبر، وعدم اعتماد الحفظ إلا مع المعاني، وإقامة المسابقات التى تُعنى بالجانبين معًا دون أحدهما، مع تنوّع الحوافز المادية والمعنوية المشجِّعة على ذلك، وبإذن الله تعالى سنجني الخير الكثير من هذا المنهج.

❐ ٣- ضعف اللغة العربية وشيوع العاميّة بين أفراد المجتمع:

من أهم الصوارف عن التدبر اليوم: شيوع العاميّة وغلبتها في التخاطب دون الفصحى لغة القرآن، ولعل الخطب يعظم حين تجد بعض المعلّمين في دور العلم، والأساتذة في الجامعات.. يتخاطبون مع طلابهم بالعامية، مما أعظم غربة هذا الجيل عن الفصحى وصعوبة التحدث بها، مما نتج عنه غرابة كثير من ألفاظ القرآن، ومن ثَمّ صعوبة الوقوف على معانيه وتدبرها تلقائيًّا، بخلاف الجيل الأول الذي لم يحتج إلى شيء من ذلك، ولم تكثر لديه الألفاظ الغريبة التي تحتاج

إلى التفسير والشرح.

وعلاج ذلك ميسور، وهو الالتزام بالفصحى على الأقل داخل قاعات الدرس والأسرة للتعوّد على لغة القرآن، وسهولة التخاطب بها، مما ييسِّر عملية التدبر والوقوف على أسرار القرآن، كتاب العربية الأول.

❑ ٤- تقليص المجتمع لدور القرآن الكريم:

الناظر اليوم في حال أمتنا وتعاملها مع القرآن يجد سلوكًا خطأ وأمرًا عجبًا، حيث يلحظ أن كثيرًا من أفراد المجتمع قلّصوا دور القرآن في التبّرك.. ونحوه من الأغراض قليلة الجدوى، فجعلوه في بيوتهم وحوانيتهم وسياراتهم لجلب البركة والخيرات، ودفع الشرور والمضرات، بل علّقوه في رقاب صبيانهم لدفع الأذى عنهم، وفي بعض رقاب بناتهم لجلْب الخُطّاب والأزواج وافتتحوا به مجالسهم وأحفالهم لأجل هذه الأغراض أو ما يقترب منها، بالإضافة إلى «الصورة التي طُبعت في أذهاننا في مراحل الطفولة للقرآن أنه: لا يُستدعى للحضور إلا في حالات الاحتضار والنزع والوفاة، أو عند زيارة المقابر، أو نلجأ لقراءته عند أصحاب الأمراض المستعصية، وهي قراءات لا تتجاوز الشفاه»[(١)].

وجُلّ السامعين إلا من رحم ربي أبعد ما يكون عن التفكّر في الآيات والوقوف معها ومعرفة معانيها، ومن ثم تطبيقها وتنفيذها.

وشاع هذا السلوك في التعامل مع القرآن؛ حتى تكاد الناشئة وجيل اليوم لا يعرفون عن التعامل معه إلا هذا الأسلوب الجزئي القاصر، وإلا فأين الفهم والتدبر، والعمل والتطبيق، والاستشفاء.. وغير ذلك من أنواع الهجر التي أشار إليها ابن القيم[(٢)] في التعليق على قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا

---

(١) كيف نتعامل مع القرآن، للشيخ/ محمد الغزالي، ص١٥ .

(٢) ينظر: كتاب الفوائد له، ص٨٢ .

ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان: الآية ٣٠].

والعلاج أيضًا ميسور بإذن الله تعالى، ويتلخّص في حُسن عودة الأمة إلى هذا المنهج الخالد، وإعادة صياغة تعاملها معه، والبعد عن هذه النظرة الجزئية في التعامل مع القرآن، والتركيز على الفهم والتدبّر والعمل.

❑ ٥- **الأميّة العقليّة، وشيوع روح التقليد والتبعيّة:**

نقصد بالأمية العقلية هنا: سطحية العلم والمعرفة المتعلقة بالقرآن، والاكتفاء بالحفظ وظاهر المعنى، دون التدبر والتطلع والغوص عما سواها من الكنوز والأسرار.

ولعل هذه العقلية هي التي تغلب على كثير من أفراد مجتمعنا الآن في تعاملهم مع القرآن الكريم.

وهذا ما نعاه القرآن على أقوام في تعاملهم مع كتابهم، حيث قال سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ [البقرة: الآية ٧٨].

ونرى أن هذا الداء مما سرى ودبّ في جسد أمتنا تأثرًا بأدواء الأمم السابقة «والأميّة العقليّة هذه تسود الأمة فى حال التقليد، والغياب الحضاريّ، والعجز عن تدبّر القرآن، والتعامل مع الأحداث، واتخاذ المواقف، واكتشاف سنن الله فى الأنفس والآفاق، وحسن تسخيرها، ومعرفة كيفية التعامل معها، والنفاذ من منطوق النص وظاهره إلى مقصده ومرماه..»[1].

وهذا لعمر الله هو القائم بالفعل، حيث إن أمتنا الآن وبخاصة الشباب إلا من رحم الله تتّبع كل سَنَن، وتلبي نداء كل ناعق، دونما وعي أو إدراك، ناهيك عن التبعية الفكرية والثقافية، حيث يصير القارئ للقرآن أسيرًا لتفسير سابق قرأه، أو

---

(١) كيف نتعامل مع القرآن، للشيخ/ محمد الغزالي، ص١٢ .

رواية ضعيفة في سبب النزول اعتقدها، أو قصة دخيلة من القصص. . . ونحو ذلك مما يقبع الفرد المسلم في تبعيته عقودًا تلو عقود، لا يفكر مرة في سبيل للتحرر من هذا الأسر الفكري؛ ليُقبل على القرآن متدبرًا من دون خلفيات سابقة أو أفكار بذهنه عالقة.

وهذا بلا شك صارف عظيم من صوارف التدبر؛ إذ كيف للعقل أن يتدبر وهو مقود، وكيف له أن ينطلق وهو أسير، أو كيف يبدع وهو مقلِّد متبع؟! ولن ينطلق إلا إذا فُك من إساره وتحرر من عقاله.

❑ ٦- التلهّي بوسائل التقنية والإعلام عن القرآن وتدبّره:

من تكريم الله تعالى للإنسان أن سَوَّده على الكون، وجعله مُسخّرًا لخدمته؛ تصديقًا لقوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾ [الإسراء: الآية ٧٠]، ومن تمام إنعام الله تعالى ما أفاء به علينا من تقدّم علميّ، وتقنية عصريّة مذهلة، حتى غدا سكان العالم جميعًا كأنهم يعيشون في بيت واحد.

لكن للأسف تجد كثيرًا من مجتمعاتنا تسيء استخدام هذه النعم، وتتلهّى بها حتى عن الفرض كالصلاة ونحوها، فضلًا عن قراءة القرآن وتدبره، وصار الواحد منهم يطالع صفحته الإلكترونية على أحد المواقع أكثر مما يطالع كتاب الله، وغدت الأمة تنفق على ذلك أثمن وأنفس لحظات حياتها، فضلًا عن أموالها، وحوّلت هذه النعم إلى نقم، وصار ينطبق على أمثالهم قوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ۝٢٨﴾ [إبراهيم: الآية ٢٨]، وتفاقم الأمر حتى تقطعت العلائق بين أبناء الأسرة الواحدة، إنك لتجد في البيت الواحد كل فرد يقيم على جهازه، يقلّب الصفحات تلو الصفحات، ويُضيّع في ذلك الساعات تلو الساعات، وإذا ما ناداه منادٍ حتى رب العالمين فلا مجيب.

ونسأل الله تعالى أن يوفّق المخلِصين من أبناء الأمة لنشر ثقافة التدبر، وحُسن التعامل مع كتاب الله تعالى، والإفادة من هذه التقنيات في خدمة القرآن، مع تنويع أساليب العرض، وتحديثها بما يحمل طابع التشويق والجِدّة والإثارة، فلكل مقام مقال، ولكل جيل ما يناسبه..

ثالثًا: موانع منهجية:

١- عدم التصور الصحيح للقرآن الكريم:

من الظاهر أنه لا يمكن لمن لا يتصور ما هو القرآن الكريم حقًّا أن يتدبره حق التدبر؛ كما أن عدم تصور ماهية القرآن الكريم هي إضافة إلى التقصير العلمي البحت - أمارة على نقص تعظيمه. ومما يبين عدم تصور أفراد مدارس القراءات المعاصرة للنص ما هيةَ القرآن الكريم على التحقيق - قول الدكتور هشام جعيط معرفًا القرآن، حيث قال: «ومفهوم القرآن ذاته أكثر أهمية، ويصعب تفسيره، إلا أنني ألَفت النظر إلى تباينه مع عبارة الكتابات المقدسة أو الكتاب المقدس، المحتوية على التراث اليهودي والمسيحي، والمشيرة إلى فكرة المكتوب في صحف. بينما القرآن يشير إلى ما هو شفوي يتلى بالرغم من أنه أيضًا كتاب ليس على شكل المكتوب ولا حتى على شكل الوحي المكتمل، إذ يصف نفسه بأنه الكتاب من الأول تقريبًا لكن مفهوم الكتاب في العربية القديمة يعبر عن الكتابة والمكتوب معًا كما ورد في حديث بخصوص معاوية: «اللهم علمه الكتاب والحساب». فإما أن يكون القرآن كلامًا سرمديًا وأركتيبًا[1]، وإما أن أي جزء منه يمثل الكتاب كله وهو الكتاب كله»[2].

---

(١) تستخدم هذه الكلمة بمعنى سرمدي وأبدي عند هشام جعيط، ولم أتمكن من معرفة لغتها الأصلية.

(٢) الوحي والقرآن، ص ١٧ .

والحقيقة أن هذه المقابلة وإن كانت صحيحة فلسنا بحاجة لها في معرفة معنى القرآن الكريم، فهي سلوك للطرق الضعيفة؛ توصلًا إلى ماهية القرآن الكريم مع وجود أوصاف ظاهرة للقرآن تغني عن هذه الطرق، كونه معجزًا، متعبدًا بتلاوته، كلامًا لله تعالى، منزلًا.

وممن عَرَّف القرآن الدكتور محمد شحرور، حيث يقول: «القرآن هو مجموع الآيات المتشابهات التي تتحدث عن القوانين الكونية التي تحكم النجوم والكواكب والزلازل والرياح والمياه في الينابيع والأنهار والبحار، وعن قوانين التاريخ والمجتمعات التي تحكم نشوء الأمم وهلاكها، وعن غيب الماضي من خلق الكون وخلق الإنسان وأنباء الأمم البائدة القصص القرآني، وعن غيب المستقبل كقيام الساعة والنفخ في الصور والحساب والجنة والنار»(١).

وهذا التعريف فيه مآخذ متعددة، منها:

الأول: الدكتور محمد شحرور يفرق بين لفظي القرآن والكتاب، فيجعل الكتاب هو الآيات المحكمة والمتشابهة معًا، والقرآن هو الآيات المتشابهة(٢)، فيكون القرآن أخص من الكتاب عنده، ويكفي في بيان بطلان بعض الآراء حكايتها، ومع هذا فإنه يقال: إن العلماء لم يعرفوا القرآن بهذا التعريف، ولا يوجد في المعنى اللغوي للقرآن ما يفيد صلته بالتشابه لنعدها شبهة للدكتور محمد شحرور.

الثاني: ما ذكره الدكتور محمد شحرور تعريفًا للقرآن هو عبارة عن الإشارة لبعض موضوعات القرآن(٣)، مع إغفاله لأمور مهمة يذكرها العلماء في التعريف،

---

(١) موقع الدكتور محمد شحرور، التعريفات والمصطلحات، على الرابط/
http//:www.shahrour.org

(٢) ينظر: الكتاب والقرآن، ص ١٧، ٥١ .

(٣) مع ملاحظة أن ما أورده الدكتور محمد شحرور من موضوعات قرآنية في تعريفه =

منها أنه كلام الله تعالى، وأنه معجز، وأنه متعبد بتلاوته.

ولنقرأ محاولة أخرى لتعريف القرآن، يقول محمد أركون: «إن القرآن هو عبارة عن مجموعة من الدلالات والمعاني الاحتمالية المقترحة على كل البشر، وبالتالي فهي مؤهلة لأن تثير أو تنتج خطوطًا واتجاهات عقائدية متنوعة بقدر تنوع الأوضاع والأحوال التاريخية التي تحصل فيها أو تتولد فيها»[١].

وهذا التعريف تلحقه بعض الملاحظات السابقة، فهو يُغفل أمورًا كثيرة حقها أن يشار إليها عند محاولة تعريف القرآن الكريم، هذا من جانب، ومن جانب آخر ففيه هدم للغاية التي جاء القرآن الكريم لدعوة الناس لتحقيقها، وهي توحيد الله تعالى، إذ دلالات القرآن كما يقول محمد أركون «مؤهلة لأن تثير أو تنتج خطوطًا واتجاهات عقائدية متنوعة بقدر تنوع الأوضاع والأحوال التاريخية التي تحصل فيها أو تتولد فيها» وهذا مؤداه أن كل الاعتقادات الباطلة نابعة من دلالات القرآن، وهذا قول لم تقله فرقة من الفرق الضالة أصلًا، إذ كل فرقة حرصت على أن تدعي دلالة القرآن الكريم على اعتقاداتها وإبطاله ما سواها[٢].

❑ ٢- التعبير عن القرآن الكريم بغير أسمائه وأوصافه:

يعبر محمد أركون في كثير من كتاباته عن القرآن بالمدونة النصية المغلقة[٣]،

= للقرآن هناك ما هو أولى منها في موضوعات القرآن الكريم، كالعناية بالتوحيد وتقريره، وبيان الأحكام، والثواب والعقاب.

ولكن الذي يلاحظ أن تخصص الدكتور محمد شحرور الأصلي في الهندسة المدنية يعلم سرًّا من أسرار عنايته بإيراد ما أورده من موضوعات في تعريف القرآن.

(١) تاريخية الفكر العربي الاسلامي، ص ١٤٥ .

(٢) ينظر كلام الفِرق في القرآن الكريم

(٣) ينظر: القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب، ص ٨٢ .

وعن الآيات بالوحدات[1]، وهذا التعبير منافٍ لأسماء القرآن وأوصافه، ولا شك أن تسمية القرآن أو وصفه بما لم يُسَمَّ به أو يوصف من أبلغ الإساءة في الأدب.

ويجعل محمد أركون القرآن هو المقابل لاعتقادات النصارى في المسيح ﷺ، فيقول: «الشيء الذي يقابل يسوع المسيح في الإسلام هو القرآن بصفته الكتاب المقدس الذي يحتوي على كلام الله الموحى به»[2].

وفي هذا الكلام مغالطة ظاهرة مع ما فيه من سوء الأدب مع القرآن الكريم، ذلك أن جعل اعتقاد المسلمين في القرآن الكريم يساوي اعتقاد النصارى في عيسى ﷺ ظاهر البطلان، فالنصارى يعتقدون أن عيسى ﷺ إله أو ابن إله على خلاف بين طوائفهم في ذلك[3]، ولا أحد من المسلمين يرى مثل ذلك في القرآن، وعليه فلا وجه أصلًا لمثل هذه المقابلة.

وفي موضع آخر يعتبر محمد أركون أن الآيات القرآنية في قصة أصحاب الكهف بأنها مجرد عبارات لغوية ومعنوية مبعثرة! حيث يقول: «إذا ما وصفنا كل ما سبق بأنه مجرد تجاور بين عبارات لغوية ومعنوية متبعثرة، فإن ذلك يعني أننا نؤكد ضمنيًّا على أولوية المعايير البلاغية والمنطقية»[4].

ووصف آيات القرآن الكريم بالعبارات المبعثرة غاية في سوء الأدب مع كتاب الله تعالى.

أما هشام جعيط فإنه يعتبر القرآن سببًا لحدوث الأهواء والفرق، فيقول: «لولا

---

(١) ينظر: القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب، ص ١٤٦ .

(٢) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب، ص ٢٤ .

(٣) ينظر: الفِرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، ص ٨٨، المسيح عند اليهود والنصارى والمسلمين، ص ١١١ ، النصرانية في الميزان، ص ٢٧٣ .

(٤) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب، ص ١٤٩ .

القرآن ولولا محمد وبناؤه للدولة الإسلامية وتشجيعه الضمني على الفتوحات، وبالتالي بناء الامبراطورية ودخول السياسة وأهوائها في اللعبة، لما وُجدت هذه الأهواء والفِرق»[1].

ومثل هذا الكلام البالغ السوء فيه وصف للقرآن الكريم وللنبي ﷺ أنهما سبب وجود الأهواء والفرق. وإذا كان القرآن الكريم والنبي ﷺ سببًا في وجود الأهواء والفِرق فمن هو السبب في اجتماع الأمة؟

وإنما أدرجت مثل هذا الكلام لأبين موقف هؤلاء من القرآن الكريم ومقدار أدبهم معه، وإلا فمثل هذا القول مما يتحرج المرء من مجرد حكايته، والله المستعان.

والحاصل: أن أمثال هذه التصورات عن القرآن الكريم التي يحملها أفراد مدارس القراءات المعاصرة للنصوص - لا شك أن لها أثرها المانع من تدبرهم للقرآن الكريم.

❑ ٣- قلة العلم بعلوم القرآن واللغة وسائر العلوم الخادمة للتفسير:

❍ وتتبين قلة العلم هذه من خلال عدة مظاهر:

المظهر الأول: الخلط الكبير في منهج التعامل مع النصوص في مجال علوم القرآن:

ومن ذلك: اعتبار الأخبار التاريخية مما يزكي قَبول الروايات المتعلقة بالوحي:

يعد محمد عابد الجابري أن النصوص الواردة في السنة النبوية ولو كانت في الصحيح لا تكفي وحدها في موضوع الوحي، وإنما يقبلها لأن الأخبار التاريخية وردت مؤيدة لها وموافقة لمضمونها، وفي ذلك يقول متحدثًا عن روايات نزول

---

(١) الوحي والقرآن، ص ٩ .

الوحي: «تلك روايات[١]، لابد أن يكتنفها ما يكتنف الروايات عادة من نقص أو زيادة وما أشبه. ومع ذلك فليس من الجائز تكذيبها جميعها خصوصًا ويزكي مضمونها ما سبق أن عرضناه في الفصل الأول عن انشغال الناس بانتظار نبي جديد، وتناقل أخبار ظاهرة الحنفاء، وتوقعات الأحبار والقساوسة، وغير ذلك»[٢].

وهذا الكلام باطل من وجوه:

الأول: وصف الروايات بأنها يكتنفها النقص والزيادة في العادة - كلام باطل يقوله من لا يعرف القواعد التي وضعها العلماء للحكم بصحة الحديث أو حسنه[٣]، وتطبيقها ينفي الزيادة أو النقص في الروايات.

الثاني: تقوية الروايات الواردة في السنة النبوية بالأخبار التاريخية هو من تقوية القوي بالضعيف؛ ذلك أن السنة النبوية يشترط لقبولها شروط متعددة في السند والمتن[٤] لا تشترط في الأخبار التاريخية.

---

(١) أشار الجابري في الحاشية إلى بعض مصادر هذه الروايات، فذكر سيرة ابن هشام، والبداية والنهاية لابن كثير، والطبقات الكبرى لابن سعد، وأغفل كثيرًا من كتب السنة بل والصحيحين، إذ فيها روايات كثيرة في الوحي، وأول كتاب في البخاري هو كتاب بدء الوحي، فهل الجابري لم يقف على هذه المصادر التي تُعتبر هي المصادر الأصلية في موضوع الوحي، وهذا ما أستبعده على رجل في مثل اطلاع الجابري، وإذًا فلم يبق إلا أنه ساق تلك المصادر من كتب السيرة وأغفل المصادر الأصلية ليتسنى له الكلام في نقد هذه الروايات دون معارض.

(٢) مدخل إلى فهم القرآن، ص ١٠٢ .

(٣) وقد بينها علماء مصطلح الحديث، ينظر: تدريب الراوي، ١/ ٦١، فتح المغيث ١/ ٢٣ .

(٤) المصدر السابق.

الثالث: تقوية الروايات بتوقعات الأحبار والقساوسة لم يقل به أحد، فإن هذه الأقوال إن كانت مما نقله هؤلاء عن شرعهم فمردها إلى الإسرائيليات[١]، وحاصل القول فيها أنها إن وافقت شرعنا فعملنا إنما هو بالشرع لا بهذه الروايات، وإن كانت من أقوال الأحبار والقساوسة التي قالوها دون أخذٍ لها من شريعتهم فهذه لم يقل أحد إنها تقوي الروايات الواردة في السنة النبوية، وإنما اعتد بقول الأحبار والرهبان أتباعهم ممن أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: الآية ٣١].

أما هشام جعيط فيذهب إلى ما هو أبعد من مجرد تقوية الروايات الواردة في السنة النبوية بغيرها، إذ يرى أنها غير معتمدة أساسًا لإثبات الوحي، وفي هذا يقول: «نحن كعلماء[٢] نتبع ما يقوله كل دين عن نفسه: القرآن، وهو الكتاب المقدس لدى المسلمين، يقول: إنه وحي من الله وكلام الله وأن محمدًا رسول الله أنزل عليه القرآن. القرآن يقول كذا وكذا عن تجربة الرؤية والوحي، وهي وثيقة رائعة لصحتها التاريخية ومعاصرتها للبعثة. ونحن لا نعتمد على ما أكمل به الإسلام فيما بعد من سيرة وتاريخ وطبقات وحديث؛ لأن القاعدة أن كل ما دُوِّن بعد مائة سنة من الحدث فاقد لثقة المؤرخ»[٣].

وتأمل كيف ذكر الدكتور هشام جعيط السيرة والتاريخ والطبقات في سياق واحد

---

(١) الاسرائيليات هي: كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني. ينظر: الاسرائيليات في التفسير والحديث، ص ١٣.

(٢) هذه دعوى وهي بحاجة إلى إقامة الدليل، وما سنعرضه من كلام الدكتور هشام جعيط في هذه الرسالة في المباحث القرآنية - لا يتفق والمنهج العلمي الذي يسلكه العلماء.

(٣) الوحي والقرآن، ص ٩٤ .

مع الحديث ليسهل التوصل إلى نقد الحديث.

المظهر الثاني: قلة العلم بما يتعلق بجمع القرآن:

يقول محمد أركون متكلمًا عن جمع القرآن: «يطيب للتراث المنقول أن يذكر أنه في حالات معينة فإن بعض السور كان قد سُجل كتابة فورًا على جلود الحيوانات وأوراق النخيل أو العظام المسطحة ... إلخ، واستمر هذا العمل عشرين عامًا»[١].

هذا الأمر الذي نقله الدكتور محمد أركون مشككًا فيه هو الذي تدل عليه الأدلة، ومنها: قول زيد بن ثابت رضي الله عنه: «فتتبعت القرآن أجمعه من الرِّقاع[٢] واللِّخاف[٣] والعُسُب[٤] وصدور الرجال»[٥].

ففي هذا الأثر أن القرآن الكريم كان مكتوبًا قبل جمع أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ويحاول محمد أركون أن يلخص النتائج المترتبة في زعمه على جمع عثمان رضي الله عنه للمصحف حيث يقول: «لقد نجم عن جمع عثمان عددًا[٦] من القراءات المؤسفة:

القضاء على المجموعات الفردية السابقة وعلى المواد التي كانت بعض الآيات

---

(١) تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص ٢٨٨ .

(٢) الرقاع جمع رقعة، وهي ما يكتب به. ينظر: لسان العرب ٨/ ١٣١، القاموس المحيط ٣/ ٣٠ .

(٣) قال ابن فارس رحمه الله: «اللام والخاء والفاء كلمتان، إحداهما اللِّخاف، وهي حجارة بيض رقاق، واحدتها لَخْفَة» مقاييس اللغة ٥/ ٢٤١، وينظر: تهذيب اللغة ٧/ ١٦٨ .

(٤) العسب: جمع عسيب، والمراد جريد النخل. ينظر: تاج العروس ٣/ ٣٦٩ .

(٥) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب سورة براءة التوبة ٤/ ١٧٢٠ ح ٤٤٠٢ .

(٦) هكذا!، والصواب: عددٌ بالضم لأنها فاعل.

قد سجلت عليها، التعسف في حصر القراءات في خمس، حذف مجموعة ابن مسعود المهمة جدًا، وهو صحابي جليل، وقد أمكن الحفاظ على مجموعته بالرغم من ذلك في الكوفة حتى القرن الخامس.

أضف إلى ذلك أن النقص التقني في الخط العربي يجعل من اللازم اللجوء إلى القراء المختصين، أي إلى شهادة شفهية»[1].

وعند تأمل هذه النتائج المزعومة التي رتبها الدكتور محمد أركون على جمع عثمان رضي الله عنه للقرآن، نجد فيها عددًا من الأخطاء العلمية، وقد ذكر أربع نتائج، وسأذكرها مع التعليق عليها، وهي:

أولًا: قول أركون في النتيجة الأولى: «القضاء على المجموعات الفردية السابقة وعلى المواد التي كانت بعض الآيات قد سجلت عليها».

والحق أن هذه النتيجة ليست مؤسفة كما عبر أركون، بل اتفق الصحابة الحاضرون زمن عثمان رضي الله عنه عليها، كما دل عليه أثر مصعب بن سعد قال: «أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف، فأعجبهم ذلك»، وقال: «لم ينكر ذلك منه أحد»[2].

ثانيًا: قول محمد أركون: «التعسف في حصر القراءات في خمس» هذه النتيجة ظاهرة الغلط إذ إن كان مراده بالقراءات القراءات المعروفة فليست خمسًا ولم يحدد عددها عثمان رضي الله عنه ولا أحد من الخلق لأنها وحي من الله تعالى، وإن كان المراد بالقراءات هنا نسخ المصاحف فلا حصر أصلًا لأن المراد اتخاذ هذه المصاحف[3] أصولًا يُنسخ منها الناس لا الاكتفاء بها.

---

(١) الفكر العربي، ص ٣٠- ٣١ .

(٢) أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف، ص ١٢ .

(٣) في عددها خلاف بين العلماء: قيل: سبعة، وقيل: أربعة وقيل: خمسة. ينظر: =

ثالثًا: قول محمد أركون: «حذف مجموعة ابن مسعود المهمة جدًّا، وهو صحابي جليل، وقد أمكن الحفاظ على مجموعته بالرغم من ذلك في الكوفة حتى القرن الخامس».

ويناقش هذا الكلام بأن مصاحف الصحابة ومنهم ابن مسعود رضي الله عنه الأصل أنها لم تكن تخالف المصحف الذي جمعه عثمان رضي الله عنه، ولو حصل ذلك لنُقل لنا إنكار الصحابة بعض ما في المصاحف العثمانية[1].

رابعًا: قول محمد أركون: «أضف إلى ذلك أن النقص التقني[2] في الخط العربي يجعل من اللازم اللجوء إلى القراء المختصين، أي: إلى شهادة شفهية».

هذا الذي ذكره محمد أركون مبني على الظن أن كتابة المصاحف تعني الاستغناء عن نقل القرآن الكريم مشافهة، ولم يقل به أحد من أهل العلم؛ لذا فإن تلقي القرآن بالمشافهة والسماع من الشيوخ ظل هو الأصل حتى مع كتابة المصاحف العثمانية، وعليه فلا إشكال في الرجوع إلى القراء المختصين.

المظهر الثالث: القول بالزيادة والنقص في القرآن:

تحدث الدكتور بسام الجمل عما زعمه من وقوع الزيادة والنقص في القرآن

= كتاب المصاحف ١/ ٢٣٨، الإتقان ٢/ ٣٩٣ علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير ٢/ ٩١.

(١) أما المروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه أنكر كون سورتي المعوذتين من القرآن فقد أنكره بعض العلماء كالنووي، وبينوا: أن ذلك باطل مكذوب عليه، ليس بصحيح. ينظر: المجموع ٣/ ٣٦٣، مناهل العرفان ١/ ٢٢٤.

(٢) الحق أن وصف الرسم العثماني بالنقص التقني جهل بحقيقة هذا الرسم، وقد امتدح العلماء المحققون هذا الرسم، وبينوا إتقان كتبة المصحف من الصحابة لكتابته، وكيف أن هذه الكتابة تحملت أوجه القراءة المختلفة. ينظر: رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، ص ٧٤١، رسم المصحف وضبطه، ص ٤١.

ومما قال: «وما استقر في الوجدان الإسلامي أن ما جُمع من القرآن هو الوحي برمته لم يَضِعْ منه شيء، ولم يطرأ عليه أي تغيير بالزيادة أو النقصان. وهذا التصور تناقضه أخبار عديدة تناقلتها المصادر السنية نفسها، فما قيل في سورة الأحزاب معروف ومشهور بين الدارسين. وإذا ما صحت هذه الأخبار فإن ذلك يحوج إلى إعادة النظر في حقيقة الوحي وتاريخ المصحف والأسس التي قام عليها مفهوم النسخ في القرآن»[1].

وهكذا نلحظ أن الدكتور بسام الجمل قام بتَكرار التشكيك في حصول نقص أو زيادة في القرآن الكريم، دون تقديم حجة صحيحة.

وأما الاستدلال بما قيل في سورة الأحزاب فهو يشير إلى أثر عائشة ﵂ قالت: كانت سورة الأحزاب تُقرأ في زمان النبي ﷺ مائتي آية، فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها إلا على ما هو الآن[2].

وأثر زر بن حبيش قال: قال لي أُبي بن كعب: يا زر، كأين تعد؟ أو قال: كأين تقرأ سورة الأحزاب؟ قلت: اثنتين وسبعين آية، أو ثلاثًا وسبعين آية. فقال: «إن كانت لتعدل سورة البقرة، وإن كنا لنقرأ فيها آية الرجم»، قلت: وما آية الرجم؟ قال: (إذا زنا الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالًا من الله، والله عزيز حكيم)[3].

---

(١) أسباب النزول، ص ٣٠٨ .

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن، ٢/١٤٦ ح ٧٠٠، وفي إسناده ضعف، ومتنه باطل إذ يوهم وجود تلك الآيات، وإنما منع من كتابتها عدم مقدرة عثمان ﵁ على جمعها، وهذا باطل منافٍ لحفظ الله تعالى للقرآن. ينظر: الإتقان ٤/١٤٥٦ .

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن، ٢/١٤٦ ح ٧٠١، وفي إسناده ضعف، وينظر: الإتقان ٤/ ١٤٥٧ .

وهذان الأثران ضعيفان لا تقوم بهما حجة، وعلى فرض صحتهما يجاب بأن المراد أنها كانت مئتي آية قبل أن يقع فيها نسخ، ثم نُسخت نسخ تلاوة حتى بقيت على ما هي عليه اليوم، وقد أورد السيوطي رحمه الله هذه الآثار في منسوخ التلاوة والحكم[١].

المظهر الرابع: الجهل العظيم بطرق نقل القراءات القرآنية:

يقول الدكتور محمد أركون: «كان الطبري لا يزال قريبًا من عهد الاختلاف في ما يخص نقل النصوص القرآنية أو الصياغات النصية؛ ولذلك نجد لديه إشارات متكررة إلى قراءات مختلفة، ولكن مع الحرص المستمر على شيئين اثنين: الأول: هو أنه يرفض القراءات المختلفة أكثر من اللازم والتي تصعب مصالحتها مع المعايير اللاهوتية الأرثوذكسية[٢]. أما القراءات الأخرى التي لا تختلف كثيرًا فإنه يهضمها ويدمجها داخل البنية العامة للخطاب القرآني. بتعبير آخر، إن عمل الطبري يفرض نفسه كجهد مبذول من أجل تحقيق الانسجام والتوفيق والعقلنة والتثبيت اللغوي والأدبي لنص نقل شفهيًّا وكتابيًّا في آن معًا طيلة ثلاثة قرون.

أما بعد الطبري فقد أصبحت الروايات المختلفة مندمجة جدًّا إلى درجة أنها نُقلت بشكل مغفل عن طريق استخدام صيغة الفعل المبني للمجهول، فيقولون: قرئ»[٣].

وفي كلام الدكتور محمد أركون عدد من الملاحظات:

الأولى: يعتبر محمد أركون أن هناك عصرًا حدث فيه الاختلاف في نقل

(١) ينظر: الإتقان ٤/١٤٥٦- ١٤٥٧ .

(٢) وصف الأمور الشرعية باللاهوتية والأرثوذكسية فيه سوء أدب في العبارة.

(٣) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب، ص ١٥٥ .

النصوص القرآنية؛ ولذا نرى أنه يقول: «كان الطبري لا يزال قريبًا من عهد الاختلاف في ما يخص نقل النصوص القرآنية»، هكذا كأن هذه القضية من المسلمات، مع أن الناظر في تاريخ جمع القرآن الكريم لا يجد أي خلاف قد حدث يتعلق بالنصوص القرآنية أصلًا، ووجود تردد من بعض الصحابة أول الأمر في قضية جمع القرآن الكريم لا يعني أنهم يخالفون في النصوص القرآنية! لذا فكلام الدكتور محمد أركون هنا فيه خلل ظاهر.

الثانية: يجعل محمد أركون إشارة الطبري للقراءات نتيجة لقربه من عصر الاختلاف في نقل النصوص، وهذا أمر يبطله أن العلماء والمفسرين ممن جاءوا بعد الطبري بقرون متعددة ينقلون في كتبهم اختلاف القراءات، وعناية الطبري ﷺ يذكر القراءات المختلفة في الآية راجعة إلى ما يترتب على هذه القراءات من اختلاف في المعنى[1].

الثالثة: القول إن الطبري ﷺ «يرفض القراءات المختلفة أكثر من اللازم والتي تصعب مصالحتها مع المعايير اللاهوتية الأرثوذكسية» هو جهل بمنهج الطبري ﷺ في التعامل مع القراءات، فلا علاقة لما يرده الطبري من القراءات بالاختلاف مع المعايير اللاهوتية كما يزعم أركون، ولكن للطبري ﷺ موقف من القراءات قائم على منهج علمي يسلكه[2].

---

(١) وهذا أمر أبرزه من اعتنوا ببيان منهج الطبري في تفسيره جامع البيان. ينظر: التفسير والمفسرون ١/ ٢١٤.

(٢) وردت عن الطبري في جامع البيان عدة عبارات توهم الرد لبعض القراءات المتواترة ووصفها بالشذوذ، وقد دَفَعَتْ هذه العبارات الباحثين لتتبع منهج الطبري في ذلك، ولعل أبرز ما يمكن قوله هو أن الطبري ﷺ لم يثبت عنده تواتر ما رد من القراءات؛ ولذا فهو لم ينكر قراءة متواترة ثبت عنده تواترها، وإن كان رأيه هذا مرجوحًا، وقد بين العلماء أن ما رده الطبري متواتر أيضًا، ولا تعارض بين القراءات أصلًا. =

والحاصل: أن من موانع تدبر القرآن الكريم عند مدارس القراءات المعاصرة للنص ما سبق بيانه من الجهل بعلوم القرآن الكريم؛ وما هذه النقاط السابقة إلا غيض من فيض من قلة علمهم بعلوم القرآن وأصول التفسير.

❑ ٤- الزهد والتزهيد في كتب التفاسير:

من طرق فهم كتاب الله تعالى وتدبره: القراءة في كتب التفسير ومعرفة أقوال المفسرين. ومن يزهد في كتب التفسير والمفسرين هو في مؤدى الأمر يُزهد في طريقة فهم القرآن الكريم في زمننا؛ وبالتالي فهو من أبعد الناس عن تحقيق التدبر.

وهذه نقول تبين حال أفراد مدارس القراءة المعاصرة للنص مع المفسرين وكتب التفسير:

ومن ذلك قول محمد أركون عن الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان الطبري - مثلًا- يستطيع أن يسبق بكل سذاجة كل تفسير من تفاسيره بالعبارة التالية: يقول الله. لكأنه يستطيع أن يعرف بالضبط مقصد الله من كلامه ويشرحه حرفيًا»[١].

وهكذا يتحول الأدب العظيم الذي يتحلى به الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع القرآن الكريم إلى محل انتقاد عند محمد أركون يستحق به أن يوصف صنيعه هذا بالسذاجة.

وما فهمه محمد أركون من أن قول الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يقول الله تعالى)، يتضمن ادعاءه معرفة المراد الكامل من القرآن الكريم - يدل على جهله بأسلوب هذا الإمام في التفسير، حيث يستخدم هذه العبارة كثيرًا في تفسيره بعد عبارة:

= ينظر: هل أنكر الطبري قراءة متواترة أوردها، مقال للدكتور مساعد الطيار، موقع ملتقى أهل التفسير

http//:www.tafsir.net/vb/showthread.

(١) الفكر الاسلامي نقد واجتهاد، ص ٩٠ .

القول في تأويل قوله تعالى [١]، وهذا يفيد بوضوح أنه يرى ما يقوله تأويلًا وتفسيرًا للآية لا أنه المراد الكامل من الآية.

وأشد من ذلك: الطعن في مفسري السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم:

يقول الدكتور بسام الجمل متحدثًا عن جهد التابعين في نقل أسباب النزول والبحث عنها: «ولم يكن بحثهم ها هنا، بمنأى عن ضغوط واقعهم التاريخي وإكراهاته الخفية والمعلنة من ناحية، وعن آفاقهم المعرفية ونفسياتهم وانتماءاتهم الأيديولوجية ونزعاتهم المذهبية من ناحية أخرى»[٢].

وهكذا لا يترك الدكتور بسام الجمل الكلام عن عصر التابعين دون أن يطعن في نياتهم في نقل أسباب النزول، وأنهم لم يكونوا «بمنأى عن ضغوط واقعهم التاريخي، وإكراهاته الخفية والمعلنة من ناحية، وعن آفاقهم المعرفية، ونفسياتهم، وانتماءاتهم الأيديولوجية، ونزعاتهم المذهبية من ناحية أخرى».

❑ ٥- الفهم الخاطئ لمعاني كلام الله تعالى:

من عوائق التدبر الكبيرة: الجهل بمعاني كتاب الله تعالى؛ وهو إما عدم العلم بمعناها أو العلم به على غير وجهه؛ وكلاهما متحقق في أفراد مدارس القراءات المعاصرة للنص؛ على المستوي النظري بانتقاد فهم القرآن الكريم من خلال لغة العرب في الجاهلية، فهم يرون أن لغة العرب لم تعد كافية في فهم القرآن الكريم.

وفي هذا يقول الدكتور محمد شحرور: «لا يمكن فهم التنزيل الحكيم من خلال فهم الشعر الجاهلي ومفرداته، فللجاهليين أرضيتهم العلمية التي جاءت مفردات

---

(١) ينظر على سبيل المثال: جامع البيان ٢/ ٥٤، ٧٥، ١٣٠، ١٥١، ١٥٢، والأمر أكثر من أن يحصى.

(٢) أسباب النزول، ص ١٤٧-١٤٨

شعرهم عاكسة لها ومعبرة عنها ومقيدة بها، ونحن لا نجد كلمات أو مفردات عند العرب وقتها تدل على الجاذبية الأرضية أو على كرويتها؛ لأنهم لم يعرفوها أصلًا. ولو حصرنا فهم التنزيل الحكيم بها، لما حق لنا أن نقول: إن المكتشفات الحديثة العلمية أكدت مصداقية القرآن.

ومن هنا قلنا: إن المجتمعات هي التي تشارك في صنع المعاني حسب تطور معارفها، لكن هذه التطورات نفسها محسوبة في التنزيل، بحيث مهما امتدت واتسعت، فسيجد الإنسان أنها منسجمة مع النص القرآني، مصدقة له، ودائرة في فلكه.

إضافة إلى ما ورد في الفقرة السابقة، فقد جاء التنزيل يحمل في ذاته تطورًا لغويًّا لم يعرفه الجاهليون في لسانهم قبله. ففيه مفردات أتى بها من لغات أخرى غير العربية، وفيه أسلوب متميز بالنظم يخرجه كلية من دائرة الشعر أو الخطابة التي عرفها العرب قبله، وفيه مصطلحات مستحدثة انفرد بها لم تكن موجودة قبله، وهذا وأشباهه كثير كثير، يؤكد استحالة اعتبار مفردات الجاهلية كافية بذاتها لفهم التنزيل الحكيم»[(١)].

وهكذا نرى أن الدكتور محمد شحرور يعلل عدم صلاحية لغة العرب وحدها لفهم القرآن الكريم بعدد من العلل، ومردها إلى أمور، وهي:

الأمر الأول: أن لغة العرب في الجاهلية لا تعبر عن الاكتشافات الحديثة، ولو قصرنا فهم القرآن عليها «لما حق لنا أن نقول: إن المكتشفات الحديثة العلمية أكدت مصداقية القرآن».

وهذا لا يؤثر على اعتبار لغة العرب هي طريق فهم القرآن الكريم إذ المكتشفات

---

(١) الدولة والمجتمع، ص ٤٠-٤١ .

الحديثة التي يُدَّعى دلالة القرآن عليها أحد نوعين:

النوع الأول: ما يدل عليها القرآن الكريم بطريق تقبله اللغة العربية ولا يخالف أساليبها، فهذا النوع لا ينافي اعتبار لغة العرب طريق فهم القرآن الكريم.

النوع الثاني: ما استفاده أصحابه من القرآن الكريم بطرق لا تساعد عليها لغة القرآن الكريم نفسه، وهذا النوع نسبته إلى القرآن الكريم باطلة.

وأصل الإشكال إنما نشأ عند بعض الباحثين حين اعتبر القرآن الكريم كتاب علوم عصرية يتطلب فيه المكتشفات والمخترعات، ويعتبر وجودها فيه دليل كماله، وعدم وجودها فيه دليل نقص يسعى إلى دفعه! وليس الأمر كذلك والقرآن الكريم كتاب هداية وتقرير عقيدة وعبادة ودين لا كتاب علوم.

الأمر الثاني: يرى الدكتور محمد شحرور أن لغة العرب عند نزول القرآن الكريم لم تعد كافية لفهم القرآن الكريم لأنها تعرضت لما أسماه تطورًا لغويًا، وهو حسب كلامه يقع في أمور، ذكر منها:

* مفردات أتى بها القرآن الكريم من لغات أخرى غير العربية.

* أسلوب متميز بالنظم يخرجه كلية من دائرة الشعر أو الخطابة التي عرفها العرب قبله.

* مصطلحات مستحدثة انفرد بها، لم تكن موجودة قبله.

وهذه الأمور الثلاثة المذكورة بحاجة إلى وقفات فيما يلي:

الأمر الأول: القول بأن في القرآن الكريم ما هو بغير لغة العرب قول ناقشه العلماء رحمهم الله تعالى في كتبهم، عند بحثهم: هل في القرآن مُعَرَّب أو لا؟

وحاصل الأمر أن قوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: الآية ١٩٥] دليل أنه لا يوجد في القرآن الكريم ما هو غير عربي، قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنما ذكر

تعالى ذكره أنه نزل هذا القرآن بلسان عربي مبين في هذا الموضع، إعلامًا منه مشركي قريش أنه أنزله كذلك لئلا يقولوا: إنه نزل بغير لساننا، فنحن إنما نُعْرِض عنه ولا نسمعه لأنا لا نفهمه. وإنما هذا تقريع لهم»[١].

وما كان من الألفاظ في لغة من اللغات فهو من الألفاظ التي اتفقت فيها أجناس الأمم، وليس القول بأن العرب أخذوا هذا اللفظ من غيرهم بأولى من العكس[٢].

الأمر الثاني: وجود الأسلوب المتميز عن الشعر والخطابة هو نوع من إعجاز القرآن الكريم، ولا علاقة لاختلاف الأسلوب القرآني عن الشعر والخطابة بعدم إمكان فهم هذا الأسلوب بلغة العرب زمن نزول القرآن الكريم، ولو كان ذلك لكان هذا من متمسكات الجاهليين في الطعن بالقرآن.

الأمر الثالث: المصطلحات القرآنية مبنية على اللغة العربية، فأصلها مفهوم في اللغة، وإن وقع التمييز لها بالمقدار أو الصفة، ومَرَدّ مثل هذا إلى مباحث المجمل والمبين عند الأصوليين[٣]، فما كان في لغة العرب معروفًا على طريق الإجمال ثم جاء في القرآن مبين الصفة أو القدر فلا يعني هذا إخراجه عن عربيته.

أما بالنظر إلى المستوى التطبيقي للفهم الخاطئ لكتاب الله تعالى فهو كثير عند أفراد مدارس القراءات المعاصرة للنص؛ ولا عجب فالتنظير الخاطئ لطرق فهم كتاب الله تعالى يوصل إلى التطبيق الخاطئ.

ومن أمثلة ذلك[٤]: تفسير محمد شحرور لقوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧/ ٦٤٣ .

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١/ ١٨، لغة القرآن لغة العرب المختارة، ص ١٩، علوم القرآن في مقدمات التفاسير ٢/ ٣٦٤ .

(٣) ينظر: قواطع الأدلة ٢/ ٥٠، إرشاد الفحول ٢/ ٧٢٠، أضواء البيان ١/ ٥-٤٦ .

(٤) الأمثلة كثيرة في كتب محمد شحرور ومحمد أركون. =

شَهۡرٖ ۝٣﴾ [القدر: الآية ٣]؛ حيث يقول الدكتور محمد شحرور: «لك أن تذهب بكلمة شهر إلى أنها من الشهرة والإشهار القانوني الملزم للبيع والشراء. ولا يلزمك أن تفهم «الأَلْف» على أنها عدد، بل جاءت من فعل «ألف» وهو ضم الأشياء بعضها إلى بعض بشكل منسجم، ومنه جاءت الألفة والتأليف. أي أن إشهار القرآن خير من كل الإشهارات الأخرى مؤلفة كلها بعضها مع بعض»[1].

ولك أن تتأمل هذا الخلط العجيب في المعاني؛ حيث يتحول الشهر إلى الإشهار! والأَلْف إلى الألفة!!

ولا شك أن الظاهر من الآية الكريمة؛ وهو أن الشهر هو أحد الشهور القمرية؛ والمقصود به شهر رمضان؛ وأن الألف هي العدد المعروف - هذا هو المقصود، وبه فسَّر الآية عامةُ المفسرين[2].

وهكذا يتبين لنا أن هذا الفهم الخاطئ لكتاب الله تعالى على الجانبين النظري والتطبيقي - من أبرز موانع تدبر القرآن الكريم عند مدارس القراءات المعاصرة للنص.

= ويمكن الوقوف على بعضها عند محمد شحرور في: الكتاب والقرآن؛ ص ٦٠٤ عندما فسَّر الجيوب بالسوءتين! أو عند محمد أركون: في القرآن بين التفسير المأثور وتحليل الخطاب، ص ١٧٠ يوم جَعَل القصص الواردة في سورة الكهف من قبيل الأساطير!

(١) الكتاب والقرآن، ص ١٥٣ .

(٢) ينظر: جامع البيان ٢٤/ ٥٤٥، زاد المسير ٩/ ١٩١، الجامع لأحكام القرآن ٢٢/ ٣٩٣، مفاتيح الغيب ٣٢/ ٣٠، روح المعاني ٣٠/ ١٨٩ .

المعيار الرابع: أسباب الفهم الخاطئ في تدبر القرآن:

أولًا: الزيغ والانحراف العقدي:

من كانت عقيدته منحرفة ودخل في فهم القرآن، فإنه لا بد أن يضل في القرآن؛ ولذلك تجد طوائف كثيرة ممن انتسبوا إلى الإسلام عندما دخلوا في القرآن وعندهم قواعد سابقة من الضلال في العقيدة، انحرفوا انحرافًا كبيرًا.

ولا أدل على ذلك من استدلال كافة الفِرق المنحرفة لصحة مذاهبهم بالقرآن، حتى ولو كانت استدلالات شاذة.

فمثلًا: يستدل المعتزلة على صحة مذهبهم بأن إبراهيم قال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [مريم: الآية ٤٨]، قالوا: بما أن إبراهيم اعتزل إذًا الاعتزال هو الصحيح. وهذا هو الضلال البعيد في فهم القرآن الكريم.

ثانيًا: اتباع الهوى يُعمي ويُصم عن فهم القرآن:

فمن الناس من يكون اتباعهم للهوى في فهمهم للقرآن ناتجًا عن التهجم على كتاب الله والجرأة عليه بغير علم، كل واحد يظن نفسه أنه سيفتي في القرآن حسب رؤيته ونظرته هو، فيدخل ويفسر مُشرقًا ومُغربًا، فتجده يقع في التخبط الشديد والضلال البعيد، ومنهم من يحمله الهوى على محاولة تبرير أخطائه لتشهد الآيات عليها.

وفي ذلك يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «صاحب الهوى يعميه الهوى ويصمّه، فلا يستحضر ما للّه ورسوله في الأمر ولا يطلبه أصلًا، فليس قصده أن يكون الدّين كلّه للّه، وأن تكون كلمة اللّه هي العلياء - بل قصده الحميّة لنفسه وطائفته أو الرّياء»(١).

ويبين الشّاطبيُّ رحمه اللّه أن اتباع الهوى سبب للفهم الخاطئ الذي وقع فيه أهل

---

(١) ينظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٥/ ٢٥٥- ٢٥٦ .

البدع، فقال وهو يذكر علامات أهل البدع، منها: الفرقة التي نبّه عليها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: الآية ١٥٩]، وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ﴾ [آل عمران: الآية ١٠٥]، أي أنّهم صاروا فرقًا لاتّباع أهوائهم، وبمفارقة الدّين تشتّتت أهواؤهم فافترقوا ثمّ برّأ اللّه نبيّه منهم بقوله: ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: الآية ١٥٩]، ثمّ ذكر أنّ اتّباع الهوى طريق إلى الضلال والحياد عن طريق الحق، مؤكدًا ذلك بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران: الآية ٧]، وهو الميل عن الحقّ اتّباعًا للهوى، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: الآية ٥٠]، وقوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: الآية ٢٣] (١).

ثالثًا: الكبر من موانع الفهم الصحيح:

إن المتأمل في أحوال المعرضين عن فهم كتاب الله وتدبر آياته - سيجد أن اتباعهم للهوى وإعراضهم عن كتاب الله إنما هو نتيجة من نتائج الكبر الذي هو مانع كبير من موانع الفهم والتدبر.

يقول المولى ﷻ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٤٦].

قال سفيان بن عيينة في تفسير هذه الآية: «سأنزع عنهم فهم القرآن، وأصرفهم عن آياتي»(٢).

وقال بعض السلف: «لا ينال العلم حيي ولا مستكبر»(٣).

---

(١) ينظر: الموافقات ٤/ ١٠٤- ١٠٧ بتصرف.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٤٧٥ .

(٣) المصدر السابق.

رابعًا: التعصب والتقليد الأعمى لطائفة أو مذهب بعينه:

إن من موانع الفهم الصحيح لكتاب الله تعالى التقليد الأعمى من غير إعمال للعقل والرجوع لأقوال أهل العلم في ذلك، فالتعصب والتقليد الجامد تعطيل للفكر وجعل العقل تابع لغيره.

وقد تحدث عن هذا الإمام الغزالي وهو يذكر موانع الفهم لكتاب الله، فقال: «أن يكون مقلِّدًا لمذهب سمعه بالتقليد، وجمد عليه، وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة، فهذا شخص قيَّده معتقده عن أن يجاوزه، فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده، فصار نظره موقوفًا على مسموعه، فإن لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني التي تباين مسموعه؛ حمل عليه شيطان التقليد حملة، وقال: كيف يخطر هذا ببالك، وهو خلاف معتقد آبائك؟! فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه ويحترز عن مثله»[1].

خامسًا: اتباع المتشابهات وترك المحكم من كتاب الله:

فلقد حذَّر النبي ﷺ من اتباع المتشبهات وعدم ردها إلى المحكم من كتاب الله، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «تلا رسول اللّه ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران: الآية ٧]، قالت: قال رسول اللّه ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ»[2].

---

(١) إحياء علوم الدين ١/ ٢٨٤ .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ مُّحْكَمَـٰتٌ﴾ [آل عمران: الآية ٧] ٤٥٤٧، ومسلم، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه، ٢٦٦٥ .

وقال الخَطَّابي: «المتشابه على ضربين: أحدهما: ما إذا رد إلى المحكم واعتبر به عرف معناه: والآخر: ما لا سبيل إلى الوقوف على حقيقته، وهو الذي يتبعه أهل الزيغ، فيطلبون تأويله، ولا يبلغون كُنْهَه فيرتابون فيه، فيُفتتنون»[(١)].

وقال ابن الحصَّار: «قسَّم الله آيات القرآن إلى محكم ومتشابه، وأخبر عن المحكمات أنها أم الكتاب؛ لأن إليها ترد المتشابهات، وهي التي تعتمد في فهم مراد الله من خلقه في كل ما تعبدهم به من معرفته، وتصديق رسله، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وبهذا الاعتبار كانت أمهات. ثم أخبر عن الذين في قلوبهم زيغ أنهم هم الذين يتبعون ما تشابه منه، ومعنى ذلك: أن من لم يكن على يقين من المحكمات وفي قلبه شك واسترابة، كانت راحته في تتبع المشكلات المتشابهات. ومراد الشارع منها التقدم إلى فهم المحكمات، وتقديم الأمهات، حتى إذا حصل اليقين، ورسخ العلم، لم تبالِ بما أشكل عليك. ومراد هذا الذي في قلبه زيغ التقدم إلى المشكلات، وفهم المتشابه قبل فهم الأمهات، وهو عكس المعقول والمعتاد والمشروع»[(٢)].

وقال الشاطبي: «ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: الآية ٧]، فأثبت لهم الزيغ أولًا، وهو الميل عن الصواب، ثم اتباع المتشابه وهو خلاف المحكم الواضح المعنى الذي هو أم الكتاب ومعظمه، ومتشابهه على هذا قليل، فتركوا اتباع المعظم إلى اتباع الأقل المتشابه الذي لا يعطي مفهومًا واضحًا؛ ابتغاء تأويله، وطلبًا لمعناه الذي لا يعلمه إلا الله، أو يعلمه الله والراسخون في العلم، وليس إلا برده إلى المحكم، ولم يفعل المبتدعة ذلك»[(٣)].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٣/ ١٠ .
(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٤/ ١٣٤٩ .
(٣) الاعتصام ١/ ١٩٠ .

سادسًا: الاعتماد على الأحاديث الواهية والضعيفة عند التدبر، ورد الأحاديث الثابتة والصحيحة:

يؤكد الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ أن الحديث الضعيف لا يغلب على الظن أن النبي ﷺ قاله - فضلًا عن الأحاديث الموضوعة المكذوبة على النبي ﷺ - لذلك لا يصح أن يؤخذ منه حكم؛ لأن أمثال هذه الأحاديث لا يُبنى عليها حكم، ولا تُجعل أصلًا في التشريع أبدًا، ومن جعلها كذلك فهو جاهل أو مخطئ في نقل العلم، ويرى أن الحديث إذا كان مخالفًا لأصل من أصول الشريعة إنما هو حديث ضعيف وإن كان ظاهره الصحة، ويرى أن سبب الضعف يعود إلى وهم وغلط ونسيان بعض الرواة(١).

وقد لجأ بعض المبتدعة لمخالفة النصوص الشرعية الثابتة عن رسول الله ﷺ؛ لأنها غير موافقة لأهوائهم، فردوها بدعوى أنها مخالفة للمعقول، وغير جارية على مقتضى الدليل؛ كالمنكرين لعذاب القبر، والصراط، والميزان، ورؤية الله ﷻ في الآخرة . . . وما أشبه ذلك من الأحاديث الصحيحة المنقولة نقل العدول(٢).

ويرى الشاطبي أن من الأسباب التي يدّعي بها المبتدعة ردهم للأحاديث الصحيحة أنها تفيد الظن، وأن الله ﷻ قد ذم الظن في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: الآية ٢٣]، وقال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: الآية ٢٨]، وما جاء في معناه، حتى أحلوا أشياء مما حرمها الله تعالى على لسان نبيه ﷺ(٣).

---

(١) الاعتصام للشاطبي ١/ ٢٨٧-٢٨٨ بتصرف.
(٢) الاعتصام للشاطبي ١/ ٢٩٤ بتصرف.
(٣) الاعتصام للشاطبي ١/ ٢٩٨ بتصرف.

سابعًا: الجهل بالناسخ والمنسوخ يؤدي إلى الفهم الخاطئ:

إن الذي يبحث عن فهم كتاب الله وتدبره لا ينأى عن معرفة الناسخ والمنسوخ من كتاب الله؛ لأن معرفة الناسخ والمنسوخ تقرب المسافة وتسهل المهمة لفهم كتاب الله؛ لذلك كان الصحابة الكرام والأئمة من بعدهم يحرصون على هذا العلم.

قال الزركشي: «قال الأئمة: لا يجوز لأحد أن يفسّر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ. وقد قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لقاص: «أتعرف الناسخ والمنسوخ؟» قال: الله أعلم. قال: «هلكت وأهلكت»[(١)](٢)، يريد أنه عرّض نفسه وعرض الناس للهلاك، ما دام أنه لا يعرف الناسخ من المنسوخ.

وجاء في الأثر أن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فسّر الحكمة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: الآية ٢٦٩]، فسّرها بالمعرفة بالقرآن، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدّمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله[(٣)].

ويقول القرطبي في بيان أهمية معرفة النسخ: «معرفة هذا الباب أكيدة، وفائدته عظيمة، لا يستغني عن معرفته العلماء، ولا ينكره إلا الجهلة الأغبياء؛ لما يترتب عليه من النوازل في الأحكام ومعرفة الحلال من الحرام»[(٤)].

ثامنًا: الجهل بأسباب النزول:

فالجهل بأسباب النزول، وعدم معرفة الأسباب والملابسات المحيطة بالنص

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٨/ ٧٤٦، وأبو عبيد في النّاسخ والمنسوخ رقم: ١ والنّحّاس في النّاسخ والمنسوخ ص: ٤٨ - ٤٩ .

(٢) البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي ٢/ ٢٩ .

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان ٥/٥٧٦ ٦١٧٧، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٥٣١ ٢٨٢٢ وبنحوه ٢/٥٩٣ ٣١٧٤ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٦٢ .

القرآني، تؤدي إلى الشرود عن فقهه، وعدم فهم المراد منه؛ لذلك يقول الواحدي: «لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها»(١).

وقال الإمام ابن دقيق العيد: «بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن»، وقال الإمام ابن تيمية: «معرفة سبب النزول تعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يُورث العلم بالمسبب»(٢).

تاسعًا: الاعتماد على الإسرائيليات من غير تثبت أو تحقق:

إن التحدث عن بني إسرائيل جائز إذا لم يُخالف دلالة الشرع؛ لقول النبي ﷺ: «بلِّغوا عني ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومَن كَذَب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»(٣)، وغالب ما يُروى عنهم في ذلك ليس له فائدة في الدين؛ كتعيين لون كلب أصحاب الكهف، ونوع الطيور التي أمر الله نبيه إبراهيم عليه السلام بذبحها عندما قال له: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: الآية ٢٦٠]، وغير ذلك.

وأما أَخْذ شيء من أمور الدين عن أهل الكتاب، والتحديث عنهم في ذلك، فإنه لا يجوز؛ لما جاء عن جابر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء؛ فإنهم لن يهدوكم، وقد ضلوا، فإنكم إما أن تصدقوا بباطل، أو تكذبوا بحق، وإنه لو كان موسى حيًّا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني»**(٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم ﷺ أحدث الأخبار بالله محضًا، لم

---

(١) أسباب النزول للواحدي ص٨ .
(٢) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي ١/ ١٩٠ .
(٣) أخرجه البخاري كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم ٣٤٦١ .
(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٢٢/ ٤٦٨، رقم ١٤٦٣١ .

يُشب، وقد حدّثكم أن أهل الكتاب قد بدّلوا من كتاب الله، وغيّروا، فكتبوا بأيدهم، قالوا: هو من عند الله؛ ليشتروا بذلك ثمنًا قليلًا، أو لا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ فلا والله رأينا رجلًا منهم يسألكم عن الذي أنزل إليكم»(١).

لذا فإن موقف الإسلام من الإسرائيليات ينحصر في ثلاثة أمور، مَن جهلها قد يقع في الفهم الخاطئ لبعض النصوص القرآنية، وهي كما يلي:

١ - **ما أقره الإسلام**: ومثاله: ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أن حبرًا من الأحبار جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك، «فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه؛ تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧]»(٢).

٢- **ما أنكره الإسلام وأبطله**: ومثاله: عن جابر رضي الله عنه، قال: «كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها، جاء الولد أحول؛ فنزلت: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: الآية ٢٢٣]»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: الآية ٢٩]، و ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: الآية ٢]، وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: الآية ١]، حديث رقم٧٥٢٣ .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: الآية ٩١]، رقم٤٨١١ .

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: الآية ٢٢٣]، رقم٤٥٢٨ .

٣ - **ما لم يقره الإسلام ولم ينكره، فيجب التوقف فيه**: لما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تصدِّقوا أهل الكتاب ولا تكذِّبوهم، وقولوا**: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ [العنكبوت: الآية ٤٦]»[١].

عاشرًا: عدم معرفة مدلولات ألفاظ اللغة العربية، ومخالفة الراسخين في العلم:

فمثلًا: زعم الخوارج في مذهبهم أنه لا تحكيم؛ لقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: الآية ٥٧]؛ لأن اللفظ ورد بصيغة العموم، فلا يلحقه تخصيص؛ فلذلك أعرضوا عن قول الله تعالى: ﴿فَٱبۡعَثُواْ حَكَمًا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ [النساء: الآية ٣٥]، وقوله: ﴿يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٍ مِّنكُمۡ﴾ [المائدة: الآية ٩٥]، وإلا فلو علموا تحقيقًا قاعدة العرب في أن العموم يراد به الخصوص؛ لم يسرعوا إلى الإنكار، وكثيرًا ما يوقع الجهل بكلام العرب في مجاز لا يرضى به عاقل، فمثل هذه الاستدلالات لا يُعبأ بها، وتسقط مكالمة أهلها، ولا يعد خلافُ أمثالهم، وما استدلوا عليه من الأحكام الفرعية أو الأصولية؛ فهو عين البدعة؛ إذ هو خروج عن طريقة كلام العرب إلى اتباع الهوى[٢].

فالله ﷻ أنزل القرآن عربيًّا لا عجمة فيه، بمعنى أنه جاء في ألفاظه ومعانيه وأساليبه على لسان العرب، وكان المُنزل عليه القرآن عربيًّا أفصح من نطق بالضاد وهو النبي ﷺ، وكان الذين بُعث فيهم عربًا أيضًا، فجرى الخطاب به على معتادهم في لسانهم، فليس فيه شيء من الألفاظ والمعاني إلا وهو جارٍ على ما اعتادوه، ولم

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ [البقرة: الآية ١٣٦]، رقم٤٤٨٥ .

(٢) الاعتصام للشاطبي ١/ ٣٠٣ بتصرف.

يداخله شيء بل نفى عنه أن يكون فيه شيء أعجمي، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: الآية ١٠٣]. هذا وإن كان النبي ﷺ بُعث للناس كافة فإن الله جعل جميع الأمم وعامة الألسنة في هذا الأمر تبعًا للسان العرب، وإذا كان كذلك فلا يُفهم كتاب الله تعالى إلا من الطريق الذي نزل عليه وهو اعتبار ألفاظها ومعانيها وأساليبها.

فإذا ثبت هذا فعلى الناظر في الشريعة والمتكلم فيها أصولًا وفروعًا أمران:

أحدهما: أن لا يتكلم في شيء من ذلك حتى يكون عربيًّا أو كالعربي في كونه عارفًا بلسان العرب، بالغًا فيه مبالغ العرب.

والأمر الثاني أنه إذا أشكل عليه في الكتاب أو في السنة لفظ أو معنى، فلا يُقْدِم على القول فيه دون أن يستظهر بغيره ممن له علم بالعربية، فقد يكون إمامًا فيها، ولكنه يخفى عليه الأمر في بعض الأوقات، فالأَوْلى في حقه الاحتياط؛ إذ قد يذهب على العربي المحض بعض المعاني الخاصة حتى يسأل عنها، وقد نُقل شيء من هذا عن الصحابة وهم العرب فكيف بغيرهم»(١).

الحادي عشر: لَيُّ أعناق النصوص، وتحريف الأدلة عن مواضعها:

فمن الأسباب التي تؤدي إلى الفهم الخاطئ في تدبر القرآن: لَيّ أعناق النصوص، وتحريف الأدلة عن مواضعها، وبناء الظواهر الشرعية على تأويلات لا تُعقل.

فالباطنية مثلًا: عدّوا كل ما ورد في الشرع من الظواهر في التكاليف والحشر

---

(١) الاعتصام للشاطبي ٢/ ٨٠٤ - ٨١٠ بتصرف، وينظر الأمثلة التي ذكرها من القرآن الكريم التي توضح هذا المفهوم ص٨١٠-٨١٦ .

والنشر والأمور الإلهية؛ فهي أمثلة ورموز إلى بواطن، فمثلًا: زعموا أن الجنابة مبادرة الداعي للمستجيب بإفشاء سر إليه قبل أن ينال رتبة الاستحقاق. ومعنى الغسل تجديد العهد على من فعل ذلك. ومعنى مجامعة البهيمة مقابحة من لا عهد له ولم يؤد شيئًا من صدقة النجوى، وهو مئة وتسعة عشر درهمًا عندهم. قالوا: فلذلك أوجب الشرع القتل على الفاعل والمفعول بها، وإلا فالبهيمة متى يجب القتل عليها ؟! والصيام هو الإمساك عن كشف السر.

ولهم من هذا الإفك كثير في الأمور الإلهية وأمور التكليف وأمور الآخرة، وكله حوم على إبطال الشريعة جملة وتفصيلًا[١].

المعيار الخامس: مِن نتاج الفهم الخاطئ في تَدَبُّرِ القرآن:

أولًا: تكوين تصورات خاطئة عن أقوام من البشر:

مثاله: يقول الله ﷻ: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ [المائدة: الآية ٨٢]، ففي فهم هذه الآية تجد بعضهم يقول: إنها دليل على أن النصارى يحبوننا، فتجده قد وقع في شراك المبشِّرين من النصارى الذين يستعملون هذه الآية في دعواهم الزائفة مع بعض عامة المسلمين؛ لإزالة الحواجز التي ترسّخت بفعل العقيدة الإسلامية الصحيحة، وكذلك تجد بعض المسلمين يلين للنصارى كثيرًا ويشاركهم في معتقداتهم ولا ينكر عليهم، بل لا يكلّف نفسه حتى بالنصح لهم؛ لأنه قد فهم هذه الآية فهمًا خاطئًا، فهو لم يتأمل قول الله كاملًا. يقول سيد قطب: «إن هذه الآيات تصوّر حالة وتقرر حكمًا في هذه الحالة، ومع أن متابعة مجموع الآيات لا تدع مجالًا للشك في أنها تصور حالة معينة، هي التي ينطبق عليها هذا التقرير المعين، فإن الكثيرين يخطئون فهم مدلولها، ويجعلون منها مادة للتميع المؤذي في تقدير المسلمين لموقفهم من المعسكرات المختلفة،

---

(١) ينظر: الاعتصام للشاطبي ١/ ٣٢٢ بتصرف، وينظر الصفحات التي بعدها.

وموقف هذه المعسكرات منهم»[(١)].

فانظر إلى تكملة الآيات التي بعدها قد بينت سبب هذه المودة: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ﴾ [المائدة: ٨٢ - ٨٥]، فالآيات بيّنت أن سبب هذه المودة هو أنهم لا يستكبرون عن تقبل الحق، ثم إنهم يؤمنون بما أنزل إلى النبي ﷺ ويسلمون عن ذلك.

وذُكر أن هذه الآيات قد نزلت في النجاشي وأصحابه الذين قد أسلموا واتبعوا الرسول ﷺ[(٢)].

وقال الطبري: «الصواب أنّ الله تعالى لم يسمِّ لنا أسماءهم، وقد يجوز أن يكون أريد أصحابُ النجاشي، ويجوز أن يكون أريد به قومٌ كانوا على شريعة عيسى، فأدركهم الإسلام فأسلموا لما سمعوا القرآن وعرفوا أنه الحق، ولم يستكبروا عنه»[(٣)].

ثانيًا: الفهم الخاطئ يوقع في حبائل أهل الهوى:

فعدم الفهم الصحيح للقرآن يوقع المسلم في حبائل أهل السوء، ويجعله يقع أيضًا في الحرام وتتلبس عليه الأمور.

فخذ على سبيل المثال: بعض أهل الأهواء ذهبوا بأن شرب الخمر ليس بحرام تبعًا لأهوائهم وتلبية لرغباتهم المنحرفة؛ مستدلين بأن القرآن لم يمنعها بصيغة التحريم، متغافلين أن الله ﷻ قال: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: الآية ٩٠]. واجتناب الشيء يعني: الابتعاد عنه بحيث يكون بينك وبينه جانب، وهو أبلغ من النهي عن مجرد

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ٢/ ٩٦٢ بتصرف.

(٢) جامع البيان للطبري ١٠/ ٤٩٩ .

(٣) جامع البيان ١٠/ ٥٠١ .

الفعل؛ إذ هو نهي عن الفعل ومقدماته معًا[١]، وغير ذلك من الأدلة التي ترد هذا الزعم الفاسد[٢].

ثالثًا: الفهم الخاطئ يؤدي إلى الشعور بتناقض القرآن:

ومثاله: ما روي عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنه، فقال: «إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليَّ، قال: وما هو؟ قال: قال الله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون: الآية ١٠١]، وقال: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الصافات: الآية ٢٧]، فقال ابن عباس رضي الله عنه: «﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ في النفخة الأولى، ثم في النفخة الثانية: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧]»[٣].

قال الإمام الشاطبي: «إن الذي عليه كل موقن بالشريعة أنه لا تناقض فيها ولا اختلاف، فمن توهم ذلك فيها فهو لم يمعن النظر ولا أعطى وحي الله حقه؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ فحضهم على التدبر أولًا، ثم أعقبه: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: الآية ٨٢] فبيّن أنه لا اختلاف فيه، وأن التدبر يعين على تصديق ما أخبر به»[٤].

رابعًا: عدم الفهم يؤدي إلى الاعتقاد بمخالفة القرآن للوقائع والحوادث التاريخية:

فمثلًا: لمَّا قدم المغيرة بن شعبة رضي الله عنه على نصارى نجران، قالوا له: إنكم

(١) ينظر: كيف نتعامل مع القرآن العظيم للدكتور يوسف القرضاوي ص٢٨٠ .

(٢) قد أسهب الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله بالرد على هذا الاستدلال الفاسد، في الجزء الأول من كتابه فتاوى معاصرة، تحت عنوان تحريم الخمر من قطعيات الدين. ١/ ٦٤٤-٦٤٨ .

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، سورة حم السجدة.

(٤) الاعتصام للشاطبي ٢/ ٨٣١ .

تقرؤون: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم: الآية ٢٨]، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، قال: فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته، فقال: «**ألا أخبرتهم أنهم كانوا يتسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم**»(١).

خامسًا: الفهم الخاطئ يؤدي إلى الافتراء على الأنبياء واتهامهم بما لا يتصوره مسلم:

مثاله: من يقرأ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: الآية ٢٦٠]، فيسيء الظن بخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، بأنه كان يشك بقدرة الله ﷻ على إحياء الموتى! حاشاه ذلك؛ فإن النبي ﷺ يقول: «**نحن أحق بالشك من إبراهيم**»(٢).

قال الإمام النووي: «اختلف العلماء في معنى «**نحن أحق بالشك من إبراهيم**»، على أقوال كثيرة، أحسنها وأصحها: إن الشك مستحيل في حق إبراهيم، فإن الشك في إحياء الموتى لو كان متطرقًا إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به من إبراهيم، وقد علمتم أني لم أشك، فاعلموا أن إبراهيم عليه السلام لم يشك، وإنما خص إبراهيم عليه السلام لكون الآية قد يسبق إلى بعض الأذهان الفاسدة منها احتمال الشك»(٣).

سادسًا: الفهم الخاطئ يؤدي لإخضاع الآيات القرآنية لمخترعاتٍ ونظرياتٍ غير مناسبةٍ:

مثاله: ذهب بعضهم إلى أن جهاز التبريد موجود في القرآن، واستدل بقوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: الآية ١٣]، يعني:

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء، رقم ٢١٣٥.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل إبراهيم الخليل عليه السلام رقم ١٥١.

(٣) شرح النووي على مسلم ٢/ ١٨٣.

من الداخل رحمة وبرودة، ومن الخارج عذاب وحر! وأحدهم يقول: الطائرات موجودة في القرآن؛ لأن الله يقول: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق: الآية ٤]، وغير ذلك من التفسيرات الشاذة.

وفي ذلك يقول العلامة الشنقيطي: «التلاعب بكتاب الله وتفسيره بغير معناه لمحاولة توفيقه مع آراء كفرة الإفرنج، ليس فيه شيء البتة من مصلحة الدنيا ولا الآخرة، وإنما فيه فساد الدارين، ونحن إذ نمنع التلاعب بكتاب الله وتفسيره بغير معناه نحض جميع المسلمين على بذل الوسع في تعليم ما ينفعهم من هذه العلوم الدنيوية مع تمسكهم بدينهم، كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: الآية ٦٠] [(١)].

المعيار السادس: أمثلة للفهم الخاطئ في تدبر القرآن الكريم:

أمثلة التدبر الخاطئ لكتاب الله كثيرة لا يمكن حصرها، وسنكتفي بذكر ما يفي بالغرض:

لما قرأ النبي ﷺ على عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: الآية ٣١]، وقد كان نصرانيًّا قبل إسلامه، فقال: يا رسول الله، إنا لسنا نعبدُهم، فقال له النبي ﷺ مصححًا له هذا الفهم: «**أليس يحرِّمون ما أحلَّ الله فتحرِّمونه، ويحلُّون ما حرَّم الله فتحلُّونه؟**» قال عدي رضي الله عنه: بلى، قال: «**فتلك عبادتهم**»[(٢)].

وها هو أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه يريد أن يصحِّح فهمًا خاطئًا عند الناس في قوله

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢/ ٢٦٥ .

(٢) أخرجه الإمام الطبري في جامع البيان ١٤/ ٢١٠، والترمذي في جامعه، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة، حديث رقم ٣٠٩٥ وقال: هذا حديث غريب. وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣ / ٢٣٠ .

تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: الآية ١٠٥]، فعندما ظن البعض أن في الآية دلالة على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - والاكتفاء بصلاح النفس - قام رضي الله عنه في الناس خطيبًا فقال: «أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية وإنكم تضعونها على غير موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ قال: «**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك الله عز وجل أن يَعُمَّهُمْ بعِقَابه**»[1]. لذلك قال ابن كثير: «ليس في الآية مسْتَدلٌّ على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذا كان فعل ذلك ممكنًا»[2].

وقد أراد عمر رضي الله عنه زمن خلافته إقامة الحد على قدامة بن مظعون الجمحي وهو ممن هاجر إلى الحبشة، حين شهد عليه الشهود بأنه شرب الخمر، فقال قدامة: ليس لك ذلك؛ لأن اللّه يقول: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [المائدة: الآية ٩٣]، فقال عمر: إنك أخطأت التأويل يا قدامة، إذا اتقيت اجتنبت ما حرم اللّه. وأجاب ابن عباس: إن هؤلاء الآيات أُنزلن عذرًا لمن غبر - أي: مات قبل تحريمها - وحجة على الناس . . . فقال عمر: صدقت، ماذا ترون؟ فرأى علي والصحابة حده، فجُلد ثمانين جلدة[3].

وهذا ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنه يناظر الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه فيدحض شبهاتهم، ويصوّب الفهم الخاطئ الذي وقع في قلوبهم بسبب تأويلهم الخاطئ لكتاب الله. فكان مما زعموا أن عليًّا رضي الله عنه حكَّم الرجال في أمر الله، وقال الله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: الآية ٥٧]، قالوا: وما للرجال وما

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٠٨ رقم ٢٩، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٢١٢ .

(٣) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٩٧ .

للحكم؟ فرد عليهم ابن عباس رضي الله عنهما: أما قولكم: «حَكَّم الرجال في أمر الله»، فأنا أقرأ عليكم ما قد رد حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم في أرنب ونحوها من الصيد، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ...﴾ إلى قوله: ﴿يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ﴾ [المائدة: الآية ٩٥]، فنشدتكم الله: أحكم الرجال في أرنب ونحوها من الصيد أفضل، أم حكمهم في دمائهم وصلاح ذات بينهم؟ وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال.

وفي المرأة وزوجها قال الله ﷻ: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾ [النساء: الآية ٣٥]، فجعل الله حكم الرجال سنة مأمونة، أخرجت عن هذه؟ قالوا: نعم، فكانت النتيجة أن رجع منهم عشرون ألفًا، وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا[(١)].

وفي زماننا يزعم البعض ممن انجرف وراء أهوائه أن في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ﴾ [آل عمران: الآية ١٣٠] نهيًا عن أكل الربا أضعافًا مضاعفةً، كأن يأخذ مائة بالمائة أو ثلاثمائة بالمائة وهكذا، أما إذا أخذنا شيئًا يسيرًا؛ كأن يأخذ خمسة بالمائة أو سبعة بالمائة أو ثلاثة بالمائة، فهذا ليس فيه شيء؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ﴾، وهذا ليس فيه أضعاف مضاعفة كما يزعمون.

والذي يتأمل هذا الأمر وهذه النتيجة يجد أن صاحبها قد وقع في التخبط والجهل والضلال البعيد؛ إذ إن هذه الآية لها سبب نزول لا يصح التغافل عنه أو تجاهله، ففي الحقيقة هذه الآية تنكر واقعًا ربويًا قد تعارف عليه العرب في الجاهلية، فقد كان الواحد منهم إذا استلف من الآخر نقودًا، ثم جاء موعد السداد

---

(١) جزء من مناظرة ابن عباس رضي الله عنهما للخوارج. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ١٠/ ١٥٧، حديث رقم ١٨٦٧٨، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٢/ ١٥٠، حديث رقم ٢٦٠٧، والفسوي في المعرفة والتاريخ ١/ ٥٢٣ .

ولم يؤد الذي عليه مع النسبة الربوية، مثلًا يقول له الشخص الآخر صاحب المال: أؤجلك سنة وأضاعف عليك النسبة، وتأتي السنة التي بعدها ولم يستطع الأداء، يقول له: أؤجلك سنة أخرى وأضاعف عليك النسبة[١].

فهذه الآية في بيان فساد هذا الواقع كلما عجز عن التسديد، أعطى له زيادة في المدة مع مضاعفة الربا، لكن الله ﷻ يقول في آية محكمة أخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾ [البقرة: الآية ٢٧٨]، ثم يقول مهددًا: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٧٩].

المعيار السابع: سُبُلُ الوقاية والعلاج من الفَهم الخاطئ في التَّدَبُّر:

هناك ضوابط يجب أن يُراعيَها كل من أراد تدبر وفهْم القرآن الكريم كي تكون تلاوته وتدبره على بصيرة؛ تأتي ثمارها كل حين بإذن ربها، ومن هذه الضوابط ما يلي:

أولًا: جمع الآيات القرآنية أو بعضها ذات العلاقة بالآية المراد فهمها وتدبرها:

ويُعرف بتفسير القرآن بالقرآن: وذلك لأن القرآن الكريم يصدِّق بعضه بعضًا، ويفسِّر بعضه بعضًا، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: الآية ٨٢]، قال ابن تيمية: «أصح الطرق في ذلك أن يُفسّر القرآن بالقرآن؛ فما أُجمل في مكان فإنه قد فُسِّر في موضع آخر، وما اختُصر من مكان فقد بسط في موضع آخر»[٢].

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري ٧/ ٢٠٤ بتصرف.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٣/ ٣٦٣.

ثانيًا: جمع الأحاديث النبوية الثابتة أو بعضها ذات العلاقة بالآية المراد فهمها وتدبرها:

ويُعرف بتفسير القرآن بالسنة: فمن الواجب لكي نفهم القرآن الكريم فهمًا صحيحًا بعيدًا عن التحريف والانتحال وسوء التأويل - أن نفهمه في ضوء السنة النبوية؛ لأن القرآن روح الوجود الإسلامي، وأساس بنيانه، والسنة شارحة له، وهي البيان النظري، والتطبيق العملي للقرآن، وما كان للبيان أن يناقض المبيَّن، ولا الفرع أن يعارض الأصل[١]، ولهذا لا توجد سنة صحيحة ثابتة تعارض محكمات القرآن، وإذا ظن بعض الناس وجود ذلك فلا بد أن تكون السنة غير صحيحة، أو يكون فهمنا لها غير صحيح، أو يكون التعارض وهميًا لا حقيقيًا. قال ابن تيمية: «فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة؛ فإنها شارحة للقرآن وموضحة له؛ بل قد قال الإمام الشافعي: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء: الآية ١٠٥]، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**»[٢] يعني: السنة. والسنة تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن ولا تتلى كما يتلى، والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه فإن لم تجده فمن السنة.

وكما قال ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «**بم تحكم؟**» قال: بكتاب الله. قال: «**فإن لم تجد؟**» قال: بسنة رسول الله. قال: «**فإن لم تجد؟**» قال: أجتهد رأيي. قال: فضرب رسول الله ﷺ في صدره، وقال: «**الحمد لله الذي وفق رسول رسول**

(١) أزمة الفهم في الصحوة الإسلامية ليوسف فرحات ١ / ٢١ .

(٢) أخرجه أحمد في «في المسند» ٢٨/ ٤١٠، رقم ١٧١٧٤ . قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح.

الله لما يرضي رسول الله»[١])[٢].

ثالثًا: الرجوع إلى أقوال العلماء عند تدبر الآيات:

وفي مقدمتهم السلف الصالح من الصحابة ﷺ والتابعين الكرام: لذلك يقول ابن تيمية: «وحينئذٍ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح؛ لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين»[٣]، وقال أيضًا: «إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين»[٤].

وفي ذات المعنى يقول عمر بن عبد العزيز: «سنّ رسول اللّه ﷺ وولاة الأمور بعده سننًا، الأخذ بها تصديق لكتاب اللّه، واستكمال لطاعة اللّه، وقوّة على دين اللّه، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها، ولا النّظر فيما خالفها، من اقتدى بها فهو مهتدٍ، ومن استنصر فهو منصور، ومن خالفها واتّبع غير سبيل المؤمنين ولّاه اللّه ما تولّى وأصلاه جهنّم وساءت مصيرًا»[٥].

---

(١) مسند أحمد ٣٦/ ٣٣٣، رقم ٢٢٠٠٧ . قال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف لإبهام أصحاب معاذ وجهالة الحارث بن عمرو، لكن مال إلى القول بصحته غير واحد من المحققين من أهل العلم، منهم أبو بكر الرازي وأبو بكر بن العربي والخطيب البغدادي وابن قيم الجوزية. قال الخطيب في «الفقيه والمتفقه» ١/ ١٨٩-١٩٠: إن أهل العلم قد تقبلوه واحتجوا به، فوقفنا بذلك على صحته عندهم...».

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٣/ ٣٦٣ - ٢٦٤ بتصرف.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٣/ ٢٦٤ .

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٣/ ٢٦٨ .

(٥) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم ١/ ١٥٩ .

ثم إنا نستعين على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة المعتبرة، ومن أجلها لدينا: تفسير ابن جرير، وتفسير ابن كثير، وكذا البغوي، والبيضاوي، والخازن، والحداد، والجلالين، وغيرهم. وعلى فهم الحديث بشروح الأئمة المبرزين: كالعسقلاني والقسطلاني على البخاري، والنووي على مسلم، والمناوي على الجامع الصغير(١).

رابعًا: معرفة مدلولات ألفاظ الكلمة القرآنية:

وذلك بالرجوع إلى دواوين الشعر واللغة، بما يساعد ذلك على الفهم والتدبر: لذلك يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «إذا سألتموني عن عربية القرآن فالتمسوه بالشعر؛ فإن الشعر ديوان العرب»(٢). فكي تُفهم دلائل الكتاب والسنة على الوجه الصحيح لا بد من معرفة لغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم، والتي خاطب بها رسول الله ﷺ أصحابه؛ ولهذا تواتر اعتناء علماء الأمة وأئمتها بلغة القرآن حتى يوضع خطاب الشارع في موضعه اللائق به شرعًا.

قال الإمام الشافعي: «وإنما بدأت بما وصفت، من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره؛ لأنه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحدٌ جهل سعة لسان العرب، وكثرة وجوهه، وجماع معانيه وتفرقها، ومن علمه انتفت عنه الشُّبه التي دخلت على من جهل لسانها، فكان تنبيه العامة على أن القرآن نزل بلسان العرب خاصة نصيحة للمسلمين، والنصيحة لهم فرض لا ينبغي تركه»(٣).

وقال ابن عبد البر: «ومما يستعان به على فهم الحديث ما ذكرناه من العون على كتاب الله عز وجل، وهو العلم بلسان العرب، ومواقع كلامها، وسعة لغتها،

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية الرقمية لعلماء نجد الأعلام ١/ ٢٢٨ .
(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/ ١٩٨ .
(٣) الرسالة للشافعي ص٢٠ .

وأشعارها، ومجازها، وعموم لفظ مخاطبتها، وخصوصه، وسائر مذاهبها لمن قدر، فهو شيء لا يُستغنى عنه. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى الآفاق أن يتعلموا السنّة والفرائض واللحن - يعني: النحو - كما يُتعلم القرآن»[١].

وقال ابن تيمية: «ولا بد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ، وكيف يفهم كلامه، فمعرفة العربية التي خوطبنا بها ممّا يُعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني؛ فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب، فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدّعون أنه دال عليه، ولا يكون الأمر كذلك»[٢].

خامسًا: مراعاة السياق الذي وردت به اللفظة والجملة القرآنية:

فيجب أن تربط الآية بالسياق التي وردت فيه ولا تُقطع عما قبلها وما بعدها، ثم تُجرّ جرًّا، لتفيد معنى، أو تؤيد حكمًا يقصده قاصد[٣]، قال الزركشي: «دلالة السياق ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره، وغالط في مناظراته، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: الآية ٤٩]، كيف تجد سياقه؟ يدل على أنه الذليل الحقير»[٤].

سادسًا: معرفة أسباب النزول تعين على فهم النص القرآني.

مع أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب: الإمام الشاطبي يقول: «معرفة

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢/ ٣٢٤ .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٧ / ١١٦ .

(٣) كيف نتعامل مع القرآن العظيم للدكتور القرضاوي ص٢٣٨ .

(٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/ ٢٠١ -٢٠٢ .

أسباب التنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن»[١].

وقال الإمام ابن دقيق العيد: «بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن».

وقال الإمام ابن تيمية: «معرفة سبب النزول تعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يُورث العلم بالمسبب»[٢].

سابعًا: معرفة الناسخ والمنسوخ يعين على فهم القرآن فهمًا دقيقًا:

والمراد بالنسخ: رفع الحكم الشرعي بخطاب شرعي[٣]؛ لذلك يُشترط في النسخ: أن يكون الدليل على ارتفاع الحكم خطابًا شرعيًا متراخيًا عن الخطاب المنسوخ حكمه، وألا يكون الخطاب المرفوع حكمه مقيدًا بوقت معين، وإلا فالحكم ينتهي بانتهاء وقته ولا يُعَدّ هذا نسخًا.

ولقد جاء عن الصحابة ﷺ مما يبين أهمية هذا العلم في فهم القرآن: قال ابن مسعود رضي الله عنه: «وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلَا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ تُبَلِّغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ»[٤].

ثامنًا: التجرد من الأهواء والتصورات والنظريات السابقة:

وبذلك يجعل القرآن متبوعًا لا تابعًا، وحاكمًا لا محكومًا، وأصلًا لا فرعًا:

---

(١) الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٤٧ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/ ١٩٠ .

(٣) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٢٢٤ .

(٤) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ، حديث رقم ٥٠٠٢، وأخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن مسعود وأمه، حديث رقم ٢٤٦٣ .

وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليس لأحدٍ أن يَحْمِلَ كلامَ اللهِ ورسولِهِ على وفْقِ مذهبِهِ إنْ لم يتبينْ مِنْ كلامِ اللهِ ورسولِهِ ما يدلُّ على مرادِ اللهِ ورسولِهِ، وإلا فأقوالُ العلماءِ تابعةٌ لقولِ اللهِ تعالى ورسولِهِ، ليس قولُ اللهِ ورسولِهِ تابعًا لأقوالِهِم»[(١)].

فمن أراد الفهم الصحيح لكتاب الله عليه أن يُقيِّدَ نفسه باتباع القرآن والسنة وعدم مخالفتهما، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ [الحجرات: الآية ١]، قال ابن كثير: «لا تسرعوا في الأشياء بين يديه - أي: قبله - بل كونوا تبعًا له في جميع الأمور، حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديث معاذ؛ إذ قال له النبي ﷺ حين بعثه إلى اليمن: «**بم تحكم؟**» قال: بكتاب الله. قال: «**فإن لم تجد؟**» قال: بسنة رسول الله. قال: «فإن لم تجد؟» قال: أجتهد رأيي. قال: فضرب رسول الله ﷺ في صدره، وقال: «**الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله**»[(٢)].

فالغرض منه أنه أخَّر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة، ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله»[(٣)].

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: «اتّخذ كتاب اللّه إمامًا، وارضَ به قاضيًا وحكمًا، فإنّه

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٧/ ٣٥ .

(٢) مسند أحمد ٣٦/ ٣٣٣، رقم ٢٢٠٠٧ . قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف لإبهام أصحاب معاذ وجهالة الحارث بن عمرو، لكن مال إلى القول بصحته غير واحد من المحققين من أهل العلم، منهم أبو بكر الرازي وأبو بكر بن العربي والخطيب البغدادي وابن قيم الجوزية. قال الخطيب في «الفقيه والمتفقه» ١/ ١٨٩-١٩٠: إن أهل العلم قد تقبلوه واحتجوا به، فوقفنا بذلك على صحته عندهم..».

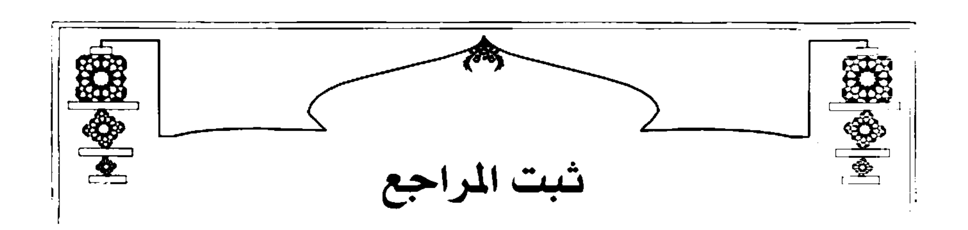
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٣٦٤ .

الّذي استخلف فيكم رسول اللّه ﷺ، شفيع مطاع، وشاهد لا يتّهم، فيه ذكركم وذكر من قبلكم، وحكم ما بينكم، وخبركم وخبر ما بعدكم»[١].

تم بحمد الله



(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني ١/ ٢٥٢-٢٥٣ .



ثبت المراجع

❐ إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري (ت٨٤٠هـ)، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن - الرياض، ط١ (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

❐ الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.

❐ أثر القرآن في سلوك المجتمع المسلم، د / عبد القدوس السامرائي، ط / دائرة الشئون الإسلامية والعمل الخيري بدبي - الإمارات.

❐ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لابن حبان، ط / مؤسسة الرسالة - بيروت، ط / الأولى ١٤٠٨هـ.

❐ إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي- ط دار االمعرفة - بيروت.

❐ الأخطاء اللغوية الشائعة في الأوساط الثقافية أ/ محمود عبد الرازق جمعة، ص٣٠٩، ط الهيئة المصرية العامة٢٠٠٩م.

❐ أخلاق أهل القرآن، للآجري: محمد بن الحسين (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: محمد عمرو، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

❐ الآداب الشرعية والمنح المرعية، للحنبلي، أبي عبد الله محمد بن مفلح، (ت٧٦٣هـ)، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط١، (د.ت).

❐ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المعروف بـ(تفسير أبي السعود)، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي الحنفي (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

❐ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود بن محمد العمادي الحنفي،

تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، مطبعة السعادة، مصر.

❑ أزمة الفهم في الصحوة الإسلامية (التشخيص والعلاج)، يوسف فرحات، مؤتمر الإسلام والتحديات المعاصرة، كلية أصول الدين- الجامعة الإسلامية- غزة، ٢-٣/ ٤/ ٢٠٠٧م.

❑ الاستدلال الخاطئ بالقرآن والسنة على قضايا الحرية دراسةٌ نقديةٌ. تأليف: د. إبراهيم ابن محمد الحقيل، مجلة البيان، ط. الأولى ١٤٣٤هـ.

❑ الإصابة في تمييز الصّحابة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: علي بن محمد البجاوي، دار الجيل -بيروت، ط١ (١٤١٢هـ).

❑ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

❑ الاعتصام، الشاطبي، للعلامة المحقق أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، (ت٧٩٠هـ)، ط (٢)، (تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان)، الدار الأثرية، عمان، الأردن، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

❑ إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ) - تحقيق أ/ طه سعد، ط دار الجيل - بيروت١٩٧٣م.

❑ الأعلام - للزركلي - دار العلم للملايين-الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

❑ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة-بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

❑ الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر - بيروت، ط٢ .

❑ أفلا يتدبرون القرآن، د/ ناصر العمر، ط دار الحضارة للنشر بالرياض ١٤٣٢هـ.

❑ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٧، (١٤١٩هـ- ١٩٩٩م).

❑ أمالي ابن بشران، لأبي القاسم عبد الملك بن بشْران، تحقيق: أبي عبد الرحمن عادل بن

يوسف العزازي، ط: دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

❑ الأمثال في القرآن: محمد بن أبي بكر، الناشر: مكتبة الصحابة، تحقيق: أبي حذيفة إبراهيم بن محمد-الطبعة: الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

❑ البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ط. دار هجر بمصر، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط/ الأولى ١٤١٨هـ.

❑ بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية، ابن القيم، المحقق: يسري السيد - صالح الشامي، دار ابن الجوزي - الرياض،٢٠٠٨ .

❑ البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي - تحقيق أ/ محمد أبي الفضل، ط الحلبي بالقاهرة ١٩٥٧م.

❑ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي - تحقيق أ/ محمد النجار، ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ١٩٩٦م.

❑ التأثر بالقرآن والعمل به، أ.د/ بدر بن ناصر البدر - ط مدار الوطن بالرياض ١٤٢٨هـ.

❑ تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي محمّد بن محمّد الحسيني - تحقيق: مجموعة من المحققين، ط دار الهداية.

❑ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

❑ تاريخ دمشق، ابن عساكر، علي بن الحسن (ت ٥٧١ هـ)، تحقيق محب الدين العمروني وآخرون، دار الفكر، ط١، ١٩٩٧م.

❑ تاريخية الفكر العربي الاسلامي، محمد أركون؛ ترجمة هاشم صالح؛ المركز الثقافي العربي؛ الطبعة الثانية؛ ١٩٩٦م.

❑ تأمُّلات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين، محمد السيد الجليند، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٩٩م.

❑ التبيان في آداب حملة القرآن، لأبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي الشافعي، حققه وخرّج أحاديثه: بشير محمد عيون، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩١م، مكتبة المؤيد، الطائف،

مكتبة دار البيان، دمشق.

❐ التبيان في أقسام القرآن، لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

❐ التجديد في العلوم الإسلامية ودوره في حل مشكلات الواقع المعاصر، لابن صغير محفوظ.

❐ تحرير معنى التدبر عند المفسرين، د/ فهد الوهبي، ضمن أوراق العمل المطبوعة بكتاب «مفهوم التدبر-تحرير وتأصيل» والمقدمة في الملتقى الأول لتدبر القرآن الكريم التابع لمركز «تدبر» بالرياض ١٤٣٠هـ.

❐ التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور - ط مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ١٤٢٠هـ.

❐ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لأبي العلاء محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ، دار الكتب العلمية، بيروت.

❐ تحقيق الوصال بين القلب والقرآن، د/ مجدي الهلالي، ط/ مؤسسة اقرأ-القاهرة، ط/ الأولى ١٤٢٩هـ.

❐ تحليل مناهج معاصرة للتدبر وتقويمها، د/ نايف الزهراني - بحث منشور ضمن بحوث الملتقى الثاني للتدبر بالرياض١٤٣١هـ.

❐ تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، للزيلعي جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة - الرياض - ١٤١٤هـ، الطبعة الأولى.

❐ التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، لابن رجب الحنبلي، ط / مكتبة المؤيد - السعودية، ط / الثانية ١٤٠٨هـ.

❐ تدبر القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، رقية طه جابر العلواني، (بدون)، ط٥، ٢٠٠٨م، عبر الموقع:

www.drrugaia.com.

❑ تدبر القرآن فريضة الأمة، مقال على موقع طريق الإسلام. انظر:

http//:ar.islamway.net/article/

❑ تدبر القرآن مفهومه وأساليبه، د/ فهد الوهبي ص١٩، بحث منشور بمجلة الدراسات القرآنية الصادرة عن الجمعية العلمية السعودية للقرآن وعلومه «تبيان»- جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، العدد الثامن١٤٣٢هـ.

❑ تدبّر القرآن، د/ سليمان السنيدي، ط الثانية - ضمن سلسلة المنتدى الإسلامي٢٠٠٢م.

❑ التدبّر حقيقته وعلاقته بمصطلحات «التأويل والاستنباط والفهم والتفسير» أ.د/ عبد الله سرحان من إصدارات مركز «تدبر» بالرياض١٤٣١هـ.

❑ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الكتب الحديثة، ط٢، ١٩٦٦م.

❑ تعديل السلوك، لجمال الخطيب، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ط١، ١٩٨٧م.

❑ التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني- تحقيق أ/ إبراهيم الأبياري، ط دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٥هـ.

❑ تعليم تدبر القرآن الكريم، أساليب عملية ومراحل منهجية، د. هاشم بن علي الأهدل، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، ١٤٢٨ هـ.

❑ تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي الغرناطي، وبهامشه تفسير النهر الماد من البحر المحيط لأبي حيان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢, ١٤١٣ هـ، ١٩٩٢ م.

❑ تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)،علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي (الخازن)، دار الفكر - بيروت / لبنان، ١٣٩٩ هـ.

❑ تفسير السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، تفسير الخطيب الشربيني المصري (ت ٩٧٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

❑ تفسير الشعراوي - الخواطر، محمد متولي الشعراوي (ت١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم،

القاهرة - مصر، ط١، ١٩٩٧م.

❏ تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) للشيخ/ محمد رشيد رضا - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٩٠ م.

❏ تفسير القرآن العظيم، - تحقيق- أ/ سامي سلامة، ط دار طيبة١٤٢٠هـ..

❏ تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الرياض، ط٣، (١٤١٩هـ).

❏ تفسير القرآن الكريم - لابن القيم الجوزية محمد بن أبى بكر - ط دار الهلال بيروت ١٤١٠هـ.

❏ تفسير الماوردي (النكت والعيون). لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت.

❏ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر- دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ.

❏ التفسير والمفسرون، الدكتور محمد السيد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، الطبعة السابعة، ٢٠٠٠م.

❏ التفكير فريضة إسلامية، العقاد، عباس محمود، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، د (ط، ت).

❏ تقريب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد. سوريا، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.١٩٨٦م.

❏ تلبيس إبليس، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: د. السيد الجميلي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، الرياض: دار الهدى.

❏ تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري- تحقيق أ/ محمد عوض، ط إحياء التراث-بيروت ٢٠٠١م.

❏ تهذيب مدارج السالكين / عبدالمنعم صالح العلي العربي، دار التوزيع والنشر الإسلامية،

ط: ١٤١٧- ١٩٩٧م.

❑ التوابين، لعبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار الكتب العلمية - بيروت، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

❑ التوقيف على مهمات التعاريف، للشيخ محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق د. محمد رضوان، ط دار الفكر-بيروت١٤١٠هـ.

❑ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

❑ جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

❑ جامع الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي (ت ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة الثانية، ١٩٧٥م.

❑ الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

❑ جامع العلوم والحكم، لأبي الفرج عبد الرحمن البغدادي، تحقيق: طارق عوض الله، نشر وطباعة دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٥هـ.

❑ جامع بيان العلم وفضله - أبو عمر يوسف بن عبد البرّ النمري (٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.

❑ الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

❑ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، لأحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبي بكر، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف-الرياض، ١٤٠٣هـ.

❑ الجواهر الحسان في تفسير القرآن المعروف بـ«تفسير الثعالبي»، لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

❑ الحفظ التربوي للقرآن وصناعة الإنسان، خالد عبد الكريم اللاحم، مكتبة سفير، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

❑ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني، دار السعادة - مصر، ١٩٧٤م.

❑ الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني- تحقيق أ/ محمد علي النجار، ط عالم الكتب- بيروت.

❑ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، تحقيق: مركز هجر للبحوث، دار هجر، مصر، ١٤٢٤هـ.

❑ الدرر السنية في الأجوبة النجدية الرقمية، تأليف علماء نجد الأعلام، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، موقع مكتبة المدينة الرقمية، ط٦، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

❑ دعوة إلى تدبر القرآن الكريم، مختار شاكر كمال، ط / دار البشير - عمان، ط/ الأولى ١٤١٥هـ.

❑ دلالات التراكيب، د محمد محمد أبو موسى. مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.

❑ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ)، وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: د/ عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ.

❑ دور القرآن الكريم في تنمية التفكير المنظومي لدى الإنسان، حوامدة، مصطفى محمود، من أوراق المؤتمر العربي الثالث حول الاتجاه المنظومي في التدريس والتعليم، جامعة عين شمس، ٢٠٠٢م.

❑ الدولة والمجتمع، الدكتور محمد شحرور؛ دار الأهالي للطباعة والنشر في دمشق؛ دون تحديد الطبعة والتاريخ.

❏ ذيل طبقات الحنابلة لأبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي - تحقيق د/ عبد الرحمن العثيمين، ط مكتبة العبيكان - الرياض١٤٢٥ هـ.

❏ الرسالة، للإمام الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.

❏ رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، غانم قدوري الحمد؛ الجمهورية العراقية: اللجنة الوطنية الاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري؛ الطبعة الأولى؛ ١٤٠٢هـ.

❏ الرقة والبكاء، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا (٢٨١هـ)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم بيروت، سنة ١٤١٦هـ.

❏ رهبان الليل، د / سيد حسين العفاني، ط / مكتبة العفاني - القاهرة.

❏ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي، ط / دار الكتب العلمية - بيروت، ط / الأولى ١٤١٥هـ.

❏ رياض الصالحين (٢٠٠٥)، شرح وتحقيق: الحسيني عبد المجيد هاشم، دار الجيل، بيروت -لبنان.

❏ زاد المسير في علم التفسير- لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، المحقق: محمد زهير الشاويش.

❏ زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت-مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٧، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

❏ الزهد، لابن المبارك، تحقيق: أحمد فريد، دار المعارج، ١٩٩٥م.

❏ الزهد، لأبي داود ط: دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم بن محمد، وأبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم وقدم له وراجعه: فضيلة الشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف.

❏ سبل السلام، لمحمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط٤، ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م.

❏ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لمحمد بن ناصر الدين الألباني،

مكتبة المعارف للنشر-الرياض -ط:١-١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

❐ سلسلة محاضرات الدكتور محمد راتب النابلسي على الأنترنت- قناة اليوتيوب.

❐ سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر - بيروت.

❐ سنن البيهقي الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، حقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).

❐ سنن الدارمي لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام ابن عبد الصمد (ت ٢٥٥ هـ) - دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٠هـ.

❐ سنن الله في إحياء الأمم في ضوء الكتاب والسنة، د/ حسين شرفة، ط/ مؤسسة الرسالة - بيروت ط / الأولى ١٤٢٩هـ.

❐ سنن النسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة - مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ.

❐ سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - تحقيق: مجموعة بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ.

❐ السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م.

❐ الشخصيّة الإسلاميّة، لتقي الدين النبهاني، ط٣، ١٩٩١م.

❐ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، دون طبعة وتاريخ.

❐ شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق د/ محمد خليل هراس، ط الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالسعودية ١٤١٣هـ.

❐ شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن -الرياض (١٤٢٦هـ).

❐ شرح شافية ابن الحاجب، للشيخ محمد بن الحسن الاسترابادي- ط دار العلمية. بيروت.

❐ شرح صحيح البخاري، لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

❐ شعب الإيمان، لأبي بكر البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤، ١٤١٠هـ.

❐ الشفا بتعريف حقوق المصطفى، لأبي الفضل القاضي عياض اليحصبي (ت ٥٤٤هـ).

❐ الشمائل المحمدية، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: عصام موسى هادي، دار الصديق-الجبيل (السعودية)، مؤسسة الريان-بيروت، ط١ (١٤٣١هـ-٢٠١٠م).

❐ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية إسماعيل بن حماد الجوهري- تحقيق: أحمد عبدالغفور، ط دار العلم للملايين - بيروت١٤٠٧هـ.

❐ صحيح ابن حبان - تحقيق: أحمد شاكر، دار المعارف، ١٩٥٢م.

❐ صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي - بيروت.

❐ صفة الصفوة، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٩ .

❐ صلاح الأمة في علو الهمة، د / سيد حسين العفاني، ط / مكتبة العفاني - القاهرة.

❐ صيد الخاطر، لجمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى،سنة النشر: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

❐ الضوء المنير على التفسير، لابن قيم الجوزية، تحقيق: علي الصالحي-نبذة عن الكتاب: جمعه: علي الحمد المحمد الصالحي - مؤسسة النور - عنيزة.

❐ الطبقات الكبرى - لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري (٢٣٠هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت - الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م.

❐ الطريق إلى القرآن، للشيخ إبراهيم السكران - ط مركز الفكر المعاصر بالرياض، ١٤٣٣هـ.

❐ عدم تدبر القرآن، د. ناصر العمر، موقع بصائر على الانترنت
www.basaer-online.com.

❒ علل النحو، لأبي الحسن محمد بن عبد الله الشهير بابن الورّاق، تحقيق: أ/ محمود الدرويش، ط الرشد بالرياض ١٩٩٩م.

❒ علم التفكير معمار، صلاح صالح، دار ديبونو للطباعة والنشر، عمان، ط١، ٢٠٠٦م.

❒ علوم القرآن في مقدمات التفاسير؛ محمد صفاء شيخ إبراهيم حقي؛ مؤسسة الرسالة؛ الطبعة الأولى؛ ١٤٢٥هـ.

❒ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين محمد بن أحمد العيني (ت ٨٥٥ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

❒ العودة إلى القرآن لماذا وكيف؟ د/ مجدي الهلالي، ط/ مؤسسة اقرأ-القاهرة، ط/ الأولى ١٤٢٩هـ.

❒ عون المعبود شرح سنن أبي داود، لشمس الحق العظيم آبادي - ط/ دار الكتب العلمية - بيروت - الثانية - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

❒ العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي- تحقيق: د. مهدي المخزومي وآخر، ط دار الهلال بالقاهرة.

❒ غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الحسن بن محمد النيسابوري (ت بعد ٨٥٠هـ)، تحقيق: زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

❒ غريب القرآن، لأبي محمد عبد الله بن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٩٥٨م.

❒ الفتاوى الكبرى، لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - تحقيق: أ/ محمد عطا وآخر، ط العلمية- بيروت ١٤٠٨هـ.

❒ فتاوى معاصرة (ج١)، د. يوسف القرضاوي، دار القلم-الكويت، ط٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

❒ فتح الباري شرح صحيح البخاري، لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب، دار ابن الجوزي- السعودية، الدمام- ١٤٢٢هـ.

❐ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، طبعة دار الفكر ودار الكلم الطيب، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

❐ الفرق بين التأمل والتدبر والتفكر، أ/ خالد الديهان بتصرف، بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية.

❐ الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، تأليف: د. نهاد خياط؛ دار الأوائل؛ بدون تاريخ.

❐ فضائل القرآن، لأبي بكر جعفر الفريابي، تحقيق: د: يوسف عثمان، مكتبة الرشد-الرياض -ط ٣، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥ م.

❐ فضائل القرآن، لأبي عبدالله محمد بن الضريس البجلي، ت: غزوة بدير، دار الفكر- سوريا-ط: ١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨ م.

❐ فضائل القرآن، لأبي العباس المستغفري، ط / دار ابن حزم - بيروت، ط / الأولى ٢٠٠٨م.

❐ فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلاّم - تحقيق: مروان العطية وآخرين، ط دار ابن كثير- بيروت١٤٢٠هـ.

❐ الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي، دار ابن الجوزي ١٤٢١هـ السعودية.

❐ فن التدبر في القرآن الكريم، د/ عصام العويد، من إصدارات مركز تدبر بالرياض١٤٣١هـ.

❐ فهم القرآن بين القواعد الضابطة والمزالق المهلكة، أ.د/ رمضان خميس زكي، بحث منشور على موقع «الإسلام اليوم» بشبكة المعلومات الدولية.

❐ فهم القرآن ومعانيه، لأبي عبدالله الحارث المحاسبي- تحقيق: حسين القوتلي، ط دار الكندي - بيروت ١٣٩٨هـ.

❐ الفوائد، لابن القيم- ط دار العلمية - بيروت١٣٩٣هـ.

❐ في ظلال القرآن، سيد قطب - مطبعة دار الشروق، (١٩٨٣).

❑ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان- تحقيق أ/ إحسان عباس، ط دار صادر - بيروت١٩٠٠م.

❑ فيض القدير شرح الجامع الصّغير، لزين الدّين محمّد عبد الرّؤوف المناوي (ت١٠٣١هـ) المكتبة التّجاريّة الكبرى، مصر (ط١/ ١٤٥٦هـ).

❑ قالوا عن الإسلام، د. عماد الدين خليل، مكتبة صيد الفوائد، قسم ردود وتعقيبات.

❑ القاموس المحيط، للفيروزآبادي - تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ.

❑ قانون التأويل، القاضي أبي بكر بن العربي، مؤسسة علوم القرآن - بيروت.

❑ القرآن محاولة لفهم عصري، د. مصطفى محمود، ط/ ٨ دار المعارف - القاهرَة.

❑ القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح؛ دار الطليعة؛ الطبعة الثانية؛ ٢٠٠٥م.

❑ القرآن والمرأة إعادة قراءة النص القرآني من منظور نسائي، آمنة ودود؛ ترجمة: سامية عدنان؛ الطبعة الأولى؛ ٢٠٠٠م.

❑ قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ، د. عبد الرحمن حسن الميداني- ط دار القلم بدمشق ١٤٠٩هـ.

❑ قواعد وضوابط التدبر

http//:www.almoslim.net/node

❑ الكتاب والقرآن، الدكتور محمد شحرور؛ دار الأهالي للطباعة والنشر في دمشق؛ دون تحديد الطبعة والتاريخ.

❑ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل؛ لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشرى، ط الكتاب العربي. بيروت١٤٠٧ هـ.

❑ كيف نتعامل مع القرآن العظيم، د. يوسف القرضاوي - ط دار الشروق بالقاهرة٢٠١١م.

❑ كيف نتعامل مع القرآن، للشيخ محمد الغزالي، من مقدمة أ/ عمر عبيد حسنة لهذا الكتاب، ط دار نهضة مصر.

❑ كيف ننتفع بالقرآن، د/ مجدي الهلالي- بحث منشور بمنتديات «مكتوب» بشبكة المعلومات الدولية، على الرابط التالي:

http//:majdah.maktoob.com/vb/majdah.

❑ (لباب التأويل في معاني التنزيل) (تفسير الخازن) علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي، المحقق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ

❑ لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور - تحقيق: أ/ عبد الله الكبير، ط دار المعارف بالقاهرة.

❑ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف - عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ)، دار ابن حزم للطباعة والنشر، لبنان- الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

❑ ليدبروا آياته، لمجموعة من العلماء الجزء الثاني- من مطبوعات مركز تدبر بالرياض ١٤٣٣، ١٤٣٠هـ.

❑ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، للشيخ أبي الحسن الندوي، ط / مكتبة الإيمان - القاهرة.

❑ مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، ط٥ مؤسسة الرسالة - بيروت.

❑ مبادئ تدبر القرآن، لأبي الحسن الندوي- ط دار الصحوة بالقاهرة ١٤٠٦هـ.

❑ متن الجزرية في معرفة تجويد الآيات القرآنية، للعلامة الشيخ محمد بن الجزري الشافعي، بشرح الشيخ زكريا الأنصاري، الناشر/ المكتبة السعيدية، مصر.

❑ مجاز القرآن، لأبي عبيدة (٢١٠هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، ط١، نشر الخانجي بمصر١٩٦٢ .

❑ المجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري (٣٣٣هـ)، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية (البحرين - أم الحصم)، دار ابن

حزم، بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

❏ مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: أنور الباز-عامر الجزار، دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

❏ مجموع رسائل الحافظ ابن رجب، لزين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي- أ/ طلعت الحلواني، ط الفاروق الحديثة١٤٢٤هـ.

❏ المجموع شرح المهذب، لمحيي الدين بن شرف الدين النووي الدمشقي ٦٧٦هـ/ الناشر دار عالم الكتاب/ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

❏ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

❏ المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده - تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي ط دار العلمية٢٠٠٠م.

❏ مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي- تحقيق: أ/ محمود خاطر، ط مكتبة لبنان- بيروت١٤١٥هـ.

❏ مختصر قيام الليل، للمروزي ط: حديث أكادمي، فيصل آباد - باكستان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

❏ مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر، لأبي عبد الله محمد بن نصر المَرْوَزِيّ - اختصار العلامة أحمد بن علي المقريزي، ط فيصل آباد - باكستان ١٤٠٨ هـ. .

❏ مختصر منهاج القاصدين، قدامة المقدسي (ت٦٨٩هـ)، تحقيق: عبد الحميد محمد الدرويش، ط١ (١٤١٩هـ-١٩٩٩م).

❏ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام / لابن القيم - بتصرف، تحقيق: الشيخ محمد حامد الفقي، ط دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٩٣هـ.

❏ المدخل إلى الدراسات القرآنية-مبادئ تدبر القرآن، لأبي الحسن الندوي (١٤٢٠هـ)، ط دار الصحوة بالقاهرة ١٤٠٦هـ.

❏ المراحل الثمان لطالب فهم القرآن، عصام بن صالح العويد، مركز تدبر للاستشارات التربوية والتعليمية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

❏ المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

❏ مسند أحمد، لأحمد بن حنبل- تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط الرسالة- بيروت١٤٢١ هـ.

❏ مشكاة الأنوار، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي - حققها وقدم لها: الدكتور أبو العلا عفيفي-الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.

❏ مشكاة المصابيح - محمد بن عبد الله الخطيب العمري، التبريزي (ت٧٤١هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت- الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

❏ مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه- لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري الشافعي (٨٤٠هـ)، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

❏ المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني- تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

❏ مصنف ابن أبي شيبة، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة - تحقيق: محمد عوامة، ط الدار السلفية.

❏ معالم أصول الدين، للرازي، محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ)، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

❏ معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر-عثمان جمعة ضميرية- سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧ هـ-١٩٩٧م.

❏ معالم السنن، لأبي سليمان أحمد بن محمد الخطابي - ط المطبعة العلمية - حلب١٣٥١هـ.

❑ معالم في الطريق، لسيد قطب، دار الشروق ١٩٨٣م بيروت.

❑ معاني القرآن، لأبي زكريا الفراء (٢٠٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والنشر، مطابع سجل العرب (د.ت).

❑ معاني القرآن وإعرابه، للزجاج إبراهيم بن السري - تحقيق: د. عبد الجليل شلبي، ط عالم الكتب - بيروت ١٩٨٨م.

❑ المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، أ.د/ محمد حسن جبل - ط مكتبة الآداب بالقاهرة ٢٠١٠م.

❑ المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني، مكتبة العلوم والحكم- الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ - ١٩٨٣ .

❑ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، للشيخ/ محمد فؤاد عبدالباقي - ط دار الكتب المصرية بالقاهرة١٩٤٥م.

❑ المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، تحقيق: أ/ إبراهيم مصطفى وآخرين، ط دار الدعوة بالقاهرة.

❑ معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس - تحقيق: أ/ عبد السلام هارون، ط دار الفكر-بيروت ١٩٧٩م.

❑ معرفة القراء الكبار، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م.

❑ المعرفة والتاريخ، لأبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (ت٢٧٧هـ)، تحقيق: د. أكرم العُمَري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٩٨١م.

❑ مفاتح تدبر القرآن، د/ خالد عبدالكريم اللاحم - ط الثانية- سفير بالرياض١٤٢٨هـ.

❑ مفاتيح التعامل مع القرآن، د. صلاح الخالدي - ط دار القلم بدمشق١٤١٥ه.

❑ مفاتيح الغيب، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي - ط إحياء التراث العربي. بيروت.

❑ مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، د. خالد بن عبد الكريم اللاحم، مقع المسلم،

الرياض، ط١، ٢٠٠٤ .

❑ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم - ط العلمية - بيروت.

❑ المفردات في غريب القرآن، للحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني - تحقيق - أ/ صفوان عدنان، ط دار العلم- دمشق ١٤١٢هـ.

❑ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (ت٦٥٦هـ)، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وغيره، دار ابن كثير - دمشق.

❑ مفهوم التدبر - تحرير وتأصيل (مجموعة أوراق عمل الملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن الكريم)، مركز تدبر للاستشارات التربوية والتعليمية، الرياض، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

❑ مفهوم التدبر عند اللغويين د/ عويض العطوي (ص٣٠)، ورقة عمل مطبوعة ضمن كتاب: مفهوم التدبر تحرير وتأصيل.

❑ مفهوم التدبر في ضوء القرآن والسنة وأقوال السلف وأحوالهم، محمد عبد الله الربيعة- الملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن الكريم،١٤٢٩هـ.

❑ مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، مساعد بن سليمان بن ناصر الطَّيَّار، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٧ هـ.

❑ مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

❑ مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني - ط عيسى الحلبي بالقاهرة.

❑ منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د/ محمد رشاد سالم. ط/ مؤسسة قرطبة، ط الأولى.

❑ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي- ط إحياء التراث العربي - بيروت ١٣٩٢هـ.

❑ منهج السلف في تلقي القرآن وتدبره، د/ محمد الربيعة، مقال منشور على شبكة الإنترنت،

موقع ملتقى أهل التفسير.

❑ المنهج النبوي في التعليم القرآني، د / عبدالسلام المجيدي، ط / جمعية المحافظة على القرآن - الأردن، ط / الأولى ٢٠٠٥ هـ.

❑ الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت٧٩٠هـ)، تحقيق. أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١ دار ابن عفان ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

❑ المواقف، للإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

❑ موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملُّوح، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ١٩٩٨ .

❑ موطأ مالك بن أنس، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبدالباقي، المكتبة الثقافية بيروت ١٤٠٨ .

❑ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م.

❑ نحو عودة صادقة للقرآن، د. ناصر العمر - ط دار الحضارة للنشر بالرياض ١٤٣١هـ.

❑ نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، تحقيق: محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف، دار الأندلس الخضراء، ٢٠٠٨.

❑ النشر في القراءات العشر، لأبي الخير محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع شيخ المقارئ بالديار المصرية، مكتبة الباز -مكة (١٤٢٣هـ).

❑ نظرات في التربية الإيمانية، د. مجدي الهلالي، ط مؤسسة اقرأ - القاهرة، الأولى ١٤٣١هـ.

❑ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي- تحقيق عبد الرزاق المهدي- ط العلمية ببيروت ١٤١٥هـ.

❑ النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية- بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

❑ هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، لعبد الفتاح المرصفي ط: مكتبة طيبة، المدينة المنورة - الثانية.

❑ هل أنكر ابن جرير قراءة متواترة أوردها، مقال للدكتور مساعد الطيار، موقع ملتقى أهل التفسير.

❑ واقعية المنهج القرآني. تأليف: توفيق محمد سبع، دار المختار للنشر والتوزيع، ط. الثانية ١٩٨٣م.

❑ الوحي المحمدي. تأليف: محمد رشيد رضا، المكتب الإسلامي، ط. الثامنة ١٣٩٨هـ.

❑ الوحي والقرآن والنبوة، هشام جعيط؛ دار الطليعة، بيروت؛ الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.

❑ الوسطية في القرآن الكريم. تأليف: د. علي بن محمد الصلابي، دار ابن كثير، ط. الأولى ١٤٣١هـ.





فهرس الموضوعات